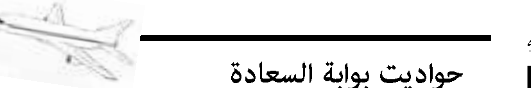
حواديت
بوابة السعادة

محمد حموده



الكتـــــــاب	حواديت بوابة السعادة
النـــوعيـــــة	ادب رحلات
اسـم المؤلــف	محمد حموده
تصميم الغلاف	محمد محسن
تنسيق داخلي	هبـــة خليـــل
تدقيق لغوي	شريف محمد
الطبعة الأولى	يناير ٢٠١٩
رقـــم الإيـــداع	2018/25148
الترقيم الدولي	978-977-6534-63-6
إشراف عام	رباب الشهاوي
مديرة النشر	هند عبد الله (نور مانجا)
لطلب الكتاب	01126652278 – 01022897649

ويمكن طلبه عن طريق موقع جوميا من Elfoad Publishing Marketplace





Alfouad_publishing@hotmail.com
facebook.com/fouadpublishing



حواديت
بوابة السعادة

محمد محموده







الإهداء

إلـــــــى:

فلسلفتي في الحياة- التي ليست بالضرورة صوابًا- والتي صاغ بعض ما أفعله منها الشاعر "رضا أمين" في كلمات أغنيته (المليونيرات) والتي غناها "مدحت صالح" – مع تعديل بعض الكلمات: -

وأنا ويايا بعيش زي المليونيرات

وأحلم وأنا معاييش ملعنش الأزمات

وجناني ده عين العقل

العقل ده داء بيعي

وجناني ده شيء مش سهل

تقدر تتجنن زيي

أنا أحب أسهر للصبح ونادرما "بنام" بدري

عندي ويتعبني النُصح والعمر بقيسه بسهري

وأتعشى في "باترسون استريت"

وأفطر عالبحر في "بالي"

أجى أتغدى مالقيييش

ملعنش الأزمات



وإلـــــــى:

كما الصواب Safety valve، وكما يقولها العامة "سكس بلف"، وكما هي بالعربية صماما أمان حياتي:

أبي وأمي ....أنتما معنى الحياة ♥♥♥ وأنا مدين لكما بكل شيء.

إلى طعم الحياة وونسها...شقيقاتي "**إيناس**" و"**نادين**".

إلى "**أحمد رشوان**" رحالة المستقبل الذي أعلم أنه سيأتي اليوم الذي سيجوب فيه العالم وربما أطلب منه وقتها أن أكون مرافقه.

إلى صاحبة الفضل في كثير مما وصلت له عبر الكتابة ....العزيزة "**فدوى فؤاد**"...شكرًا جزيلاً.

إلى كل رفقاء دروبي ورحلاتي من كانوا في الرحلات التي ذُكِرَتْ هنا أو في كتبي السابقة.



إلى الخيط الذي يربطنا بالحياة.......إلى الإنسانية المجردة بكل معانيها وأشكالها

إلى الكنز الخفي ....الذكريات والبهجة والسعادة التي يصنعها السفر

إلى أولئك الذين ندهتهم النداهة...نداهة السفر الجميلة فلبوا النداء



وإلـــــــى :

الأجانب الذين جمعتني بهم الحياة بشكل عجيب

إلى الفلبينيين الثلاثة:

To the three Filipinos: **James Bernard, Cent Ganipan and Diane San Agustin**, You were really great ambassadors to your people and your country. It was an honor to have met you.

To the wonderfully unexpected company in Hong Kong:

To Fung : You were a very nice start to my visit to Hong Kong, man

Jim Lopez: or the man with great human insights, You were a destiny gift to me during the journey.

Matt Murphy: or the lucky Canadian as I like to call you, I really enjoyed your company in the unforgettable Victoria peak.

Michael Van Den Berg: or the most wonderfully easygoing man I have ever met, I wish you a nice new life.

Royston: or the man of coincidence, you are a great tour leader. I enjoyed hanging out with you. Thanks for the nice photos.

Josh from Liverpool & **Leo** from France, Those words might not reach you guys, but I enjoyed our talks in the hostel as well as being your roommate.

الإهداء طويل ؟! ...معك حق ولكنه عملاً بإيفيه المسرحية الشهيرة (العيال كبرت) عندما قال "رمضان السكري" "حسن مصطفى" لكمال "أحمد زكي" "الواد ما بيصدق أقوله كلمه يقوم رادد عليا ب٣ جرايد ورا بعض ☺".



تعـــــــارف

كما قال الفنان رياض القصبجي "الشهير بالشاويش عطية " فى الفيلم الذى شاهدناه جميعًا مرارًا وتكرارًا وربما نحفظه عن ظهر قلب ...فيلم ابن حميدو حين قال مخاطباً اسماعيل يس :

"إنت وقعت ولا الهوا اللي رماك☺" حيث أنك تقرأ هذه الصفحة الآن ففى الغالب أنت "اتدبست" واشتريت الكتاب بالفعل أو قد وجدت ساذجًا أو "جدعًا قد أعارك إياه وربما لن يرى نسخته مرة أخرى "إنت وضميرك"، وسواء كنت قد اشتريت الكتاب أم استعرته ،المهم أنك نويت قراءته ولأنك ستقضى الصفحات القادمة معي وستجوب داخل ذاكرتي وستشاركني بعض مواقف السفر، إذن حري بي "واجب عليّا" أن أعرفك بنفسي...قد تفي الأسطر المقتضبة الموجودة على الغلاف بالغرض وقد نتعمق أكثر بعد أن أضع رابط حسابي عبر الفسيبوك هنا منتظرًا مبادرة منك في أن نكمل هذا التعارف وأن اعرف رأيك فيما ستقرأ ..وحتى ذلك الحين دعني أخبرك أنه متى تصادقنا ستناديني "حموده" حيث أن مصر زاخرة بملاين المحمد وبالتالي نأخذ اسم الأب أو الجد كعلم للنداء.

الآن أجد نفسي فى نادي الثلاثين مغادرًا العشرينات بسحرها وحلاوة رقمها على الأذن وحلاوة الإحساس الذي تمنحه لك سنوات الشباب الأولى، خريج كلية الألسن جامعة عين شمس ، حيث درست ما لم أحب – اللغة الألمانية- وبالتالي وجدت نفسي أعمل بال"عربي" فى مجال البحث والتطوير بإحدى شركات القطاع العام ، لا علاقة لي بكرة القدم إطلاقاً ولا أطيقها

"مفيش ما بينا عمار" وبالتالي ساهم هذا في حب القراءة ومصاحبة الكتاب منذ الصغر ، ثم حب الكتابة ومحاولتها بالفعل منذ الصغر أيضاً ، ولكن لأن الأمور مرهونة بمواقيتها جاءت التجربة الأولى رسميًا فى النصف الثانى من سنوات العشرينات الجميلة بكتاب أدب رحلات أتبعته بثانٍ وها هو الثالث بين يديك الآن والحمد لله.

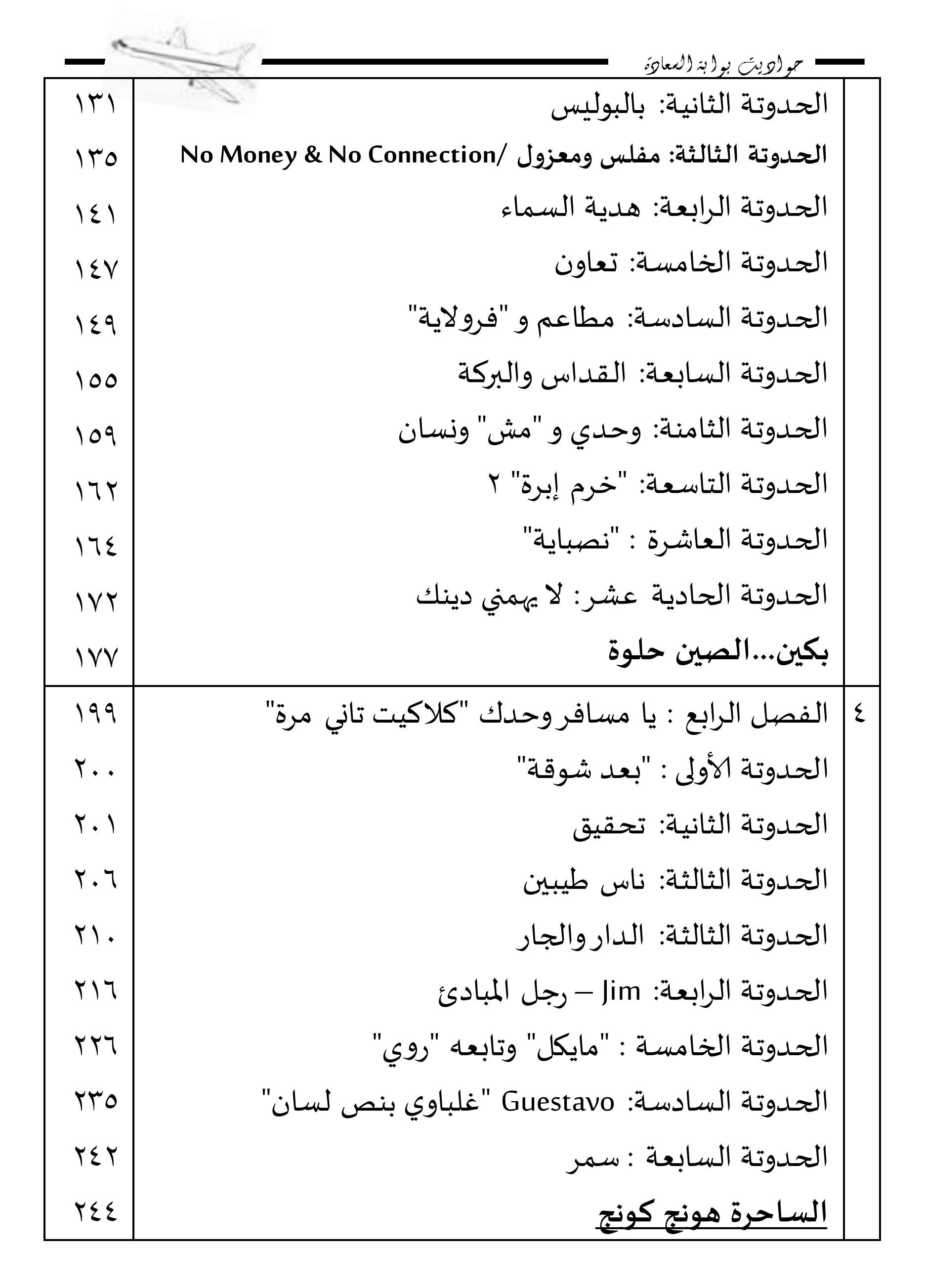
وربما ملخص التعارف يكمن فى كلمة واحدة "الشغف" فشغفي بالسفر والقراءة والكتابة اجتمع ليتحول إلى منتج أدبي أرجو أن يكون مفيدًا وينال إعجابك....وعلى ذكر الشغف لك أن تعرف أن من ضمن شغفي السينما وفن التمثيل أو كما كانوا يطلقون عليه "التشخيص والتجسيد" لا يعنى هذا إنى "عاوز ابقى ممثل" إطلاقاً ولكنى اتذوق هذه الحرفة بمهارة كبيرة في ظني.

وحتى لا يطول التعارف أكثر من هذا وتتهمني بالثرثرة اظن أن رابط حسابي على الفيسبوك قد يفيد ...فى انتظارك يا صديقي.

https://www.facebook.com/mohamed.hamoda.7359



فهرس الموضوعات





مقدمـــــــــة

هكذا كانت أول مرة أقرأ هذه المقولة بالإنجليزية:

Travelling, it leaves you speechless then it turns you into a story teller

وهي عبارة صادقة للغاية ويعلمها كل من جرب السفر قبل ذلك، حتى السفر داخل بلدك ذاتها، العجيب كان أنني وجدت أن قائل هذه العبارة حين قرأتها بالإنجليزية أول مرة هو الرحالة العربى الشهير "ابن بطوطة" [١]، هو - بالتأكيد - قالها بالعربية، ولكنها تُرجمت وانتشرت بالإنجليزية. فهو يرى أن السفر يحبس أنفاسك ثم يحولك إلى حكّاء في جعبته الكثير ليرويه. وهي بالتأكيد وجهة نظر دقيقة أنت لا تحتاج لأن تكون كاتبًا أو أديبًا أو صحافيًّا لتروي لمن حولك المواقف والمشاهدات التي حدثت معك خلال أي تجربة سفر مررت بها حتى وإن كانت تلك التجربة هي السفر لمحافظة أخرى داخل نفس البلد، فتجد نفسك بعد العودة تحكي

---

[١] هو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطبوطة، هو رحالة وقاض وفقيه مغربي أمازيغي لقب بـأمير الرحالين المسلمين خرج من طنجة سنة ٧٢٥هـ. واستغرقت رحلته ٢٧ سنة جاب فيها
بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وتهامة ونجد والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين الجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا.

نتج عن رحلته كتاب بعنوان (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تُرجم إلى للغات البرتغالية والفرنسية والإنجليزية، وترجم فصول منه إلى الألمانية .لقبته جامعة كامبريدج في كتبها وأطالسها بـأمير الرحالة المسلمين.

لأصدقائك وأفراد عائلتك عن رحلتك تلك، وتجد نفسك تصنع المقارنات بين مدينتك وتلك التي أتيت منها زائرًا.

هذا بالفعل ما سيحدث خلال الصفحات القادمة، فإن كان بيننا سابق معرفة من قراءة سابقة فأنت في منزلة صديقي بالفعل وأصبحت تعرفني جيدًا، تعرف حتى بعض طباعي الشخصية. وإن لم تكن بيننا هذه المعرفة المسبقة فدعني أخبرك أن هذا الكتاب سيختلف عن سابقيه [سفرنامة] و[تذكرتين سفر [٢]]، حيث سأعمل هنا بمنطق (من كل بستان زهرة) أو (من كل فيلم أغنية) أيهما تُفضل !

ولأن القراءة - من وجهة نظري - كما الزواج تأتي بالاتفاق ولا تأت أبدًا بالخناق؛ فلنتفق على كيفية وهيئة هذا الكتاب وستكون كالتالى :

١- لن يكون السرد دائريًّا ...وبعيداً عن "الفذلكة"[٣] والتقعّر؛ أعني أن السرد هذه المرة لن يكون كما عهدتم في الكتب السابقة فلن أسافر بكم من قبل إقلاع الطائرة وحتى هبوطها بمطار القاهرة مرة أخرى، هذه المرة سنجعل الأمر مختلفًا بعض الشيء لن أروي تفاصيل اليوم، فإن كنت قد قرأت لي سابقًا وأعجبتك طريقة

---

[٢] كتاب (سفرنامة) رحلة ابن حموده إلى بلاد جنوب شرق آسيا عن يوميات ومشاهدات الكاتب فى كلٍ من سنغافورة وماليزيا، وكتاب (تذكرتين سفر) رحلة ابن حموده السرية إلى جورجيا وروسيا الاتحادية هو تدوين ليوميات ومشاهدات البلاد المذكورة

[٣] الفذلكة: بحسب تاج العروس ؛ للمرتضى الزبيدى والفيروزآبادي هى مصدر فذلك ، فَذْلَكَ حِسابَهُ: أنهاهُ وفَرَغَ منه، مُخْتَرَعَةٌ من قولِهِ إذا أجْمَلَ حِسابَهُ: فَذلِكَ كذا وكذا، فهى جملة الحساب والعدد بحسب المعجم الوسيط ، ولكنها في الاصطلاح الحديث تعبير محّرف من كلمة الفلسفة ليست بمعناها المعروف إنما محاولات التفلسف أوالتحدث بالكلام الصعب فهمه بين العوام.

السرد هذه إذن أعتذر منك وأدعوك لتجربة شيءٍ جديدٍ، وإن كنت قد قرأت لي في السابق ولم تعجبك هذه الطريقة "فابسط يا عم☺" وامنحني فضلاً فرصة جديدة لعلي أنال استحسانك هذه المرة، وإن كان الأمر لا هذا ولا ذاك وتلك مرتك الأولى التي يقع تحت يديك كتاب لي فدعني أضع يدي على قلبي قلقاً ومتمنيًّا أن تجد في هذا الكتاب ما يستحق القراءة.

٢- لماذا الحواديت؟ ربما لأننا تربينا عليها صغارًا، وربما لأنها كانت وسيلة لغرس الأفكار والقيم والمبادئ والقناعات، أظن أن كثيرًا منَّا تربَّى على أن للكذب عواقب وخيمة من تلك القصة للطفل الذي كان يصرخ مدعياً الغرق إلى أن حدث أنه كان يغرق فعلاً ولكن بسبب تكرار كذبته لم يصدقه الناس ولم يهرع أحد لنجدته كما فعلوا معه في السابق فغرق بالفعل – دعك من أننا نمارس الكذب بأريحية دون الالتفات للحدوتة – المهم أن الهدف من السرد بالحواديت قد يتعدد، فربما في بعض الحواديت لن تجد مقومات القصة من بداية وحدث ونهاية، فبعضها الهدف منه هو إخبارك بخط سير الرحلة وهنا الحدوتة خبرية بحتة، والبعض الآخر الهدف منه ذكر موقف بعينه ربما يكون مفيدًا، والأهم هو العنصر رقم ٣.

٣- هذا الكتاب يهتم في المقام الأول بالحكايات ذات الطابع الإنساني وبالتأكيد تلك التي حدثت أثناء السفر ويمكن الوصف بأنه "In Depth" أو يهتم بالعمق؛ حيث أحلل الكثير من المواقف التي حدثت في السفر آخذًا منها البعد الإنساني، وبالتالي ستجد أن كل

فصل من الكتاب عن بلدٍ ما يبدأ بالحواديت التي تحمل ذلك الطابع ومن خلال ذكر هذه المواقف قد يأتي ذكر للمشاهدات والأماكن. أسمعك تقول لنفسك "طب وإن مجاش " اطمئن ولا تقلق لن أخذلك أو أتركك مع مجرد حكايات عن السفر فحسب فأنا مدرك أن هذا الكتاب هو كتاب أدب رحلات في المقام الأول وبالتالى حقك عليّ وحريٌ بى أن تجد معلومات مفيدة عن كل بلد ربما تتحمس لزيارتها يوماً ما وعساه يكون قريبًا" قبل الدنيا ما تغلى عن كده أو الجنية يتلاشى☺" ولعلي أساهم بهذه المعلومات ولو بنذر بسيط في أن أكون رفيقك أو دليلك عند السفر.

٤- العنوان الرئيسي لكل فصل رئيسي لن يكون اسم البلد بشكل مباشر ولكنه سيكون وصف لحالة ما أو جملة من موقف يعلق بذاكرتي حتى الآن وستكتشف اسم البلد لاحقاً بمجرد قراءتك للفصل ذاته.

٥- ستكون شريكي في هذا الكتاب وسأخبرك كيف؟، إن كنت من جيل الثمانينيات من القرن الماضى فربما تتذكر دروس القراءة والمطالعة حينها والتي كانت تبدأ بالدروس المستفادة من الموضوع، ولنفعل المثل ولكن بنهاية بعض الحواديت سأذكر أنا درسي المستفاد منها ومتيحًا لك بضعة أسطر إن رغبت في تدوين الدرس المستفاد من وجهة نظرك.

هذا وحيث إننا اتفقنا على دليل الاستخدام والقراءة إلى الآن بقى أمران الأول هو أن تعلم سر تسميه الكتاب بهذا الاسم ولك أن تعرف أنه لا يوجد سر في الأمر أصلاً وأن الحكاية وما فيها أننا شعب نعشق الحكي

أو السرد منذ زمن وتراثنا فيه عبق حكايات كثيرة، يكفي أن أذكّرك أننا ثاني شعب عرف السينما [4] في البشرية بعد الفرنسيين وبالتالى تأثرنا بالحكايات وسحرها منذ ما يربو على المائة عام كما جرى العرف أن نطلق على أي حكاية في مصر حدوتة، حاولت الوقوف على أثر الكلمة فلم أجد شيئاً في المعجم ولكن بالبحث وجدت أنها ربما تكون تحريف لكلمة أحدوثة وفي قول آخر أنها من كلمة أحدوتة حيث لهجة صعيد مصر كلمات مثل حددتك أي حادثتك والحديت أي الكلام وكثيراً ما شاهدنا مسلسلات نسمع فيها "اصحى للحديت عاد☺ " أي انتبه للكلام.

هذا عن الحواديت أما عن السعادة فهى الغاية المنشودة لنا جميعًا في الحياة البعض يجدها في المال والبعض الآخر في العيال وكلنا نجدها في الصحة دون أن ننتبه وجميعنا نبحث عنها ولهذا أخبرك أن لها بوابات عديدة وأنه إحدى هذه البوابات هي السفر، وبوابات المطارات المختلفة وكلمتي Gate و Terminal التي نجدها مكتوبة على تذكرة السفر.

أما الأمر الثاني فهو علاقة بين الحواديت والغناء تترابط خيوطها في عقلي، فكلما حاولت الكتابة وبدأت في مشروع كتاب تظهر لى أغنية تصبح كأيقونة توحي لي كلماتها بما في نفسي. ففي مقدمة وخاتمة

[4] المعروف أن أول عرض سينمائي تجاري في العالم كان في ديسمبر ١٨٩٥ م. في باريس وتحديدا الصالون الهندي بالمقهى الكبير (الجراند كافيه) ، وكان فيلما صامتاً للأخوين "لوميير"، وبعد هذا التاريخ بأيام قدم أول عرض سينمائي في مصر في مقهى (زوانى) بمدينة الإسكندرية في يناير ١٨٩٦ م، وتبعه أول عرض سينمائي بمدينة القاهرة في ٢٨ يناير ١٨٩٦ م في سينما (سانتي)، ثم كان العرض السينمائي الثالث بمدينة بورسعيد في عام ١٨٩٨ م.

[سفرنامة] كان عبد الحليم حافظ حاضرًا بكلمات بعض أغانيه، الأمر نفسه حدث في مقدمة [تذكرتين سفر]، وبالتالي ومن باب عدم كسر العادة "يرضيك تنقطع لى عادة!" أجد هذه المرة معشوقتي فيروز تنشد أغنيتها (شايف البحر) والتى صاغ كلماتها واللحن الأخوين رحباني قائلين :

شايف البحر شو كبير

كبر البحر بحبك

شايف السما شو بعيدة

بعد السما بحبك

وأنا أقول مع فيروز والرحبانية أنه بكبر البحر وببعد السما وبوسع الكون أنا أحب كون الله الجميل وعظيم صنعه في البشر والحجر.

طولت عليك ... "أنا آسف"...إذن تعال أحكي لك حدوتة ....أو حواديت.

ابن حموده



البوابـــة الأولـــى

أول بختي



الحدوتة الأولى: "السفر وحش"

صحيح أن الأمر ليس زواجًا أو خطبة إلا أنه لا يخلو الأمر من أوجه شبه، فأول بختك من كل شيء إما أن يفتح نفسك على الحياة وهذا الشيء أو والعياذ بالله يسدها ويصرفك عنه أو عنها إلى الأبد أو على أقل الاحتمالات يجعلك أكثر تحفظاً في خطواتك القادمة الخاصة بنفس الشيء.

وقد كنت محظوظًا، فأول بختي في السفر كان حلوًا للغاية بل رائعًا وهو المسئول عن إدماني السفر بعد ذلك، وأول البخت هذا كان ككثير من المصريين الذين بدأوا السفر مؤخرًا أو في السنوات الأخيرة، لك أن تخمن، هي دولة كانت تعلن عنها شركات السياحة ليل نهار في الصحف وصفحات الفيسبوك وتقدم عروضًا تنافسية من الناحية المالية عند مقارنتها بغيرها من البلدان، وبالتأكيد إن سبق لك زيارتها فقطعًا وجدت مصريين هناك "أكثر من الهم على القلب " إن جاز التعبير دلالة على الكثرة ...هل عرفتها ؟ نعم بالفعل إنها هي تركيا.

والأمر باختصار أنه في أكتوبر من عام ٢٠١٣ سافرت أنا وشقيقتي التي أكبرها بعدة سنوات "إيناس" إلى تركيا كانت هذه هي المرة الأولى التي نسافر فيها خارج البلاد - بمفهوم السفر – للسياحة؛ حيث نستثني مرتين كنت قد سافرتهما للمملكة العربية السعودية لأداء العمرة.

والحق يقال كان أكثر المتحمسين للسفر وللفكرة عامة هي إيناس ربما بإيحاء من تأثرها بالمسلسلات التركية التي كانت تتابع إحداها حيئذ، والمليء بالمناظر الخلابة، نقلت هي حماسها الصارخ هذا لي وحينها كان حماسي للسفر خارج مصر ليس في أفضل حالاته ربما من باب القناعة الخاطئة والتى تثبت فصول وصفحات هذا الكتاب خطئها – من خرج من داره اتقل مقداره - وسبب قلة الحماس هذا هو الصدفة البحتة التي جعلتني أشاهد عدداً من الأفلام الأمريكية التي ترعبك من فكرة السفر ومغادرة بلدك.

اذكر منها فيلم Taken[٥] بجزئه الأول الذي أنتج عام ٢٠٠٨ ولكن لأجل الحظ أو البخت شاهدناه في ٢٠١٣ بعدما كنا حسمنا أمرنا وبدأنا التخطيط للسفر بالفعل، ولم يتبق على موعد السفر سوى أسابيع قليلة.

كانت تدور قصة الفيلم عن صديقتان أمريكيتان سافرتا إلى عاصمة النور باريس لقضاء عطلة سياحية هناك وتتعرضان للاختطاف هناك بواسطة عصابة للاتجار في البشر، ويدور الفيلم في إطار تشويقي عن محاولات والد إحدى الفتيات لاستعادة ابنته.

لك أنك تتخيل (يا مؤمن) كيف سأشعر عند التفكير في السفر بعد المشاهدة بعدة أسابيع حيث إن عملية الاختطاف تبعاً لأحداث الفيلم تمت في المطار تقريباً ولأمريكيتين أي صاحبات أثقل وأقوى جنسية على

---

[٥] من إخراج بيير موريل وتأليف روبرت مارك وبطولة ليام نيسون وإنتاج ٢٠٠٨ بتكلفة إنتاج ٢٥ مليون دولار وإجمالى إيرادات٢٢٦ مليون دولار أمريكى ولهذا النجاح تلاه جزأين آخرين.

وجه الأرض وأيضا في فرنسا وليست دولة إفريقية من دول العالم الثالث أو الدول التي تشهد حروباً أهلية.

ولكوننا مسافرين منفردين ولسنا وسط مجموعة سياحية تضمن شيئًا من الاطمئنان حينها كان يلوح في الأفق الإحجام ومعاودة التفكير "مالها شرم الشيخ؟" كثرة الأكمنة، وعطلة نفق الشهيد أحمد حمدي، وبهدلة التفتيش وكثرة الإسرائيليين! إذن "مالها الغردقة جميلة وزى الفل" إلا أن حماس شقيقتي "غير الشجاعة في الأساس" أبقى شيئاً من حماسي للسفر.

لن أنكر قلقي خاصة مع تزامن تاريخ السفر مع مشكلات أمنية واحتجاجات ومظاهرات بإسنطبول مركز السياحة الأول بتركيا ووجهتنا أيضًا، صحيح أن حدة هذه المظاهرات كانت قد قلت ولكن كما يقول الإنجليز ? Who knows أو ومن يدري من الوارد أن تندلع مرة أخرى وبشراسة وبالتأكيد لن تحب كمسافر للمرة الأولى أن تقضي رحلتك حبيس غرفة فندقك طوال الوقت أو تنزل الشارع مغامراً بأمانك الشخصي، وأضف إلى هذا أن وقت السفر كانت العلاقات بين البلدين مصر وتركيا متوترة صحيح أنها لم تكن وصلت إلى التطور والتوتر الذي هي عليه الآن لكن كان هذا من مصادر القلق وقتها هل سنكون محل ترحيب؟ أم أن السياسة ستكون لها دوراً سمجاً في رحلتنا؟...هكذا كنا نفكر حينها.

وبالعودة للأفلام المرعبة من فكرة السفر... خذ عندك فيلم كنت قد شاهدته منذ سنوات على التلفزيون المصري ولكنه بذاكرتي وهو فيلم Broke down Palace[٦] وتدور قصته عن فتاتان أمريكيتان "برضو" قررتا السفر إلى تايلاند للاحتفال بتخرجهما من المدرسة الثانوية، وهناك يتعرفان على شاب إسترالي يصحبانه إلى رحلة آخرى لدولة آسيوية ولكنه يستغلهما دون علمهما ويضع معهما مخدرات في محاولة لتهريبها ويتم القبض عليهما والحكم عليهما بالسجن لمدة ٣٣ عاماً.

الفيلم بتفاصيله وروعة التمثيل والإخراج مرهق للأعصاب خاصة مشاهد إلقاء كل فتاة اللوم على الأخرى في كونها سبب الورطة مع هذا الشاب الذي هرب بالفعل، لن أحرق لك باقى الأحداث وسأتركك لمشاهدته "إن طاوعتك نفسك" ما لم تكن قد شاهدته قبل ذلك. وبالتأكيد فيلم كهذا يجعلك مرعوبًا من المطارات والمصادفات التي من الممكن أن تحدث أثناء السفر والتعرض لمكيدة - لا قدر الله .

هل خفت أو اكتئبت ؟! لا أرجوك لا تفعل قبل أن أكمل عليك بآخر فيلمين كنت قد شاهدتهما قبل سفري بأزمنة مختلفة لتكتمل معك الصورة وتلغي فكرة السفر من قاموسك وتفضل عليها ليس فقط شرم الشيخ والغردقة والإسكندرية بل "تفهنا العذب" على رأى الجميل فؤاد المهندس - رحمة الله عليه.

[٦] من إخراج جونثان كابلن وتأليف ديفيد أراتا وبطولة تشارلي دانيس وكيت بيكنسيل إنتاج عام ١٩٩٩ بتكلفة إنتاج قرابة ال٢٠ مليون دولار وإيرادات بلغت ١٠ مليون تقريبا

الفيلم الثالث هو Return to Paradise[٧] و الفيلم تدور قصته حول ثلاثة شباب من الولايات المتحدة يذهبون لقضاء عطلة سياحية في ماليزيا، ويقضون الوقت في مصاحبة الفتيات وتدخين المخدرات، وعند رحيلهم يتم إلقاء القبض على أحدهم لأن معه بقايا مخدر الحشيش ويتم الحكم عليه بالإعدام حينها يكون الشابان الآخران قد تمكنا من مغادرة البلد والعودة لأمريكا والمطلوب منهما العودة مرة أخرى والشهادة أمام القاضي أنهما كانا يشاركانه تدخين المضبوطات ليتم تخفيف الحكم عليه فهل سيفعلانها وهل سيتم تخفيف الحكم؟ هذا ما سأتركك تكتشفه بنفسك إن شاهدت الفيلم.

وفيلم (الضربة القاضية) وهذا وليس عنوانه ولكنى أقصد أنه الأخير في سلسلة أفلام "السفروحش" ويؤسفني أن أخبرك أنه Based on True story أي مبنيٌّ على أحداث حقيقية هو فيلم 127 Hours[٨] ، وتدور قصته حول شاب أمريكي من متسلقي الجبال أراد أن يمارس هوايته المفضلة وسافر إلى جبل ما بمفرده دون أن يخبر أحداً بوجهته قبل السفر، وأثناء هبوطه بعد التسلق سقطت صخرة كبيرة في ممر ضيق وحشرت يده بينها وبين الجبل فأصبح عالقاً ولم يكن معه حينها سوى

---

[٧] من إخراج جوزيف روبن وتأليف أوليفر شاتزاكى وبطولة آنه هيتسه وفينس فوغان إنتاج عام ١٩٩٨ بتكلفة ٣ مليون دولار وأرباح ٨مليون والأرقام المذكورة محل دهشة من الكاتب حيث تتجاوز السينما الأمريكية هذه الأرقام الضعيفة عادة ولكن هذا هو المذكور على مواقع السينما بالإنترنت.

[٨] من إخراج دانى بويل وهو السيرة الذاتية لمتسلق الجبال آرون رالستون وبطولة جيمس فرانكو وجيت مارا إنتاج عام ٢٠١٠ بميزانية إنتاج وصلت إلى ١٨ مليون وإجمالى إيرادات ٦٠ مليون دولار أمريكي.

زجاجة مياه صغيرة وسكين غير حاد وكاميرا سجل بها ساعاته التي ظنها الأخيرة حيث بقى قرابة الخمسة أيام يعاني من الجوع والألم والعطش والرعب، ماذا فعل لينقذ نفسه؟ هذا ما سأتركك تكتشفه بنفسك أيضاً ولكن "جمّد قلبك".

دروسي المستفادة من الحدوتة: صحيح أن مشاهداتي لثلاثة من هذه الأفلام جاء قبل أي خطط سفر تطرأ على ذهني إلا أنني بالتجربة تعلمت:

١- أن السفر مدرسة حياة، ستتعلم منه أشياء كثيرة وستكتشف في نفسك قدرات لم تختبرها قبل السفر.

٢- هو جزء من رحلة الحياة التي بالتأكيد لن تخلو من المنغصات والصعوبات من آن لآخر ولكننا نأخذ بالأسباب والتدابير اللازمة قبل أي سفر.

٣- لا نخالف القوانين قدر جهدنا خصوصًا في الغربة ونسأل الله السلامة دوماً وهو الصاحب في السفر بالتأكيد.

٤-إذا عزمت فتوكل على الله ...لا تتراجع بسهولة.

الخلاصة أن السفر تجربة تستحق "وهنروح بعيد ليه"، هذا الكتاب ليثبت لك هذا، وبالمناسبة سبق وسافرت إلى ماليزيا ولكني ارتكبت مخالفة قانون عن دون معرفة في سنغافورة، وكذلك سافرت إلى تايلاند ولم يحدث لي بحمد الله أمراً كما حدث في الفيلم المذكور ولكنني تعرضت لتسمم طعام ربما أروي هذه الحواديت لاحقاً. اذكر هذا لأدلل أن حتى

البلدان التي خوفتني منها الأفلام سالفة الذكر قد سافرتها واستمتعت فيها أيضاً.

ماذا عن دروسك المستفادة من الحدوتة "الرغي" سالف الذكر:

....

....

....

الحدوتة الثانية "لا يهمني اسمك لا يهمني عنوانك"

قناعتي أن التعميم خطيئة وليس مجرد خطأ عابر، لا يمكنك أن تعمم خاصة في الأمور الجماعية فلا يمكنك الجزم بأن شيئاً بأكمله يحمل صفة ما خاصة وإن كانت هذه الصفة سلبية وبالذات عندما يتعلق الأمر بالأشياء الديموجرافية أو الشوفينية؛ أي تلك التي تتعلق بالأرض والأوطان حتى على المستوى الضيق كأن يصف أهل محافظة أهل محافظة أخرى بتعميم مقيت.

لماذا أقول كل هذا؟ لأنني ارتكبت هذه الخطيئة في بادئ الأمر وكنت صيدًا سهلا للأحكام المسبقة المبنية على نظرة أحادية الجانب ...كلام كبير ؟! "نبسّطه وندخل في الموضوع☺ "

عندما سافرنا وجدنا كما المتوقع أن العرب موجودون هناك بكثرة ومن كل الجنسيات والدول تقريبًا وكان فندقنا في قلب ميدان تقسيم الساحر والذي يتوسط إسطنبول الجميلة وعلى مقربة من محطة مترو أنفاق، ذهبنا وقتها لاستخدامها حيث إنه من أفضل ما في تجارب السياحة هو الاعتماد على المواصلات العامة مثلك مثل أهل البلد أنفسهم، فهى فضلاً عن كونها توفر على ميزانيتك أعباء التاكسي قديمًا و"أوبر وجراب وكريم"[٩] حديثًا هي أيضاً تمنحك صورة أدق لكيف يحيا الناس هناك.

المهم ذهبنا إلى محطة المترو "وعينك ما تشوف إلا النور" كما نقول في مصر، ما كل هذه الفخامة البادية على المحطة وما هذه الروعة، هي مرتنا الأولى خارج مترو القاهرة وبالتالي كان يسهل إبهارنا، فهذه أول مرة نرى بوابات أمان على رصيف انتظار القطارات، إضاءة بها لمسة فنية لا تشعر معها أنك تتعامل مع مكان عام أو مواصلة عامة، بحثنا عن شباك التذاكر يمينًا ويسارًا فلم نجد، وسرعان ما فهمنا أن الأتراك قد تخلوا عن هذه الفكرة، الموظف الجالس وردية كاملة لا لشيء سوى لمنحك تذكرة وتقاضي النقود، فالأمر أصبح أوتوماتيكيًا، ووجدنا ماكينة أشبه بماكينات الصراف المباشر ATM ولكنها ليست كذلك هي مسئولة عن إصدار تذاكر الرحلة الواحدة وتجديد باقات المواطنين الحاملين لبطاقات الركوب المتعددة، لم يكن كل الركاب يستخدمون هذه الماكينات، فالغالبية كانت بطاقاتهم تحمل رصيدًا فبالتالي يعبرون البوابة

[٩] شركات تقدم خدمة نقل الركاب عبر تطبيقات على جهاز المحمول ومنتشرة فى بلدان كثيرة من العالم وتعد أوفر من التاكسي وأكثر ضماناً لأنك تعرف تكلفة الرحلة قبل البدء فيها.

الإلكترونية بعدما تقرأ بيانات الكارت الخاص بهم، نظرت حولي مرة أخرى فلم أعرف من أين آتي بكارت مثلهم، انتظرت دوري أمام الماكينة ووقفت أمامها مختاراً اللغة الإنجليزية المتاحة مع التركية - بلا شك - وفهمت أنه بالإمكان شراء تذكرة مفردة لرحلة واحدة بحسب المحطة التي سننزل بها، وكلما حاولت فعل ذلك انتهى الأمر بالفشل. لا أعرف لماذا حينها كان الطابور خلفي قد أصبح طابوراً طويلاً والمفارقة أنهم كلهم من العرب، ويبدو أننا جميعا لا ندري كيف تعمل هذه الماكينة "الجهل وحش" وقتها وجدنا شاباً عربياً كان قد عبر بالفعل الحاجز الإلكتروني وأصبح على رصيف المغادرة ينتظر فقط وصول القطار ليتركنا و "يفل" كما غنى وائل كفورى ولكنه لما رأى حيرتنا هذه حاول أن يشرح لنا من بعيد كيفية الاستخدام، ولما لم نتمكن من سماعه جيداً فما كان منه إلا أن جعل الكارت يقرأ مرة أخرى مغادرته للمحطة ليصبح معنا ويرشدنا على طريقة استخدام هذه الآلة، وبالفعل هذا ما حدث حيث علمّنا كيفية حجز تذكرة لرحلة واحدة، وما هي العملات المقبولة للماكينة، وأخبرنا أنه يتعين علينا شراء هذا الكارت كالذي معه لنشحنه ولا نصبح مضطرين للوقوف في طوابير الماكينة هذه مع كل رحلة مفردة، كما أن هذا الكارت أوفر من التعامل بالتذاكر المنفردة كما أوضح أنه غير مقتصر على المترو فحسب بل هو يصلح للاستخدام في الأتوبيسات العامة والقطارات وبعض العبّارات أيضاً، وبالتالى حتماً سنحتاجه.

وبسؤاله عن أماكن شراء هذا الكارت أرشدنا أنه بمحطة الوصول "حيث إن الخط من تقسيم إحدى اتجاهاته محطة واحدة "يوجد كشك فوق الأرض خارج المحطة يبيع هذا الكارت، وبالفعل صحبنا الشاب المتعاون وأرشدني لشراء كارت وشحنته برصيد أيضاً وبالتالي أصبحنا مثل باقي المواطنين الأتراك والسائحين كذلك.

شايفك ياللى بتسأل و تقول مال كل هذا ال"رغى" والأحكام المسبقة؟ أدركت أن الرجل من لهجته وهيئته خليجي "محظوظ" ولدى كثير من المصريين انطباع عام عن أهل الخليج، ويعتقدون أنهم غير متعاونين ولا يبالون سوى بأنفسهم فقط وأنهم متعالون – العجيب أن هذه الرحلة كانت دروساً متتالية في أن هذا التعميم حقاً خطيئة، فكلما قابلت أحداً منهم كان في منتهى التعاون ودماثة الخلق- تعرفت على الشاب والذي عرفت أنه سعودي الجنسية ولكن للأسف ولكون الرحلة منذ عدة سنوات سقط اسمه من ذاكرتي وإن كان يتوجب ألا يحدث وستعلم لماذا لاحقاً.

ومن العجيب أيضًا أنه خلال هذه الرحلة كنا كلما قابلنا مصري الجنسية تشعر أنه ضجر من مجرد سؤاله على أي شيء أو لمجرد أنه قابل مصريًّا آخر ربما هذا كان بسبب أن معظم المصريين هناك Honeymooners أي عرسان جدد في شهر عسلهم، وربما بسفرهم للخارج كانوا يريدون أخذ إجازة من مصر وكل ما هو مصري ربما... ولكني أخشى أن يكون هذا التعميم السائد بأن "المصريين وحشين مع بعض في الغربة " حقيقي ...ولكن مهلاً لا تعمم.



الدروس المستفادة بالنسبة لي:

١- كما قلت في بداية الكلام التعميم خطيئة وليس فقط خطأ.

٢- عين السائح يسهل إبهارها.

ماذا عنك ؟

....

....

الحدوتة الثالثة : خرم إبرة"

بالتأكيد سبق وسمعت المثل المصري القائل أن "الدنيا أضيق من خرم الإبرة" هي بالفعل كذلك وسترى بنفسك

كان يومنا الأول بعد الوصول لإسنطبول، قضينا النهار في التجوال ومشاهدة بعض المعالم التاريخية بالمدينة وفي المساء اختلفت أنا وشقيقتي، هي كانت ترغب أن تبدأ رحلة التسوق مبكراً فنحن في تركيا مركز تسوق كبير بالفعل، أما أنا فكنت أفضل تأجيل التسوق بعض الشيء والاستمتاع بالفسحة نفسها ولهذا كنت راغبًا في زيارة مجمع تجاري "Mall" كنت قد قرأت عنه أثناء رحلة البحث عن المعلومات قبل السفر حيث إنه من أكبر المجمعات التجارية هناك، كما أنه شديد الفخامة وهو (كانيون مول)، صحيح لم أكن أنتوي الشراء "وليس الترشح بالتأكيد☺"

إلا أن حياة العولمة هذه والأماكن الفخمة تثير لديّ الرغبة لزيارتها وربما تناول الطعام بها لا أكثر، وهذا في حد ذاته متعة كبيرة.

المهم أنني تمكنت من إقناعها بتأجيل التسوق وأن نمنح أنفسنا بعض الوقت، فليس من الحكمة أن نذهب للتسوق والإنفاق من ميزانيتنا المحدودة على أمور الشراء ونحن لم نستمتع بالتواجد في البلد بعد ولم نرَ من المزارات سوى النذر اليسير الذي أتاحه لنا نهار يومنا هذا، والحمد لله أنها اقتنعت

ذهبنا للمول مستخدمين المترو حيث تنتهى بك داخل المول فعلياً بنفق أرضي طويل ومكيف وبالطبع أنيق ومستغل تجارياً عبر لافتتات دعائية براقة.

وصلنا وهنا أخذ الشيطان اللعين في اللعب برأس إيناس وجعلها تبدو غير مقتنعة مجددا بما نفعل وتحاول العودة لخطتها الأولى وهي التسوق، لا عجب في ذلك فهو أكثر ما تبرع فيه الفتيات والنساء ويجدن فيه متعة لا نجدها نحن معشر الرجال " لما بشتري بنطلون جينز جديد أو تيشرت بحس إني عملت إنجاز☺".

الأمر الواقع أننا أصبحنا داخل المول بالفعل ونسير بلا وجهة محددة، ندخل لبعض محلات الماركات الأجنبية الشهيرة، نلقي نظرة على المعروضات، ونقارن في خبث بين أسعارها هنا في إسطنبول ونظيرتها في مولات القاهرة، ثم قادتنا أقدامنا لدخول فرع سلسلة المحلات الشهيرة"H&M" وهنا حدثت الصدفة العجيبة والتي حولت ما تبقى من

اليوم بشكل ساحر حيث صادفنا نفس الشاب السعودي الذي كنا قد قابلناه صباحاً في المترو، بالتأكيد ما نزال نذكر بعضنا البعض وقتها فتبادلنا التحية مجددا مندهشين من هذه الصدفة العجيبة أن نلتقي مرتين في يوم واحد وفي نطاق جغرافى متباين بل المرة الثانية داخل محل لا ننوي نحن منه شراءً ولكن مجرد "فرجة" حينها بادرنا هو بسؤال "شفتم الممثلين؟" فأجابته سائلاً أي ممثلين ؟ فأجاب "تدري هذه البنت اللي سوت مسلسل فاطمة التركي ومعها اللي سوى ما أدري ايش هذا حريم السلطان...موجودين في السينما يا اللي فوج عندهم افتتاح فيلم يديد "أي جديد" والدنيا زحام فوج". لمعتا عيني إيناس من المفاجأة وأنا ربما كذلك، حينها لم يكن قد سبق لي متابعة أياً من الدراما التركية بعد ولكن بالتأكيد نجاحهم الساحق والعابر للقارات جعلني أسمع عن هذين العملين وكنت قد شاهدت عدة مشاهد من مسلسل فاطمة ولكنها مشاهد متفرقة وقليلة ولكنى أعلم ملامح الفتاة وكذلك الرجل الذي لعب بطولة حريم السلطان ولكني لم أكن بالتأكيد أعرف أسماءهم، ولكن شقيقتي كانت متابعة بشغف مسلسل فاطمة وبالتالي هذه المعلومة من السعودي الجميل حولت مزاجها المتعكر جراء تأجيل التسوق ٦٠ درجة وطلبت أن نصعد إلى السينما، شكرت الشاب وحييته بحراره متمنياً له سهرة سعيدة ورحلة أسعد وغادرنا المحل والدهشة لا تزال تتملكني من هذه الصدفة.



الحدوتة الرابعة " ولا في الأفلام"

صعدنا إلى الطابق الأخير حيث دور السينما، وبالطبع عينك ما تشوف إلا النور هذه المرة من فرط الزحام والبشر أبواب السينما مغلقة ويقف رجال أشداء Body Guards والناس متزاحمة، أدركت أن أي محاولات لدخول الفيلم في الغالب ستبوأ بالفشل، أخذت شقيقتي ومشيت بعيداً عن الزحام حتى أصبحنا نقف عند الأبواب الخلفية للسينما، طلبت منها انتظاري هناك ريثما أذهب أنا وأرى ما إن كانت هناك تذاكر متاحة بعد لمشاهدة الفيلم فأشتري تذكرتين لهذا العرض ال Premier [١٠] وأعود لها .

ذهبت لأسأل عن التذاكر وعدت بإجابة أنه لا توجد تذاكر لهذا اليوم من الأساس وأن كل الحاضرين يحملون دعوات خاصة للحضور، وأنا عائد لإيناس بهذه المعلومة غير اللطيفة والتي تعني أن وجودنا في المول كعدمه إذ بي ألمحها تشير لي من بعيد أن أسرع، وبمجرد وصولي لها عرفت منها قبل حتى أن أخبرها أنه لا توجد تذاكر متاحة، عرفت أن الحظ أو القدر قد لعب لعبته وخدمنا بشكل عجيب، حيث خرج رجل في أوائل الخمسينات من السينما من الباب الخلفي حيث تقف هي ووجدها تقف وحيدة فسألها إن كانت ترغب في مشاهدة الفيلم، فأجابته نعم بالتأكيد ولكنها في انتظاري لأعود لها بالتذاكر فأخبرها هو بأمر العرض الخاص وأن

---

[١٠] كلمة من أصل فرنسي وتعني العرض الأول لأي عمل فني، وعادة ما يكون فى حفل خاص وبتواجد نجوم هذا العمل الفني ويتم دعوة الصحفيين والنقاد وبالتالي يصبح العرض احتفائي أكثر من كونه عرضًا للجمهور العادي.

الحضور قاصر على الدعوات فحسب، ولكن لأن وقت العرض أصبح على وشك البدء، ولأن بعض أصحاب الدعوات لم يأتوا، ولأنهم يرغبون في أن تكون كل القاعة ممتلئة بالمشاهدين بحيث لا توجد مقاعد شاغرة لذا آثر الموظف الخروج من الباب الخلفي والسماح للبعض بالدخول تجنباً للصراع الذي قد يحدث إن فتحوا الأبواب الأمامية للسينما والتي تكتظ بالجمهور الراغب في الدخول، شكرته هي بالتأكيد بأهاليل مبتهجة بعدما تغير مزاجها ال ٦٠ درجة مرة أخرى ليغير لها هذا الرجل مزاجها ليصبح ١٨٠ درجة[١١]، ولكنها طلبت منه أن ينتظر لحظات حتى عودتي لأنها لن تدخل بمفردها بالتأكيد، فوافق وما أن أتيت حتى وجدته يفتح لنا الباب ويسمح لنا بالدخول.

فاغرين أفواهنا من فرط السعادة والدهشة، دخلنا على بهو قاعات السينما المختلفة، عالم سينمائي بامتياز من السحر والأناقة والأزياء والأضواء المبهرة المصممة خصيصاً لهذا اليوم، فساتين سهرة أنيقة ومكشوفة بالتأكيد وبذات سهرة كذلك "بدل رجالى" كنا تقريباً نحن النغمة النشاذ في المكان حيث أنا أرتدي الجينز، وهي المحجبة الوحيدة في المكان، ولإكمال الوصف نُدّل "جرسونات" بقمصان شديدة البياض يطوفون بالبهو حاملين مشروبات كحولية مجانية بين كاسات من الشامبانيا والنبيذ الأحمر القاني "زي اللى بشوفهم في السينما"

[١١] جرى العرف خطئاً قول إن التغيير يصل إلى ٣٦٠ درجة وهذا طبقاً "للجماعة" متخصصي علوم الرياضيات خطأ شائع حيث تمثل ٣٦٠ درجة عودة لنفس النقطة مما لا يعني أي تغيير يحدث عند الرسم بالمنقلة.

وقفنا لدقائق منبهرين بهذه الأجواء وشقيقتي تبحث بنظرها عن الممثلين المشهورين بالنسبة لها ولكنها لا تجد أياً منهم، و كنت أتوقع أنهم أصبحوا داخل القاعة بالفعل، وما هي إلا دقائق حتى تم إرشاد كل هذا الجمهور ذو -الدعوات الخاصة - الواقف بالبهو إلى حيث القاعة وأماكنهم، ودلنا أحد العاملين على المقعدين المتاحين لنا وكان موقعهما جيد إلى حد كبير، وسرعان ما بدأ الفيلم، فيلم Benim Dunyam أو "هذه دنيتي".

الفيلم بالتأكيد ناطق بالتركية ودون أية ترجمة للإنجليزية "مش مهم" المهم التجربة والأجواء نفسها، هكذا أقول لنفسي توقعت أن متابعة الفيلم من خلال الصورة فحسب سيكون أمراً مملا ولكنه لم يكن كذلك على الإطلاق، أولاً: لأننا أصبحنا جزءًا من حدث فريد بصدفة لا تتكرر كل يوم، ولا حتى كل عقد من الزمان- تخيل أنك بالولايات المتحدة والحظ أهداك فرصة لمشاهدة العرض الحصري الأول لفيلم لنجمك المفضل وبحضوره- وثانيًا: لأن أحداث الفيلم كان بالإمكان فهمها ومتابعتها حتى مع غياب اللغة – صحيح أن غيابها أفقدني المتعة الكاملة في المشاهدة- ولكن لا بأس الفيلم يدور عن قصة تشبه إلى حد كبير قصة هيلين كيلر[١٢]، فتاة تولد صماء وبكماء وعمياء في آن واحد، جحيم بكل

---

[١٢] أديبة ومحاضرة وناشطة أمريكية، وقد عانت هيلين كيلر من المرض في سن اثني عشر شهراً وافترض أطباء الأطفال بأنها مصابة بحمى القرمزية والتى تصنف بمرض التهاب الرأس مما أدى إلى فقدانها السمع والبصر تماماً. وفي تلك السنوات بدأت كيلر حياتها العلمية مع الأطفال المشابهين لحالتها . وعندما بلغت سن السابعة قرر والديها إيجاد معلم خاص لها . لذلك أرسل مدير مدرسة بيركنزا للمتفوقين الشابة المتخصصة ساليفان . حيث استطاعت ساليفان الاقتراب من الفتاة الأمر الذي كان له دور كبير في مجال التعليم الخاص .بعد أن أنهت كيلر التعليم الثانوي التحقت بكلية رادكليف حيث حصلت على شهادة البكالوريوس . وقد عاشت كيلر بعد ذلك مع معلمتها ساليفان بشكل دائم حتى وفاتها .وفي عام ١٩٣٤ منحت كيلر جائزة ليندون دجونسون وهو وسام الرئاسة للحرية .ومنذ عام ١٩٨٠ حيث يحتفل منذ ذلك العام بعيد ميلاد هيلين كيلر بمرسوم صدر من جيمس كارتر

المقاييس، ثم نتابع على الشاشة مشوار حياتها وصعوباته وتغلبها على هذه الصعوبات بمساعدة مدرس آمن بقدرتها أكثر من أبيها الذي رغب في إرسالها لمؤسسة ترعى حالات الإعاقة هذه.

الفيلم كان درامياً إلى أبعد الحدود ويصل بالمشاهد إلى حد البكاء والقاعة كلها تقريباً كانت تبكي ووسط هذا الاندماج إذ بشقيقتي "تفصلني☺" قائلة " المترو هيقفل هنروّح إزاي؟" فأجبتها باقتضاب "هنروّح بتاكسي بالتأكيد مش مشكلة " وأكملنا المشاهدة وانتهى الفيلم وضجت القاعة بالتصفيق الحاد للنجوم الحاضرين وغادرنا القاعة إلى حيث البهو الذي كنا فيه قبل بداية العرض، وإذ بسيل من الإعلاميين ينطلقون وينتشرون في جميع الاتجاهات لعمل لقاءات مع الحضور وأغلبهم ممثلين أتوا لمجاملة أبطال العرض حيث إن خالد أرغنش بطل حريم السلطان لم يكن مشاركًا بالفيلم وغيره الكثيرين، فها هي الجميلة أيجا بنغول بطلة مسلسل "على مر الزمان" متأنقة بفستان أبيض رائع، وها هي السيدة التي لعبت دور "أم كريم- مريم خانم" في مسلسل فاطمة وهكذا تعرفت أنا على عدد قليل من الوجوه الشهيرة الكثيرة هناك، وبالطبع رغبت شقيقتي في التقاط الصور معهم وهو ما تمكنت من فعله لها، ثم ظهرت الجميلة بطلة الفيلم بيرين سات بصحبة خطيبها آن ذاك "معرفش اتجوزوا ولا فشكلوا الآن" ومحاطة بكم كبير من الحرس الخاص وبتكالب من الإعلامين للتسجيل معها بعد أدائها البديع بالفيلم، الذي عرفت بعد عودتي لمصر أنه مقتبس من Format لفيلم هندى مشهور.

ثم غادرنا القاعة بعد ذلك مستقلين تاكسيًّا إلى الفندق.

إلى هنا تنتهي الحدوتة التي هي بالتأكيد ليست ملتوتة على الأقل بالنسبة لنا، تلك الحدوتة المدينون فيها للصدفة، الصدفة التي جعلتني أصر على الذهاب للمول هذا بالتحديد في هذا اليوم على الرغم من وجود قائمة بمولات كنت أرغب بزيارتها خلال الرحلة وبالفعل زرتها تباعاً بعد ذلك، الصدفة التي جعلتنى ألتقي بالشاب السعودي بالمحل مرة أخرى ويخبرنا بوجود الفنانين بالسينما، الصدفة التي جعلتني أترك إيناس عند الباب الخلفي للسينما فيعرض عليها الرجل الدخول دون زحام ومشاجرات ودون أن نكون من ذوي الدعوات، الصدفة التي صنعت لنا في أول سفرة للخارج ذكرى فريدة لا تُنسى بالفعل "لأنها ولا في الأفلام".

دروسي المستفادة:

١ - القدر يمنحك في السفر هدايا أحياناً فلتسعد بها.

ماذا عنك "هذه نسختك من الكتاب بالتأكيد لكن لا داعي لأن تحسدني وتكتب يا بابن المحظوظة☺" :

....

....



الحدوتة الخامسة : "اللي يسأل ميتوهش"

عنوان بالعامية المصرية ولا أوضح، عندما تكون سائحاً ثق تمام الثقة أن الغالبية العظمى يريد خداعك وتضليلك أو "عمل مصلحة من وراك" كما نقولها بالمصري حيث يرغبون في الحصول على أكبر قدر ممكن من المال مع تقديم خدمات عادية لا تتناسب والمال المدفوع.

حدث بعدما أتممنا إجراءات الحجز والتأشيرة ولم يتبق لنا سوى السفر فعلياً، أن عرضت علينا شركة السياحة المصرية الاشترك في بعض الرحلات الداخلية بإسنطبول أو بتركيا عامة ونكون بصحبة دليل ومرشد يجيد العربية والإنجليزية معاً، وكان من ضمن هذه العروض رحلة جزر الأميرات أو Princess Islands[١٣] وهي واحدة من أشهر الرحلات الداخلية هناك ويعرفها كل من سافر إلى إسطنبول بالفعل، كان عرضهم هذا مقابل مبلغ كبير من الدولارات على أن يشمل رفاهية بعض الشيء كأن تأتي لك سيارة لاصطحابك من أمام الفندق إلى حيث مرسى العبّارات التي

[١٣] جزر الأميرات هي مجموعة من الجزر عددها تسع جزر في بحر مرمرة تابعة لمحافظة إسطنبول بعضها كبيرٌ نوعاً ما، والبعض الآخر صغير جداً، يُقال إنها قديما كانت تستخدم كمنفى للثوار والسياسيين المغضوب عليهم، ولكن الجزر تتمتع بمناظر طبيعية جميلة، وهو ما يجعلها مقصداً للسائحين، إلاّ أن هناك سبباً إضافياً يجعلها مقصداً لهم وهو أنها توفر تجربة جميلة في أن التنقل فيها يكون بالعربات التي تجرها الخيول، أو بالدراجات الهوائية فقط وغير مسموح بتواجد السيارات.ومن هذه الجزر جزيرة بيوك آدا أو الجزيرة الكبرى وهي التي يقصدها السياح، وجزيرة هيبيلي آدا أو جزيرة حقيبة السرج وجزيرة بورغاز آدا أو جزيرة القلعة وجزيرة كاشيك أداسي أي الملعقة وجزيرة طفشان أداسي أي جزيرة الأرنب.

ستأخذك إلى حيث الجزر، وكذلك وجبة غذاء على الجزيرة، لم أقم بحجز هذا العرض وقتها، صحيح أنها السفرة الأولى للخارج ولم تتشكل بعد أي ثقافة سفر لدي وموضوع السفر بميزانية منخفضة، إلا أن الأمر ربما كان له علاقة بالجين المصري - إن جاز التعبير - الذي يرغب دوما في الفصال ويشعر أن القيمة التي سيدفعها أعلى مما سيحصل عليه، فضلت حينها أن نسافر أولا وحينها سأدبر أمري.

وبالفعل بعدما أصبحنا في إسطنبول ووجدت (ميدان تقسيم) يعج بمكاتب السياحة الداخلية هناك، وسألت في هذه المكاتب وجدت أرقاماً أو تكلفة مشابهة إلى حد كبير لتلك التي قيلت لنا في مصر وقتها كنا في زمن الدولار الجميل إن جاز القول على -غرار الفن الجميل- حيث كان وقتها ذلك الأخضر الجبار بستة جنيهات ونصف تقريباً "رحم الله هذه الأيام" كان تكلفة الرحلة وقتها قرابة ال ٧٠$ للفرد الواحد أي ما يقارب ٤٦٠ جنية، وإذا ضربتها في اثنين توشك أن تصل للألف جنية في رحلة داخلية فقط لا غير والميزانية لا تسمح، هنا كان لزاماً علينا أن نسأل وتبحث عبر الإنترنت بالتأكيد، كان أول من سألنا هو موظف استقبال الفندق وكنا محظوظين بوجود واحد في أواسط العمر ولكنه شعلة من النشاط والتعاون لا يقوم بواجبه فقط ولكن يرحب بأي أسئلة ويساعدك باهتمام وحفاوة فما أن تسأله عن شيء حتى يحدث لك منه ذكراً –

العجيب أنه من الخبرة النسبية في السفر تكرر هذا الأمر، أن تجد في مجموعة العاملين بالورديات المختلفة شخصاً مختلفًا عن بقية العاملين يحب مساعدة النزلاء بجد ولا يتعامل معهم على أنهم "سبوبة

وهتروح لحال سبيلها"- فلما سألته عن كيفية الذهاب أجاب تفصيلاً أنه لا داعي للاشتراك مع مكتب سياحة مكلف وأن الأمر سهل وممتع، كل ما علينا فعله أن نستقل المترو من محطة تقسيم حتى محطة Beşiktaş İskelesi ثم مغادرة المترو وعبور الطريق حيث سأجد على يميني البحر والمرفأ وشباك تذاكر العبارات وهناك فقط أسأل على العبارات المغادرة إلى جزر الأميرات، والعجيب أن تكلفة العبارة لم تكن تزيد عن ٥ ليرة للفرد وحينها كان سعر صرف الليرة التركية مقابل الجنية المصرى ثلاثة جنيهات وبضعة قروش وبالتالي تصبح تكلفة ذهابنا نحن الاثنين لا تتجاوز ال ٣٠ ليرة بالمترو والترام لكلينا، مقارنة بالرقم المهول الذي كنا على وشك دفعة لا لشىء سوى لمجرد أن سيارة ستصحبنا من حيث ميدان تقسيم إلى حيث المرفأ الذي يصله المترو والترام بكل سهولة !

بالفعل سرنا على وصف الرجل، وبالفعل وجدنا أنفسنا في عبّارة فخمة للغاية لا يمكن أن تتصور أنها عبّارة نقل عام بسعرها الزهيد هذا، منقسمة إلى جزئين: جزء علوي مكشوف على البحر يمكنك الاستمتاع بالجلوس فيه إذا كان الجو صحوًا وجميلا ومشاهدة رحلة ممتعة في بحر مرمرة، وجزء سفلي مكشوف مغلق ومفروش بأثاث أنيق وكراسي مريحة للغاية تكاد تنافس مقاعد الطائرات وشاشات تلفاز حديثة تعرض مواد سياحية عن تركيا ومقصف "كافتريا" يمكنك شراء مأكولات ومشروبات منها وبأسعار مقبولة.

بالتأكيد جلسنا هنا وهناك في الرحلة التي تمتد لقرابة الساعة مروراً بعدة جزر وصولاً للجزيرة الأخيرة والأهم وهي جزيرة (بيوك آضة) وهي المقصد بالفعل حيث إنها تكاد تكون أصبحت رحلة أساسية في برنامج المسافر إلى تركيا بسبب الشهرة التي اكتسبتها الجزيرة بعد تصوير مسلسل كان أسماء الشخصيات الرئيسية به نور ومهند - على ما أذكر - بها، وبالفعل أصبح الشارع الذي به القصر الذي ظهر في المسلسل والقصر نفسه من الخارج مزاراً يتهافت الناس على زيارته والتقاط الصور أمامه.

صحيح أن الجزيرة كانت محل إقبال من السائحين قبل المسلسل أيضاً لأنهم يقولون أنك هناك تسمع صوت الصمت حيث لن تسمع صوت أي محركات أو أبواق سيارات نهائياً، فقط أجراس الدراجات الهوائية وصهيل الخيول وبالتالي هذا ما جعلها وجهة سياحية لأنها تقدم تجربة مختلفة لا نعيشها الآن بسهولة حتى وإن سافرت للريف في بلدك " ستجد التوكتوك وصوت محركه والكاسيت الخاص به".

استقللنا حنطوراً حيث لا سبيل هناك سواه، والدراجات الهوائية والسير على الأقدام بطبيعة الحال.

وبالفعل جاب بنا الحنطور أرجاء الجزيرة الجميلة – بعد فصال في تكلفة الجولة. وخذها قاعدة عند السفر لا تقبل بأول سعر يُقال لك – وتوقف أمام القصر إياه ونزلنا والتقطنا الصور، أفعل هذا وأنا سعيد بالرحلة حزين على حالنا فها هم الأتراك يصنعون من الرمل ذهبا أو من الفسيخ شربات إن شئت، قصر عمره لا يعدو كونه بضع سنون في عمر

الزمن أصبح مزاراً هو والجزيرة بأكملها ونحن ننعم بكنوز تاريخية حقاً ولا نجيد تسويقها أو حسن استغلالها!.

أكملنا التجول في الجزيرة، حيث طرق جميلة، ومشي بحرية وشوارع لها طابع كرنفالي من البهجة لا تعلم مصدره، ومحال يميناً ويساراً منها ما يبيع تذكارات للمسافرين ومنها ما يبيع أقمشة وبعضها يبيع سجاد، ولا أنسى محل مخبوزات كانت لديه مخبوزات رائحتها "بتطير العقل" - كما يقول الشوام - وكذلك مطاعم مطلة على مياه البحر مباشرة ليصبح تناول الطعام بها على إطلالة فريدة وبالفعل تناولنا الطعام في إحداها وكانت وجبة شهية وغير مكلفة على الإطلاق وعدت بالذاكرة والسنوات للوراء كثيرًا إلى زمن وذكريات الطفولة، حيث تمكنت من تأجير دراجة جبت بها بعض شوارع الجزيرة وسعدت كون مهارة قيادة الدرجات والتي لم أمارسها منذ أكثر من اثني عشر عاماً وقتها كانت ما تزال لدي و "موقعتش" وأنهينا اليوم في السادسة مساءً بالعودة إلى المرفأ لنلحق بالباخرة قبل الأخيرة تقريباً والتى إن فاتتك لا يعني هذا سوى المبيت بالجزيرة حتى صباح اليوم التالي وعودة العبارات للعمل من جديد.

وانتهى اليوم وتكلفته لا تقارن إطلاقاً بتلك التي كان من الممكن أن أتحامق وأدفعها سواء في شركة السياحة هنا في مصر أو شركات السياحة الموجودة في تقسيم.

درسي المستفاد : أنه صحيح كما يقول المثل المصري " الغريب أعمى ولو كان بصير" وربما من هذا المنطلق ستميل عند السفر للاستسهال وحجز الرحلات ذات الصحبة عبر مكاتب السياحة التي تلقي عن كاهلك عبء البحث والترتيب والتخطيط، ولكن ثق أيضاً أن "اللي يسأل ميتوهش".

الحدوتة السادسة : دوخيني يا ليمونة :

لا شيء يُذكر في هذه الحدوتة سوى أنها حدوتة تسوق، فإن كنت من هواة التسوق خلال السفر ومن أولئك الذين يستطيعون ضبط ميزانياتهم خلال السفر للاستمتاع بالتسوق، فإليك حدوتة المتاهة أو كما اسميتها "دوخيني يا ليمونة"

بعد انقضاء سهرتنا إياها والتى لعبت الصدفة فيها دور البطولة وجعلتنا من حضور الفيلم إياه وقت افتتاحه أصرّت شقيقتي أنه لا داعي لتأجيل رحلة التسوق أكثر من هذا، تلك الرحلة التي تسعد قلب أكثر النساء بؤساً في العالم متى قلت لها " يلا نعمل شوبينج☺" خاصة وإن منحتها المال الكافي لهذا "وإن كان لا يوجد مال كافي في هذه الحالة بالنسبة لهن" أو منحتها بطاقاتك البنكية الائتمانية منها وغير الائتمانية.

وبناء على كل هذا ذهبنا في الصباح الباكر" اليوم من أوله طبعا" بعد ما سمحت لي بتناول الإفطار في الفندق ووافقت على استخدام المترو والترام الذي أصبحنا بارعين إلى حد كبير في استخدام كليهما وفهم

خرائطهما، وقصدنا ال Grand Bazar أو السوق الكبير وهو أشبه بأحجية أو متاهة حقيقية حتى المسئولين عن الترويج السياحي يدركون هذا ويكتبون في مطبوعاتهم "هل جربت المتاهة من قبل، هنا ستجربها بأكثر من ٥٠٠٠ متجر للبضائع المختلفة " يا له من رقم وهو ما كان يشي بأننا "هنبات هنا الليلة دي "

صراحة تم تصميمه بطريقة عبقرية هندسيا، حيث أسقف مرتفعة للغاية تأخذ شكل نصف دائري والعديد والعديد من الممرات التي بها يمينا ويساراً محال بالطبع والتي تفضي بدورها لممرات أخرى التي تأخذك لممرات ثالثة وهكذا هو الأمر طوال الوقت.

البضائع المعروضة يمكنك وصفها بأنها "من الإبرة للصاروخ "، محال ملابس حدث ولا حرج بل محال متخصصة بطبيعة الحال للسيدات وأخرى للأطفال وثالثة للشباب والرجال، ومحال للتوابل والعطارة بل للدقة هو سوق كامل لها داخل السوق الكبير او بامتداده وللصدفة اسمه "السوق المصرى"، ويقال إن المصريين الذي جلبهم معه أحد سلاطين الدولة العثمانية قد استقروا هناك، هذا ومحال أخرى تبيع التذكارات السياحية التي يحرص السياح على شرائها لتوزيعها كهدايا على الأهل والأصدقاء.

أما إن كنت ترغب في شراء مصنوعات جلدية إذا ثقّل جيبك فالجلود هناك تباع بأسعار فلكية لكونها جلود أصلية وطبيعية، فضلاً طبعا عن سوق خاص بجهاز العرائس ولا أعلم هذه صدفة أم أنهم مثلنا "يجهزون العرائس" بالستائر وأطقم الكاسات وطناجر الطهى وما إلى ذلك !

وهكذا تظل تمضي من محل لآخر ومن ممر لآخر وترى البضائع وتقارن بينها وتشتري ما ترغب أو تسمح به ميزانيتك.

لك أن تعرف أن السوق الكبير هو سوق شعبي الطابع والطراز، وأغلب مرتاديه من السياح الأجانب والعرب على حد سواء والمحال به لا علاقة لها بالفخامة من قريب أو بعيد بل هي دكاكين متجاورة ولكنها لا تفقد لمسة من فن وذوق يميز المجتمع التركي، وبالتالي ولكونه سوقًا شعبيًّا فهو ذو أسعار جيدة للغاية خاصة إذا ما قارنتها بين المنتجات التركية الموجودة في السوق المصري وخاصة الملابس تجد أن كافة المقارنة ترجح لتركيا بالتأكيد وهذا بالأدلة.

أذكر منها أن شقيقتي وجدت قطعة ملابس شتوية أعجبتها وبالفعل اشترتها وبعد الفصال الذي هو من النصائح الأساسية عند الشراء من الأسواق الشعبية أصبح سعرها حوالي ٩٠ جنيهاً مصرياً وهو بالتأكيد سعر "لُقطة" ولما عدنا أرض الوطن وجدت نفس ذات القطعة وبنفس الصناعة بالفعل "Made in Turkey" في أحد المحال وكان سعرها تجاوز الثلاثمائة جنية بعشرات الجنيهات، وهو ما أحزننا أن يكون الأمر غشا تجاريا إلى هذا الحد، لاحظ أننا اشترينا من المحل هذا قطعة واحدة فما بالك إن كنا اشترينا عددًا كبيرًا وبمقاسات مختلفة مثلا بالتأكيد كنا سنحصل عليها بسعر أقل من التسعين جنيها، وبالتأكيد البائع الذي باعها بهذا السعر نال هامش ربحه ومكسبه بالتأكيد "مش هيبيع بخسارة يعني" ! وماذا لو اشترينا من محال بيع الجملة سواء بأكسراي أو عثمان بيه كما يفعل التجار المصريون.

ومما عرفته لاحقا أن التاجر المصري يُحمّل المستهلك تكلفة سفره كاملا ف "الباشا" يُحمّلك تذكرة الطيران والفندق الجيد أو حتى الممتاز الذي ينزل به وانتقالاته وتنزهاته أيضا ويعود ليجني مالا وفيراً بعد هذا كله " يلا ربنا يسهل لهم " قد يكون الأمر لم يعد كذلك بسبب الأوضاع بين البلدين حالياً ...لست أدرى.

على كلِ انتهت حدوتة الشراء هذه بعدما لم يعد هناك مكان في يدى أو في يدها يستطيع تحمل المزيد من الأكياس- وللصراحة أنا أيضا تسوقت بعض الأغراض بسبب جودة المنتج والسعر ولكن بالتأكيد ليس مثلها - فعدنا للفندق وعلامات السعادة "بتنط من عنيها" !!.

الحدوتة السابعة: الفضول

صحيح هذه كانت رحلتي الأولى لاكتشاف العالم الرحب والكبير وبالتالي كانت روح المغامرة غير موجودة تقريبا والحذر هو سيد الموقف – غريب في بلاد غريبة – ولكن القليل من الفضول لن يضر.

معروف أن تركيا دولة إسلامية أو للدقة أن أكثر سكانها يعتنقون الإسلام - حيث إن دستورها يقر كونها دولة علمانية - ولكن هذا لا يمنع من وجود أقليات دينية وبالتأكيد من ضمن هذه الأقليات المسيحية .

وكان في (ميدان تقسيم) كنيسة كبيرة وضخمة تقف شامخة كقلعة في الميدان، وكانت إطلالة مطعم الفندق على هذه الكنيسة، دفعني الفضول لزيارتها لمعرفة ما إن كانت متاحة للدخول والزيارة أم تقتصر على أيام وطقوس الصلاة والقداسات أيام الآحاد؟

وفي صباح باكر تناولت الإفطار وغادرت الفندق للتجوال بمنطقة تقسيم الجميلة والسؤال في بعض مكاتب السياحة حول رحلة داخلية خارج إسطنبول، ولكنني اكتشفت أن مكاتب السياحة لم تعمل بعد، أكملت المسير فإذ بي بجوار بوابة الكنيسة الحديدية فدخلت وصعدت الدرج المؤدي للباب الكبير للكنيسة نفسها ولكنني وجدته مغلقا، ثم ظهر لى من حيث لا أدري أو كما يقولون From the middle of nowhere رجلا، حييته وتحدثت معه بالإنجليزية التي يبدو أنه فهمها هل متاح الدخول الآن؟ فأجاب نعم، ولكن لأدفع له أية نقود. اندهشت من الطلب ولكن الفضول كان يدفعني لمشاهدة الكنيسة الكبيرة من الداخل فمنحته عشرة ليرات ووجدته يشير أن اتبعني ثم أحضر مفتاحا ضخما لباب أكثر ضخامة وفتحه لي وسمح لي بالدخول وتركني وانصرف .

باستثناء عدة أكاليل أفراح حضرتها لأصدقاء مسيحيين في كنائس أرثوذكسية لم يسبق لي دخول كنيسة مختلفة إلى هذا الحد من قبل، حيث سقف شاهق العلو ورسومات زيتية بديعة تغطي السقف وكل جدران الكنيسة ببراعة تجعلك تقف مفتونا بهذا الفن، ثم مذبح ضخم مرصع بالذهب في صدارة الكنيسة وعلى يمينه كرسى الباباوية الخاص بقس الكنيسة وهو تحفة من الخشب المنقوش بالصلبان، وبينما أنا منبهر

بما أرى وأحاول تصوير زوايا المكان إذ بي أسمع صوتا مرعبا، التفت ورائي لأجد أن ذلك الباب الضخم الذي دخلت منه قبل قليل قد انغلق وأنني هنا بمفردي. لن يسمعنى أحد بالطبع مهما ناديت او استغثت، صراحة خفت أن يكون الرجل الذي أدخلني قد ظن أنني غادرت الكنيسة وأغلقت الباب ورائي وانصرفت فينصرف هو الآخر وأعلق أنا في المكان وإيناس لا علم لها بمكاني.

وصراحة اللحظات التي مرت وأنا أسير من عند المذبح حتى وصلت للباب كانت دقات قلبى فيها تتسارع، ولما وصلت للباب نفسه وجدت أن المقبض مرتفع بشكل لا داعي له ولكن المهم أنني أمسكت به وفتحت الباب فانفتح ولله الحمد فتنفست الصعداء.

انتهت الحدوتة ولم أكن أعلم أن فضولي لن ينتهي فيما يخص الكنائس والكاتدرائيات وأن القدر يخبأ لى زيارات وزيارات لكنائس عدة بعد ذلك وأننى سأكون مفتون بالفن المعمارى الكنسي الذي هو بحق يستحق الإعجاب.

درسي المستفاد:

قد تبدو الحدوتة تافهة أو ساذجة ولكن صدقني كان درسي المستفاد منها أنه ما إن كان معك صحبة في سفرك حتى وإن تفرقتم من الأفضل أن يعلم كلا منكما مكان تواجد الآخر ويا حبذا لو هناك إمكانية تواصل هاتفي من آن لآخر ...لا تنس أن حوادث ساذجة من الممكن أن تحدث ولكن تكون نتائجها كارثية لا قدر الله.

الأمر في هذه الحدوتة كان بسيطا إلى حد كبير ولكن الحذر والأخذ بالأسباب أمر جيد في كل الأحوال.

الحدوتة الثامنة: سفر على سفر:

من الجميل عندما تسافر أن تحاول ألا تجعل إقامتك في مدينة واحدة، وأن تحاول استكشاف أماكن ومدن أخرى، سيكلفك الأمر بعض المال في الأغلب لكن بالتخطيط الجيد يصبح الأمر تحت السيطرة.

إسطنبول مدينة كبيرة لا شك وتحتاج إلى أيام لتنتهي من زيارة معالمها السياحية والتاريخية على كثرتها، والحق يقال إنك ربما تحتاج لشهر كامل في إسطنبول وحدها لتتمكن من سبر أغوارها "زى ما كنا بناخد في العربى زمان ☺" واستكشافها بعمق، ولكن هذا لم يكن ليعني أن نمضي الوقت كله هناك بل بالإمكان مغادرتها والعودة في نفس اليوم بطريقة ال"صد رد" التي نفهمها هنا في مصر.

ولكثرة مكاتب السياحة الموجودة في محيط (ميدان تقسيم) كما ذكرت وبالسؤال والبحث وقع الخيار على إحدى وجهتين، إما رحلة إلى (سبانجا) و(معشوقية) أو رحلة إلى مدينة (بورصة)، وكالعادة وجدت أسعاراً مبالغًا فيها من معظم المكاتب حتى قادتني الصدفة لمكتب يعمل به مجموعة من السوريين الموجودين بتركيا بعد الحرب السورية، وكانوا يقدمون أسعاراً تنافسية بالمقارنة مع غيرهم، وجزء من التنافسية العالية هي خدمة عرض المعلومات عن الرحلات التي لا اكتفاء فيها بمجرد الكتيب

الدعائي أو ال "Brochure" - وتكاد تكون هذه هي العادة في أي مكان حيثما وجدت سوريين وجدت ناس "بتوع شغل " وموهوبون فيما يقدمون – فما إن أخبرت الفتاة السورية بارعة الجمال والحسن "ريتا....شفت إزاي منستش اسمها لسة☺" بالوجهتان اللائي أفاضل بينهما حتى استفاضت في المعلومات عن كل واحدة منهما بل عرضت على جهاز الكمبيوتر الذي أمامها عرض تقديمى Power point مجهز عن كلٍ منهما ولتقارب تكلفة كلا منهما طلبت منها ترشيح الأفضل نسبيا فرشحت لى مدينة بورصة حيث إنها رحلة حلوة وتجربة ممتعة بكل تفاصيل اليوم التي سبق وشرحتها وبالفعل كنت أكثر حماسًا لها، كانت التكلفة - على ما أذكر - ٧٠ دولارًا للفرد أي حوالي ٤٥٠ جنيها مصريا وقتها بالطبع. صحيح أن المبلغ ليس قليلاً ولكن ضع في اعتبارك أنها رحلة داخلية ذات تفاصيل عديدة سنغادر فيها إسنطبول لمدينة أخرى تبعد عنها بحوالي ثلاثة ساعات، كما أن باقي التفاصيل تجعل منها ونحن في تجربتنا الأولى سياحياً أمراً صعباً بعض الشيء أن ننفذه بمفردنا، كما أن هذا المبلغ يشمل الكثير من الرفاهية والترفيه.

في تمام السابعة والنصف صباحاً من اليوم التالي للاتفاق كان مرافق ومرشد الرحلة السيد سمير، خفيف الظل قصير القامة، يتصل بالغرفة ليخبرني أنه في انتظاري بردهة الفندق، وبالفعل كنا في انتظار وصوله وسرعان ما تحركنا، حيث وجدنا سيارة ميكروباص يمكن وصفه ب "سياحى فاخر بجد" تنتظرنا، فصعدنا ووجدنا شاب وشابة أعمارهم لا تتجاوز بداية الثلاثينات، ثم ذهبنا إلى فندق (جراند حياة) الشهير لنصطحب زوجاً آخر ثم فندق أخير لنصحب آخر "Couple" في هذه

الرحلة وبالتالي أصبحنا أربعة شباب وأربعة شابات، القاسم المشترك بين ثلاثة منهم أنهم يقضون شهر عسلهم عقب الزواج حديثاً منهم زوجاً من المصريين، وبالتالي أصبح المصريين اغلبية في السيارة هكذا، وزوج من الإمارات "بتوع جراند حياة بالطبع" والزوج الأخير من أهل الخليج لكن لم نتعارف وبالتالي لم أتمكن من معرفة جنسيته .

جابت السيارة شوارع إسطنبول إلى أن انتهينا منها وأصبحنا على الطريق السريع، صحيح وجدت أن لديهم في تركيا نظامًا ما يعرف بال"كارتة" أي رسوم يتم تحصيلها مقابل استخدام الطرق السريعة، ولكن الفرق شاسع بين الطريقيتين فهنا في مصر تصطف السيارات في طابور طويل تنتظر دورها ودفع الرسوم والحصول على إيصال، أما هناك فلا حاجة لأن تهدأ من سرعتك من الأساس فقط هناك بوابات كبيرة بمجرد ما تعبر من خلالها يتم قراءة اللوحة المعدنية للسيارة أو الحافلة، ويتم خصم الرسوم من حساب مربوط برخصة السيارة.

وبعد المسافة التي قطعناها، أخبرنا سمير أننا سنركب عبّارة، السيارة نفسها ستصعد على هذه العبّارة كما هو الحال بين بورسعيد وبورفؤاد في مصر، وأنه علينا مغادرة السيارة وقضاء وقت ممتع في مقصورة الركاب حيث ستستغرق رحلة العبور هذه قرابة الأربعون دقيقة وهو ما حدث. وشتان بالتأكيد بين عبارة بورفؤاد وعبارة بورصة إسطنبول فالأخيرة مجهزة تجهيزاً فندقياً حيث مقصورة فخمة لا تختلف كثيراً عن سابقتها في رحلتنا إلى جزر الأميرات بل وجه الاختلاف هو زيادة الفخامة ، وسرعان ما صعدنا إلى الجانب المكشوف منها للاستمتاع

بمنظر بانورامى فريد ورائع فاستمتعنا بالهواء المنعش والشمس الدافئة بعض الشيء، وهناك لاحظت أن الرجل المصري وزوجته يتحاشيان البقاء في محيط تواجدي أنا وإيناس، لا أعرف السبب ظننت أول الأمر أنها مجرد صدفة حيث ما إن وقفنا بجوارهما لنشاهد البحر حتى أسرعا بالمغادرة رغم أننا لم نقطع عليهما أي خلوة "ولا حتى كان بيحضنها مثلا☺" ولكن تأكدت بعد ذلك أن الأمر ليس صدفة لتكراره على مدار اليوم فتركته وشأنه بطبيعة الحال وأنا وإيناس مندهشين من تعامل أو نماذج المصريين العجيبة التي شاهدناها منذ وصولنا للبلد حيث سبق وحاولت أن أفتح مجالاً للكلام مع زوجٍ من المصريين في الفندق الذي أنزل به إلا أن الرجل انهى الحديث بغلظة مباشرة واقتضاب !

المهم أن رحلة العبارة هذه انتهت وعدنا للسيارة من جديد وأكملنا باقي الطريق إلى بورصة الذي استغرق ساعة كذلك وكانت الخطة عند الوصول لبورصة تقتضي صعود الجبل هناك بالسيارة ثم التوقف لاستخدام التلفريك أوال Cable Car ومواصلة صعود الجبل حتى الوصول إلى ما قبل القمة بقليل، وهناك من المفترض أن نجد مطعماً يقدم لنا وجبة غذاء ولكن مختلفة، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فلم تسر الخطة بتلك الدقة حيث بوصولنا للجبل وهو طريق ملتو بشكل عجيب، ثم عند النقطة التي كان ينبغي التوقف عندها واستخدام التلفريك عرف سمير أنه مُعطل اليوم لأعمال الصيانة "يا له من حظ" وانه علينا إكمال باقي صعود الجبل بالسيارة إن رغبنا، وهو الأمر الذي أرهق كلانا، السيارة وموتورها من ناحية ونحن معشر الركاب من ناحية أخرى، فالطريق أصبح حلزونيًّا بالفعل ما يكاد يستقيم عدة

أمتار حتى ينعرج بزاوية حادة مرة أخرى، كان شعار الصعود حينها " الحلزونة يا أما الحلزونة" كما قال عادل إمام، كنت أنظر لإيناس وباقي الركاب فأجد علامات الشحوب بادية عليهن ، هنا طلبت مني شقيقتي كيسًا بلاستيكيا لأنها تشعر بدوار حاد وما إن منحتها اياه حتى فعلت ما طلبت الكيس لأجله، والعجيب أن الثلاث سيدات الأخريات طلبوا نفس الطلب من سمير الذي لسوء الحظ لم يكن معه ما يكفي من الأكياس، وكلهن تقيأن للأسف من فرط الحركة والدوار الذي أصبن به جميعا.

وأخيراً وصلنا إلى نقطة ما قبل قمة جبل الأولوداغ، وبمجرد نزولنا من السيارة لفح وجوهنا هواء بارد للغاية فكان منعشاً ولا شك خاصة للنسوة اللائي فقدن لياقتهن أثناء رحلة الصعود، وبالتالي بعد هذا الهواء الجميل عدن جميعاً لروح المرح وجو الرحلة وأصبحن بخير.

ومن المواقف الإنسانية حينها ونحن في السيارة هو سمات الزواج والعوز للسند حيث أراحت كل سيدة منهن رأسها على كتف زوجها الذي أخذ بدوره يهدهدها كما الطفل الصغير ويحاول كلا منهم تصبير زوجته بأنها هانت وأننا أوشكنا على الوصول وهو ما فعلته مع شقيقتي لذا كانوا يظنون أننا مثلهم عرسان جدد في شهر العسل.

بوصولنا للمطعم أخبرنا سمير أننا سنستريح هنا قرابة ساعتين أو أكثر قليلاً مستمتعين بالغذاء على سفح الجبل الجميل، وبالفعل قدم لنا المطعم وجبة غذاء مختلفة ...كيف؟

أتى النُدل ووضعوا أمام طاولة كل زوج منا شواية وعدة شواء وطبق فيه قطع من اللحم المتبل لشيّها على أن يصبح كل واحد منا هو المسئول عن إعداد وجبته، وكانت حقاً تجربة جميلة ومختلفة تماماً فها أنا ذا أجرب الشواء للمرة الأولى في حياتي أو ال Barbecue وأنا على سفح جبل الأولدوغ في بورصة في تركيا وسط جو بارد منعش وتمنحنا الشواية بعضا من الدفء، وعلمني سمير كيف أتمم عملية الشي وأنه يتعين عليّ تقليب القطع على وجهيها من آن لآخر حتى لا تحترق وحتى أضمن تمام الشواء والنضج، وكانت طاولتي والشواية الخاصة بي بجوار الإماراتي وزوجته وكان ودوداً مبتسمًا دوما، وتبادلنا الدعابات عندما وجدني أقوم بالشي وحدي وهو كذلك وكلا من زوجته وشقيقتي يلقيان إلينا بالتعليمات، الخلاصة أنهم كانوا ثنائي ذو روح مرحة، تناولنا الطعام صنع يدي "نسبيًا" وكان شهيا بحق ولم ترغب إيناس في الأكل كثيرا خوفا من رحلة الهبوط من الجبل بنفس الطريقة.

ثم أخبرنا سمير أننا سنصعد لقمة الجبل باستخدام نوع آخر من التلفريك ليس تقليديًّا حيث كبسولة مغلقة ومعلقة بسلك أو wire وإنما عبارة عن لوح من الخشب مثبت على قائم معدني بزاوية قائمة يتسع لشخصان فقط ويغلق عليهما ببوابة أمان كتلك في ألعاب Dream park ويتحرك عبر سلك أيضاً ركبناه جميعاً ووصلنا إلى حيث قمة الجبل، صحيح كنا في أكتوبر ولكن الجو هناك كان بارداً للغاية ولولا أن الجميلة ريتا في مكتب السياحة كانت قد أخبرتني أن أحضر ملابس شتوية ثقيلة من أجل الطقس فوق الجبل لكنت تجمدت برداً أنا والفتاة " أختي يعني☺".

وهناك على قمة الجبل تشعر بحالة من النشوة والصفاء وكأنك في جلالة ما تزيدها الأجواء الباردة بطبيعة الحال، التقطنا بعض الصور التذكارية ووقفنا بعض الوقت نستمتع بالمنظر الجميل، ثم حان وقت النزول مرة أخرى وهنا خاف الجميع من استخدام التلفريك إياه حيث إن المنظر عند النزول يكون مرعبا بحق وآثروا النزول سيراً على الأقدام بصحبة سمير الذي لم يجد من بد سوى الانصياع لرغبة الجماهير رغم أن الطريق الجبلي وعر وغير ممهد للسير.

كنت أنا وشقيقتي الاستثناء في الأمر حيث غامرنا باستخدام التلفريك ثم تشجع زوجاً آخر بعدما اطمئنا أن هناك من سبقهم، ولما هبطوا جميعا بالسلامة وكنا قد هبطنا قبلهم بالتأكيد، ركبنا السيارة من جديد وهذه المرة وزع سمير على الجميع أكياس بلاستك أخذها من المطعم، ولكن لم يحتاجها أحد خلال رحلة النزول حيث كانت أيسر بعض الشيء، كما أن الغالبية قد ذهب في غفوة من جراء الطعام والهواء والجبل.

ثم وصلنا إلى وسط المدينة حيث سوق بورصة الشهير، وهو سوق تحت مستوى الأرض كما مترو الأنفاق، كبير المساحة ومتعدد المحال وبالتأكيد لم تكن شقيقتي والسيدات ليفوتن الفرصة، فشرعن يمشين من محل لآخر وإيناس تشتري وأنا أحمل الأكياس بالطبع، ولم يسلم الأمر من عمليات شراء قمت أنا بها كذلك.

وغادرنا السوق ملتزمين بالوقت الذي حدده سمير ولكن لم يكن الآخرين ليلتزموا خاصة أهل الخليج فعادوا بعد الوقت المتفق عليه بساعة إلا ربع تقريبا محملين بأكياس وحقائب كثيرة، ثم تحركنا بعد ذلك إلى منفذ بيع الحلوى الشعبية التركية "اللقوم" وهي تشبه الملبن إلى حد ما ويكثر شراؤها كهدايا بسيطة للأهل والأصدقاء، ثم كان طريق العودة مرة أخرى إلى إسطنبول، الطريق السريع أولاً ثم العبّارة مرة أخرى وحينها لم يستطع أيا من الركاب الوقوف على الجزء المكشوف منها حيث البرد شديد والهواء بالطبع، كما أن منظر البحر المظلم ليلا له رهبته خاصة بالنسبة لي.

ثم أكملنا باقي الطريق إلى إسطنبول، كان معظم الركاب قد ناموا من التعب عندما أيقظهم سمير ليشاهدوا المشهد الرائع لجسر البسفور الشهير بألوانه وإضاءته الليلية الأخاذة، فشاهدته عن قرب بسعادة غامرة كانت تبدو كذلك في عيون باقي زملاء الرحلة الذين شرعوا في التصوير ولكن إيناس كانت نائمة للأسف وما تزال تبكتني من آن لآخر كلما تذكرت أنني لم أوقظها عند الجسر.

عدنا إلى إسطنبول في الحادية عشر ليلاً بعد يوم طويل ولكنه بكل المقاييس ممتع، وعندما تمنى لنا أحد الرفقاء حياة زوجية سعيدة -وأظنه الإماراتي "العتب على الذاكرة"- فاجأته والجميع أننا لسنا مثلهم أزواج في شهر عسل ولكن أشقّاء.

وفور وصولنا صعدت إيناس للفندق وأنا كذلك لكن سرعان ما غادرته مرة أخرى حيث السير في ميدان تقسيم ليلاً فلم أكن لأفوت هذه الفرصة للنوم مبكراً بأية حال، حيث إن السير في تقسيم ليلا أو نهارا ومشاهدة المحلات المختلفة هي فسحة في حد ذاتها، فالشارع أوروبى الطراز بامتياز، حيث هو للمشاة فقط ويقطعه شريط لترام قديم لا يتقاطر إلا كل مدة كبيرة، وبإضاءات ليلية تلمع كقطع الكريستال وأرضية من البازلت القديم - ما لم تكن الذاكرة قد خانتني - وكثيراً ما تجد فنانين موهبين بحق يميناً ويساراً منهم من يعزف الموسيقى، ومنهم من يغني، ومنهم من يرقص ويضعون كما في أوروبا قبعة أمامهم أو وعاء ما كنوع من سؤال الناس المال ولكن بطريقة أنيقة وفنية ولا تخلو من ذوق ورقي، وبالتالي تختلف "الشحاتة" لديهم جذرياً عن المفهوم الذي نعرفه عنها.

أول بختى : تركيا

ربما تنتهي أو تتوقف الحواديت عند هذا الحد لكن هذا لا يعنى إطلاقاً أن الكلام عن إسطنبول قد انتهى، فما زال في جعبتي الكثير من الكلام عنها ولكن في هذا الجزء ستكون مهمتي هي الإرشاد السياحي نوعاً ما بما يحمله من نصائح سفر ومعلومات عن المدينة والدولة وبالقطع الأماكن ...فهيا بنا.

إسطنبول واحدة من أكبر المدن التركية الواقعة على بحر مرمرة والتي تصل قارتي آسيا وأوروبا ببعضهما البعض وتقوم بدور الجسر بين الشرق والغرب –على حد تعبير البعض- وتنقسم هذه المدينة إلى قسمين بواسطة مضيق البسفور الذي يصل البحر الأسود ببحر مرمرة، صحيح

أن المدينة ليست هي العاصمة حيث تقوم أنقرة بهذا الدور إلا أنها تمثل العاصمة السياحية والثقافية لتركيا حيث تشهد أعلى نسبة إقبال سياحي بين المدن التركية، كما أنها لم تغادر منذ سنوات قائمة أكثر عشر مدن زيارة على مستوى العالم[١٤].

كانت رحلتي هناك متنوعة بين الاستكشاف والدهشة والسعادة لكونها الرحلة الأولى للخارج وبين التاريخ وعبقه نهارًا حيث القصور والمساجد والمتاحف وبين العولمة والحداثة مساءً حيث "المولات" ودور السينما وبالتأكيد لن تكون في إسطنبول وبصحبة أنثى إلا وسيكون التسوق نشاطاً أساسيًا بل وشبه يومي.

ولكن لنبدأ بأهم أربعة أمور يبحث عنهم أي مسافر قبل وأثناء التخطيط للسفر:

١- التأشيرة : هذه أصبحت "حكايتها حكاية" وقت ذهابي كانت الإجراءات ليست بهذا القدر من الصعوبة والتعقيد الآن يقتضي حصولك على تأشيرة تركيا حجز موعد من السفارة عبر الإنترنت والذهاب في هذا الموعد بالضبط ومعك استمارة التقدم بطلب التأشيرة الذي تكون قد حمّلته من موقع السفارة وقمت بتعبئته، وكذلك جواز سفرك الصالح لمدة ستة أشهر من تاريخ عودتك

[١٤] تُنظم عدة جهات أو مواقع استقصائية مختلفة استبيانات إحصائية سنوية عن أكثر ١٠ مدن زيارة فى العام ، لم تغادر إسطنبول هذه القوائم ، وإن اختلف ترتيبها ، من أهم هذه الجهات التي تصل إلى هذه النتائج شركة ماستر كارد الشهيرة ، وذلك اعتمادًا على طريقة الدفع عبر الكارت البنكي غير المحلي، و Euromonitor للأبحاث.

لمصر، وخطاب من العمل ببياناتك الوظيفية وإجمالي دخلك، ويمكن تبديله بسجل تجاري وبطاقة ضريبية إن كنت صاحب عمل حر وكذلك كشف حساب بنكي بآخرستة أشهر يشمل حركة إيداع وسحب بشكل جيد ودفع الرسوم التي وصلت وقت كتابة هذه السطور لحوالي ١١٠ دولاراً أمريكيا، وبالطبع حجز مبدئي للطيران وكذلك حجز مكان للإقامة.

ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد، فبعد حوالي سبع أو عشرة أيام ستحصل على التأشيرة ولا يعني هذا أنك تستطيع السفر حيث يتحتم عليك في هذه المرحلة الذهاب إلى مجمع التحرير وتقديم طلب الحصول على تصريح أمني[١٥] للسفر من ضابط الاتصال بمجمع التحرير بعد دفع الرسوم وتعود بعد حوالي أسبوع أو عشرة أيام لترى ما إن تم التصريح لك بالسفر أم لا....وبالطبع إن لم يتم التصريح لك بالسفر معنى هذا أن كل الخطوات السابقة قد ذهبت هباءً منثوراً مع بعض الخسارة المالية بالتأكيد.

٢- فيما يخص أنسب أوقات الزيارة، الأفضل هو أن تحاول الابتعاد عن موسم الذروة وهو موسم أواخر الربيع وطوال الصيف، حيث

[١٥] التصريح الأمني : بعام ٢٠١٤ صدر مرسوم بقانون يقضي بمنع أي مواطن مصري من السفر إلى عدد من البلدان قبل الحصول على تصريح أمني يتم استخراجه أولاً قبل السفر عبر تقدم المسافر بنفسه لضابط الاتصال بمجمع التحرير وتقديم طلب الحصول على التصريح وذلك لدواعي الأمن القومى بحسب مرسوم القانون ثم تم تعديله وإضافة بلدان أخرى ليصبح عددها ١٦ دولة وهم " تركيا- قطر- سوريا- لبنان- ليبيا- اليمن- إسرائيل- تايلاند- السودان – الأردن – ماليزيا- كوريا الجنوبية- غينيا- أندونيسيا- جنوب إفريقيا- العراق- جورجيا – إيران" وتختلف ضوابط استخراج هذا التصريح بحسب الدولة التي ستسافر لها.

البلد ستكون ممتلئة بالعرب وغيرهم وكلما قل عدد السائحين كلما زادت فرصتك في الاستمتاع بالمدينة دون زحام إلا إذا كنت ترغب في الضوضاء والزحام بطبعك، في هذه الحالة ثقل جيبك لأن الأمور وقتها ستخضع لسياسة العرض والطلب وستجد أن فندقاً مثاليا يمكن الاقامة فيه خارج أوقات الذروة بتكلفة وفي أوقات الذروة هذه بتكلفة أخرى تماماً، وبالتالي من وجهة نظري المتواضعة أن الخريف وقت مناسب للزيارة، زحام أقل، أسعار أفضل وطقس منعش ليس حارًّا وليس بارداً مثل الشتاء القارس لديهم، عن نفسي زيارتي كانت في أكتوبر وربما فقط تحتاج الى قطعة ملابس شتوية على يديك في المساء.

٣- الإقامة، أفضل أماكن الإقامة هناك جغرافيا هو (ميدان تقسيم)، وكذلك المدينة القديمة أو Old Istanbul في الأخيرة أكبر تجمع لفنادق الثلاث نجوم ذات الخدمات الممتازة حيث التنافسية شديدة لكثرة الإقبال، ولكن عيب هذه المنطقة على ما بها من سحر - وما سأتحدث عنه لاحقاً - هو كونها كباقي إسطنبول يخيم النوم وإغلاق المحال في العاشرة مساءً وبالتالي إن كنت ترغب في السهر كعادتنا معشر المصريين وترغب في العودة المتأخرة للفندق أو الهوستل الذي ستقيم به دون القلق من أن يفوتك موعد إغلاق المترو في الحادية عشر مساء تصبح تقسيم هي الوجهة الأنسب في الإقامة حيث إنه قريب للغاية من المترو وحيوي ونابض بالحياة والصخب ولا يعرف النوم تقريبا ويصبح بإمكانك التجول والتسكع فيه حتى الفجر إن رغبت.

أما إن كنت ترغب في معرفة مكان إقامتي وما إن كنت أرشحه لك أم لا، حسناً كنت من ضيوف فندق يدعى Cartoon وهو مستوحى من الشخصيات الكارتونية الشهيرة حتى حجم المصعد صغير كما وكأننا في فيلم كارتون ولكن مع هذا كان فندقاً جميلاً ونظيفاً وخدماته ممتازة ويقدم وجبة إفطار متنوعة ولا تُفوت. ولكن ضع في اعتبارك أنني كنت من ضيوفه ب ٢٠١٣ والحال الآن غير الحال ربما تكون خدماته قد ساءت وربما تكون قد تطورت ولكن الأهم أن الأسعار نفسها ستكون حتماً قد اختلفت.

٤- رابع هذه القائمة يكون المصاريف والإنفاق، وهذه عزيزي لا قاعدة لها فكل إنسان وقدرته على ضبط نفسه أمام ما يرغب في شرائه أو تجربته، ونصيحتي العامة ونظرا لارتفاع التكاليف أن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله بالتأكيد لن تستطيع شراء كل ما ترغب في شرائه أو حتى زيارة كل الأماكن التي تريد زيارتها لذلك عليك صنع قائمة بأولوياتك سواء في الشراء أو التنزه والمشاهدات، ولكن بالتأكيد هناك أماكن لا يصح أن تكون قد زرت البلد ولم ترها فلا تكون كمن زار باريس ولم يشاهد برج إيفيل مثلا أو كمن زار القاهرة ولم يشاهد أهرامات الجيزة.

ومن النصائح العامة عند السفر : أن تشتري كارت المترو والمواصلات هناك والمسمى Istanbul karte فهو يوفر عليك المال وكذلك الوقت ويغنيك عن الوقوف في طابور كل مرة تستخدم فيها المترو، كما أنه

صالح للاستخدام في باقي وسائل المواصلات وهم قد تخلوا عن الدفع المباشر لسائق الحافلة حيث لا يوجد لديهم محصل أو "كمساري" .

استخدم أيضاً ال Schuttle Bus – وهو أتوبيس داخلي يتحرك بمواعيد محددة من المطار ويمر على عدة محطات في الطريق تنتهي بميدان تقسيم – من المطار ليوصلك إلى وسط المدينة ولا تستخدم تاكسيًّا من هناك مباشرة بحثاً عن التوفير.

أما فيما يخص المشاهدات والأماكن فأنت وذوقك، ولكن حيث إنك قد اخترت إسطنبول فأنت رغمًا عنك في قبضة التاريخ " ما لم تختر أنطاليا أو فتحيه وليست فتحية كما يظنها البعض" للاستجمام والشواطيء.

وإن طلبت مني أن أكتب "itinerary" الخاص بى أو مسار رحلتي فلك ذلك.

كانت بدايتنا عقب يوم الوصول – حيث عادة ما يطير هذا اليوم في إتمام إجراءات المطار والحقائب واستلام غرفة الفندق واستكشاف الأماكن المحيطة سريعاً- كانت البداية رحلة مضيق البسفور وهي أول ما يُنصح به السائح هناك تقريبا حيث نستقل المترو من محطة تقسيم خط كابتاج وما هي إلا محطة واحدة للوصول إلى هناك ومنها نخرج إلى سطح الأرض لنجد على يميننا ميناء كابتاج الشهير والذي تنتطلق منه العبارات التي تأخذ بك جولة في البسفور وأيضا التي تنطلق إلى حيث بيوك آدا أو جزر الأميرات. وحينها سيكون على يسارك محطة ترام كابتاج الذي يسير

فوق الأرض مخترقا الشوارع وحتى الشوارع الضيقة التي يمكن أن تصنفها أزقة واصلاً إلى حيث إسطنبول القديمة.

ومن ميناء كابتاج يمكنك استقلال عبارة أو سفينة حكومية زهيدة الثمن ستأخذك في جولة ببحر مرمرة الجميل ومضيق البسفور، وأثناء هذه الجولة سيكون أمام عينيك قصور تاريخية مختلفة ولكن لأن جولتنا كانت دون إرشاد سياحي لم نتمكن من معرفة أسماء هذه القصور الكنوز التي مررنا بها.

تستغرق جولة مضيق البسفورهذه حوالي الساعة من الزمن، ولكنها ساعة بساعات حيث متعة استكشاف الجديد وفعل الجديد من استخدام عبَّارة وسط بحر مرمرة الساحر بأمواجه الهادئة أحياناً والعنيفة أحيانًا أخرى بحسب الطقس وبجمال منظر إسنطبول كلها يميناً ويساراً وصولاً إلى الجسر الشهير بالمضيق الضخم ببراعة بنائه وجمال إضاءته ليلاً.

وبنهاية جولتنا وعودتنا إلى المرسى من جديد توجهنا لزيارة قصر دولما بخشة [16] وهو أحد هذه القصور التي عبرنا عليها ونحن في المركب، القصر آه من القصر لا أستطيع أن أتخيل كيف كان مجموعة محدودة من البشر يحيون في كل تلك المساحة الشاسعة وحدهم، فالمسافة من البوابات حتى القصر نفسه والتي تقطعها سيرا على الأقدام وسط حدائق غنّاء واصلاً للقصر ذاته حيث حكاية فريدة من معمار جميل في الغالب أعجز عن وصفه بالكلمات، فلمثل هذه الأشياء قيلت المقولة الخالدة أن الصورة بألف كلمة إذ كيف أجعلك تتخيل الأعمدة الرخامية الضخمة والأسقف المزخرفة بفن وروعة، وكأن السقف عبارة عن كتاب لوحات لفنان شهير، وكيف أصف لك السلم الضخم الذي يأخذك للطابق الثاني وأعمدة هذا السلم المغطاة بالكريستال الفاخر في أبهة رهيبة. وبالمناسبة بعض تعريبات الاسم تقول إنه (دولما بهجة).

---

[16] هو قصر يقع في منطقة بشكطاش على ساحل مضيق البسفور، كان بمثابة المركز الإداري الرئيسي للإمبراطورية العثمانية منذ عام ١٨٥٦م حتى ١٩٢٢م تناوب عليه وطور بناءه العديد من حكام الدولة العثمانية والقصر كان استرحة السلطان سليم الثاني الخاصة بحسب ما جاء في كتابات الرحالة "اوليا جلبي".

تمتد واجهته التي بنيت بأمر السلطان عبد المجيد الأول على مدى ستمائة متر على الساحل الأوروبي لمضيق إسطنبول، شيد القصركمزيج للأسلوب المعمار الأوروبى ما بين أعوام ١٨٤٣:١٨٥٥م على يد غرابت عمرا باليان وابنه نيجوغوس باليان ولم يتثنى للسلطان عبد المجيد أن يعيش سوى ستة أشهر فحسب في قصر الدولمة باهجة الذي كلفه خمس ملايين قطعة ذهبية ,وبسببه أوشكت الدولة على الإفلاس. ويتكون القصر بكل مشتملاته من مائتي قاعة وبقصر المابين، وجناح الخونكار أو(السلطان) وحدهما ثمانية صالونات ضخمة يحمل كل صالون اسم يميزه عن الصالونات الأخرى. أصغر هذه الصالونات بطول ثلاثة وأربعين مترا بإمكانك عزيزى القارئ مطالعة كتب بأكملها عن القصر وتفاصيله ومنها كتب تحتوي على صور واضحة له وهذا الهامش بمثابة تعريف بالقصر ليس أكثر.

القصر البالغ مساحته ٢٥ ألف متر مربع بني قبل أربعامائة عام، أخذنا التنقل عبر عدد من غرف القصر المفتوحة للزيارة والتي تتم وسط إرشاد سياحي جماعي فليس مسموحا لأحد من الزائرين التنقل المنفرد داخل القصر.

وبالتأكيد ستحتاج لساعات بل أيام إن سُمح لك زيارة كل القصر بجميع غرفه التي تقول بعض المصادر والكتيبات السياحية إنها حوالي ٢٨٥ غرفة، هذا بخلاف ٤٦ غرفة صالون و٦٨ مرحاض.

وهكذا خرجنا من غرفة لغرفة ومن سقف لسقف فكما قلت الأسقف هناك كما كتب الأساطير – والعجيب أننا في العصر الحديث لدينا بمهندسوا الديكور أسقف عادية والإبداع بالنسبة لنا هو ما يُعرف ب "كرانيش الأسقف" قديما وحديثا بال Gypsum board "والمعروفة شعبياً بالجبسون بورد " - وهؤلاء المعماريون قبل نحو أربعمائة عام تفننوا في صناعة أسقف بديعة بالفعل وتستحق أن تكون في متحف للفنون – صحيح أننا نتحدث عن قصر ملكي او إمبراطوري وبالتأكيد لم ولن تكن بيوت عوام الناس في إسطنبول أو غيرها في أي زمان كتلك القصور الفخمة ولكنه أمر استوقفني.

ونصيحتي هنا أن تشتري دفترًا للبطاقات البريدية عليه صور لهذا القصر، فهو يستحق الاقتناء حقا لبراعة وجوده الصور المطبوعة بشكل فاخر، كما أنه لم يكن باهظ الثمن.

ومن جميل ومحاسن الإنترنت الجميلة توفيره خدمة الزيارات الافتراضية أو ال Virtual visits [١٧]حيث بإمكانك مشاهدة كل هذا وأنت في مكانك بمنزلك، لا يعني هذا أنه لا داعي للسفر بالتأكيد ولكنه فرصة جيدة عموما إلى أن "تعملها وتسافر"

أما عن مسجد دولمة بهجة فهو يقع من الجهة الجنوبية من القصر على الشاطيء مباشرة وبدأ بنائه في عهد السلطان عبد المجيد وبُني خلال عامين، المسجد ذو مئذنتين طويلتين ورفيعتين وتعلوه قبة على شكل نصف كرة، وهو من الداخل بديع بحق، وإن كنت مسلمًا لا تفوت فرصة الصلاة بكل ما تمر من مساجد هناك حيث إن معمار المساجد خاصة الأثرية منها وهي كثيرة بالفعل ومنتشرة بطول إسنطبول وعرضها تزخر بإبداع معماري جميل، هذا فضلًا عن العناية الفائقة بها وبكل تفاصيلها كالمراحيض ونظافة السجاد بل ورائحته أيضا، وهو ما يحزنني عندما أقارن بين حال المساجد الأثرية هناك وحال بعضها هنا خاصة مساجد شارع المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة حيث الإهمال وقلة العناية بالمسجد الأثر ونظافته.

واذا ما انقضى النهار بجولاته التاريخية الجميلة سيأتي الليل بصخبه وكان أن زرنا مول (كانيون) حيث حدثت الصدفة التي سبق ورويتها في حدوتة (ولا في الأفلام)، ولا داعي للإسهاب في وصف المجمعات التجارية هناك، يكفي أن تعلم أنها كعادة هذه المباني في معظم المدن تجدها كبيرة وجميلة ومتنوعة ولا تخلو بالتأكيد من محلات الماركات العالمية والمطاعم

---

[١٧] http://www.3dmekanlar.com/en/dolmabahce-palace.html

ودور السينما وعادة هي أماكن مقبولة لتمضية الوقت ما لم تكن من هواة الملاهي الليلية والمراقص أو "الديسكوهات والكباريهات يعنى والتي يكثر وجودها بالمناسبة في إسطنبول".

ومن ضمن المولات التي أرشحها لك للزيارة المول الشهير لديهم (جيفاهر) أو (جواهر) بتعريبه وهو مربوط بمحطة مترو مباشرة، وكذلك مول (استينا بارك) و(زولو سنتر).

وما إن كنت تعمل كتاجر فبالتأكيد أنت لست في حاجة لمن يخبرك بأماكن شراء البضائع بالجملة وعمل صفقات تجارية مربحة كشوارع Osman Beh أو "إكسراي" وجميعهم يصلهم المترو بسهولة.

بالقطع لا يصح زيارة إسطنبول دون زيارة المدينة القديمة حيث التاريخ حي يتنفس.

إسطنبول القديمة التي يصلها الترام بسهولة ستجد نفسك مأسوراً بالتاريخ الذي أنت في صفحة من صفحات كتابه، وسيدور يومك بين مسجد السلطان أحمد ومتحف (آيا صوفيا) الشهير والمسلة المصرية المعروفة والبحر الذي أمامك والتاريخ الذي هو خلفك، والمكان يحتاج منك نهارا كاملا بل وربما أيضا جزءا من الليل حيث ستبدأ بالمسلة المصرية، وهي تلك العادة التي نعرفها ونراها دوما أن لنا آثارا مصرية

فرعونية منهوبة أو مهداة من الحاكم الذي يتعامل مع الآثار باعتبارها جزءا من ملكيته الخاصة يهبها لمن يشاء[١٨]

وبجوار المسلة المصرية نجد العامود الملتوي "ذو الأفعى" وقد جلبه الإمبراطور قسطنطنيوس الأول، وهو من الحضارة اليونانية، ويعتبر العامود بمثابة نصب تذكاري لانتصاره في معركتي سلاميس ٤٨٠ ق.م وبلاتيا ٤٧٩ ق.م، ويتكون هذا النصب من ثلاثة رؤوس أفاعي تحمل فوقها قدرة من الذهب، ويبلغ ارتفاعه ثمانية أمتار، ومكتوب عليه أسماء الملوك الذين شاركوا في المعركة.

ويجاور العامود هذا عامود آخر يدعى (العامود المعمر) والذي يبلغ ارتفاعه ٣٢ مترًا، وعلى قاعدته أبيات شعرية من النثر الإغريقي.

فإذا ما غادرت منطقة الخوازيق هذه "إن جاز القول☺" واعذرني على هذا، فأنا لست من محبي الأعمدة المرتفعة التي لا تفضي إلى شيء ستكون مواجها لمتحف (آيا صوفيا).

البناء الموجود في منطقة السلطان أحمد والذي كان كنيسة لمدة ٩١٦ عام، ثم تحول لمسجد لمدة ٤٨٠ عام تقريبا ثم أصبح متحفا منذ عام ١٩٣٥م بأمر من كمال الدين أتاتورك .

[١٨] تستقر المسلة المصرية أو نصب تيودوسوس الحجرى وهو أقدم نصب حجري في إسطنبول ويعود تاريخها إلى عام ١٥٠٠ ق.م ومن المرجح بحسب بعض الأقاويل غير المؤكدة أن يكون قد تم جلب المسلة إلى إسطنبول عام ٣٩٠ وهي مثبتة على أرجل برونزية ويبلغ ارتفاع المسلة حوالى ١٩ مترًا.

وفي البداية، لم يكن اسم البناء (آيا صوفيا)، بل (إكليسيا) أي (الكنيسة الكبيرة)، ثم سُمي في القرن الخامس الميلادي (هانيا صوفيا)؛ أي (مكان العلم المقدس)، وبعيداً عن المعلومات التاريخية ما يجعل المكان ساحراً بحق هو أنه عقب تحويله من كنيسة إلى مسجد لم يطمس المسلمين الرسوم والأيقونات الزيتية المسيحية، بل أضافوا إليها نقوشا إسلامية ككتابة اسم النبى - صلى الله عليه وسلم - وأسماء الصحابة العظام الخلفاء الراشدين الأربعة، وبعض الآيات القرآنية، وسيخطف نظرك بمجرد الدخول صور السيد المسيح - عليه السلام - وأيقونات العائلة المقدسة جنباً إلى جنب مع الآيات القرآنية وأسماء الصحابة، والكثير من أعمال الفسيفساء والموزاييك.

وباستخدام السلالم أو الدرج تصعد للطابق الثاني من المتحف الذي يحتوي على بعض المعروضات من التاريخ الإسلامي والمسيحي - على حد سواء - كما يمكنك الصعود إلى الشرفات العلوية للبناء الضخم بحق وذلك عبر الصعود لأعلى درج تم تصميمه في هذا الجزء ليكون بزاوية متغيرة تصعد بك تلقائيا دون استخدام درج واضح ولكنه مرهق بعض الشيء، ويحتاج إلى أشخاص أصحاء لإتمام عملية الصعود والوصول للشرفة ومشاهدة إسطنبول القديمة من خلال هذه الشرفات في صورة بانورامية محيطة بتلابيب المكان كله.

والصراع التاريخي المنتهي بالمقولة الخالدة (التاريخ لمن غلب) - ليست قاعدة بالتأكيد - نجده يقول إن المبنى كان في حالة مزرية عند الفتح

العثماني للمدينة وبالتالي جاء تحويله إلى مسجد أمراً عادياً لا شبهة فيه لفكرة المكايدة أو انتصار دين على آخر!

وبالفتح العثماني أضافوا مئذنة خشبية ثم واحدة أخرى حجرية ثم ثالثة رفيعة في عهد السلطان بيازيد الثاني.

وللمكان أهمية أخرى حيث إنه مكان دفن خمس سلاطين عثمانيين وهم: السلطان سليم الثاني والسلطان مراد الثالث ومحمد الثالث ومصطفى الأول والسلطان إبراهيم.

من الجدير بالذكر أنه يمكنك الحصول على مرشد سياحي هناك حياً كان أو ميتاً !، الحي معروف بالتأكيد حيث تكون في صحبته مجموعة من السياح الذين يتحدثون لغة بعينها يجيدها هو وأكثر الأفواج السياحية هناك من الألمان والفرنسيين والإنجليز بالتأكيد، أما المرشد الميت هذا فهو ليس ميتًا بالشكل المفهوم بالتأكيد وإنما هو عبارة عن جهاز إلكتروني ذي سماعة تضعها في أذنك وبه أرقام من صفر إلى تسعة وكل رقم يمنحك إرشادًا بلغة بعينها ومنها العربية بالتأكيد وهو ما استخدمناه أثناء جولتنا حيث على كل مكان داخل المتحف أو كل معروض من المعروضات رقم، وعلى الزائر ضغط هذا الرقم على الجهاز الذي بين يديه ليسمع شرحاً تفصيلياً تاريخياً عن الأثر أو المكان، وبالمناسبة تكلفة هذا المرشد الميت أوفر من الحي بالتأكيد حيث كانت بعشرين ليرة فقط لا غير.

واذا ما انتهيت من زيارتك لآيا صوفيا[١٩] إذن حان الوقت لزيارة مسجد السلطان أحمد أو المعروف باسم (الجامع الأزرق)، وسبب تسميته بهذا الاسم هو نسبة إلى لون قطع البورسلين التي استخدمت في زخرفته وبنائه.

ولنختصر الأمر على كلينا. صدقني إن محاولة وصف المساجد والأماكن الأثرية هناك أمر مرهق وصعب، ولكن محاولة وصف مسجد السلطان أحمد أمر أكثر صعوبة، فالقباب الكثيرة والزخارف والنقوشات التي تزين جنبات المسجد وكذلك السقف والقباب من الداخل تعد عملا فنيًّا بديعًا وجميلا يحتاج لعين تراه وليس لقلم لوصفه، ولكن دور القلم هنا هو المحاولة والتشجيع على البحث وربما السفر نفسه ورؤية هذه الأماكن.

كان من حسن حظي أن زياراتي لإسطنبول القديمة كانت يوم جمعة وبالتالي حظيت بأول صلاة جمعة لي خارج مصر باستثناء الصلاة في مكة أثناء أداء العمرة قبل ذلك.

دخلت المسجد الذي يتسع لآلاف المصليين فوجدته مزدحما إلى حد كبير وكنت هناك قبل وقت الصلاة بقليل وحينها يصبح المسجد للعبادة لا الزيارة السياحية وبالتالي لا يُسمح للسياح الأجانب غير المسلمين بالدخول في أوقات الصلاة عامة وصلاة الجمعة بصفة خاصة، كما أنه عند السماح لهم بالدخول يلتزم الأجانب بضوابط الملبس المقبولة لدخول

[١٩] رابط الزيارة الافتراضية : http://www.3dmekanlar.com/en/hagia-sophia.html

مسجد فيحصلون على رداء أشبه "بالروب" وهو معروف لدينا إذا سبق وزرت مسجد "محمد علي" بقلعة "صلاح الدين".

وبخطبة تركية استهلها الإمام بمقدمة باللغة العربية كانت خطبة الصلاة ثم الدعاء باللغتين العربية والتركية.

انتهت الصلاة فهل انتهت الجولة في المدينة القديمة ؟، لا لم تنتهِ بالتأكيد فتبقى عدة أمور منها تناول وجبة الغذاء والمطاعم في هذه المنطقة "أكثر من الهم على القلب" - كما نقول بالعامية المصرية - والمطبخ التركي متنوع به أطعمه ووجبات أحببتها بالفعل ومنها ما لم أفضله وهذا أمر طبيعي ولكن حظي يومها كان رائعاً حيث تناولنا الغذاء في مطعم فخم ذو خدمة ممتازة وطعام تركي شهي بالفعل، كما أننا لم ندفع كثيرا من المال، ويبدو أن تنافسية الأماكن السياحية تدفع الجميع إلى الإجادة ومحاولة كسب الزبون بعكس مدن أخرى تشغلها ثقافة الكسب السريع اعتبارا لأن السائح هو "زبون طياري" لن يعود مرة أخرى فلنطعمه أي شيء وانتهى الأمر"، وهو منطق مصري أيضا معروف باسم "عبيله وادي له أي حاجة☺ ".

وربما لتطور الإنترنت ومواقع السفر دورا في هذه الإجادة حيث يتاح لك تقييم المطعم والطعام على بعض التطبيقات والمواقع كـ Trip advisor على سبيل المثال، وبالتالي يصبح إرضاء الزبائن أمر ضروري للحصول على تقييم مرتفع.

ولا يجوز الكلام عن الطعام التركي دون الكلام عن الحلوى في تركيا ومحلاتها المنتشرة في كل مكان، فلك أن تدخل وتجرب أصنافا لم تسمع بها من قبل، ولكنها حلوة فعلا ولكن "متكترش عشان السكر☺".

انتهينا إذن من الطعام والتحلية يتبقى أمراً فريدا من نوعه ومكانه هوإسطنبول القديمة وهو تجربة الحمَّام التركي، والتي كان لدينا العديد منها في القاهرة القديمة، وهي عبارة عن حمامات شعبية أو هي النسخة الشعبية من فكرة ال Spa قبل تطورها وتحولها لتصبح مقتصرة على علية القوم ونزلاء الفنادق الخمس نجوم فقط.

لم أكن لأغادر المدينة الجميلة دون هذه التجربة، صحيح هي مكلفة بعض الشيء باعتبار أن الأمر ذو طابع سياحي ولكنها تبقى تكلفة مقبولة إلى حد ما. وهناك ستتأكد أن قائل المثل المصرى "دخول الحمَّام مش زي خروجه" كان محقاً للغاية.

ولكل حمَّام قائمة أشبه بقائمة الطعام أو المنيو مكتوب فيها الخدمات التي يقدمها وسط عروض تجعلك تحصل على أكثر من خدمة بسعر منخفض، وللعلم هناك حمامات متاحاً فيها أن تعاونك على الاستحمام فتيات ولكن بالتأكيد ليس العكس ممكنا، وحمامات أخرى تلتزم بوحدة الجنس أي أن يساعد الرجل رجلا مثله والنساء سيدات مثلهن.

وبالتأكيد الحمامات التي لا تلتزم بوحدة الجنس فيما يخص الرجال ذات تكلفة أكبر بالتأكيد وهو أمر طبيعي "مش واحدة ست هي اللى هتليف لك ضهرك ☺!"

وقد يستغرق الحمام ساعة أو أكثر فهو يبدأ بدخولك غرفة منفردا تخلع فيها ملابسك تماما وتضع حول وسطك منشفة "تستر بيها نفسك" ثم تنتعل قبقابًا خشبيًّا عتيقًا وتمشى تطقطق به إلى أن يستلمك الشخص الذي سيعاونك في الاستحمام، هذا بعدما تكون قد أغلقت الغرفة بمفتاح معك وبالتالي أغراضك ونقودك في مأمن، ثم تدخل إلى حيث ساحة كبيرة مغلقة وبها رجال حالهم كحالك أغلبهم أجانب وأوروبيين مستمتعون بالتجربة، ويمنحك الرجل سطلا ويطلب منك أن تسكب الماء على نفسك بهذا السطل الى أن يأتيك من جديد ثم سرعان ما يأتيك بالصابون واللوف ويحممك بنفسه وكأنك طفل في يد أمه، ثم يرشدك إلى غرفة "الساونة" أو البخار وتجلس فيها نصف ساعة وبجوارك مياه تسكبها على نفسك كلما شعرت بارتفاع درجة الحرارة ثم تخرج منها وتعود للرجل مرة أخرى فيقوم بتدليكك بزيوت عطرية جميلة تعمل على الاسترخاء، ثم دورة أخرى وأخيرة من السطل والمياه وبعدها تغادر إلى حيث غرفتك لارتداء ملابسك من جديد.

خلاصة الأمر أنها تجربة "ملوكي" وتتمنى بانتهائها لو أنك اليوم عريس وهذه ليلة الدخلة " اوعدنا يا رب"☺.

هكذا انتهت زيارة إسطنبول القديمة ولكن في العودة رغبت في صلاة العشاء في مسجد "أمين أونو" المعروف باسم (المسجد الجديد) "ينى جامع" [٢٠]بمنطقة إيمنونو Eimnunu والمطل على جسر (غلطة سراي)

---

[٢٠] أو جامع والدة السلطان يقع الجامع مقابل سوق مصر بمنطقة إمينونو، بُني الجامع بأمر من صفية، والدة السلطان محمد الثالث وزوجة السلطان مراد الثالث.

الشهير، وكان هذا المسجد ملفت للنظر عند استخدامي الترام، وتمنيت الصلاة به، ولكن لم يكن هناك من وقت.

وها هي الأمنية تتحق حيث تزامن انتهاء جولتنا في إسطنبول القديمة مع قرب موعد صلاة العشاء، وبالتالي بدلاً من النزول في محطة (كابتاج) لاستخدام المترو والعودة لـ(تقسيم) آثرت أولاً النزول في (إيمنونو) وصلاة الشعاء هناك.

هو مسجد ضخم وجميل مثل باقى مساجد تركيا وإسطنبول تحديداً، ولن يختلف في الوصف عن سابقيه من القباب العالية الجميلة والنقوشات الفنية الأصيلة [٢١]، ربما أكثر ما أعجبني هو الإضاءات التي تشعر أنها نابعة من قناديل لا مصابيح كهربائية، وكذلك روعة السجاد وجمال رائحته، وكذلك روعة نظام الصوت الذي تشعر معه بروحانيات الصلاة وليس صراخاً مزعجاً بسبب عدم تناسب ضخامة وقوة الميكروفونات والسماعات مع مساحة المسجد كما هو المعتاد في الكثير من المساجد المصرية للأسف.

هكذا انتهى يوم بديع في مدينة بديعة بالفعل، لا يعنى هذا أن زيارات المدينة قد انتهت، حيث تبقى بالنسبة لى في جولتي السياحية الإرشادية هذه زيارة قصر ومتحف (توب كابى)[٢٢]، وهو ملخص كامل للمدينة وتاريخها الممتد؛ حيث القصر الواقع في منطقة السلطان أحمد، وبناه

---

[٢١] رابط الزيارة الافتراضية للمسجد http://www.3dmekanlar.com/en/yeni-mosque-2.html

[٢٢] رابط الزيارة الافتراضية للقصر http://www.3dmekanlar.com/ar/topkapi-palace.html

السلطان محمد الفاتح عام ١٤٧٨م والذي كان يحوي دارا للعجزة قرب كنيسة (أيا إيريني)، وكذلك مشفى وفرن ومكان لصك العملة ومشاغل للحرفيين. أما الساحة الغربية فيوجد بها القصر نفسه المطل جزء منه على بحر مرمرة.

والشاهد من زيارة هذه القصور هو الوقوف على حالة البذخ التي اعتاد أن يحيا فيها الملوك والأمراء والسلاطين، فالأمر بمجرد دخولك لأي من هذه القصور يكون أشبه بصوت نجيب الريحاني في أحد أفلامه وهو يقول "إيه ده كله إيه ده كله☺" خاصة وأن كل سلطان كان يتولى العرش كان يقوم بإضافات على هذه القصور والمباني فكانوا يضيفون مقصورات داخل مبنى القصر نفسه منهم مقصورة باسم (مقصورة بغداد) والتي تم بنائها في عهد السلطان مراد الرابع، و(مقصورة مجيدة) وعلى سيرة مجيدة هذه تأتي سيرة المرأة حيث وجود مبنى مستقل متكامل للسيدات أو النساء وتستطيع تخمين اسمه " الحرملك" الذي يبدأ بالبورسلين القديم ويحتوي على ٤٠٠ غرفة وإيوان، وبسبب بنائه في عهود مختلفة فهو يحتوي على طرز معمارية وتزينية مختلفة، كما تتزين حوائط وجنبات القصر بالصدف والعاج.

أما عن صالة تناول الطعام "السفرة يعني" فحدِّث ولا حرج، شارع أو لا يمكن وصفها بأقل من شارع بسبب مساحتها الكبيرة أما هي نفسها كأثاث لا يمكن وصفها بأقل من فن أكثر منه نجارة وأخشاب، حيث الطاولة الضخمة المزخرفة بلمسة فنان، تحيطها كراسي عديدة قديمة الطراز ولكن قدمها هذا هو ما يمنحها التفرد والجمال.

أما حمَّامات القصر فمنها ما هو مختص بالسطان وحده دون غيره، وهو أمر طبيعي "مش سلطان!" فلن يشاركه أحد في بيت راحته، وآخر للسلطانة الأم، وحمَّامات متعددة لباقي العاملين في القصر وأخرى خاصة بالأمراء.

وستخلص من مشاهدات القصر وقاعاته ومبانيه المختلفة أنه صحيح كان قصرا عاش ساكنوه قبل التمدن والكهرباء والحضارة والإنترنت إلا أنهم عاشوا وقد اجتمعت لهم أسباب السعادة ..فيا تُرى هل كانوا سعداء؟

تجيبنا كتب التاريخ أن هذه القصور كانت مسرحاً لجرائم وصراعات سلطة ومال ونفوذ لا حدود لها، بل منها من وصل به الحال لأن يقتل الأب ابنه خوفاً على عرشه من الانقلاب كما حدث بالفعل مع السلطان سليمان القانوني الذي قتل ابنه الأمير مصطفى خوفًا منه على العرش.

إذن هل انتهينا من زيارة قصر (توب كابي) ؟، لا لم ننتهِ بعد، بقي أن نعرف ونشاهد أثر - وسمه ما شئت (الاستعمار – التوسع) التركي في الأقطار العربية – وهذا أغلب الظن لا البحث- حيث يوجد شبه متحف أو لنقل متحفًا مصغرًا أسماه الأتراك (غرفة السعادة)، وهي بناء مستقل في حرم القصر لكن خارجه حيث جمّع فيها الأتراك النفائس من الكنوز التاريخية ذات المكانة العظيمة لأن معظمها لأنبياء.

ومن ضمن هذه المقتنيات سن الرسول صل الله عليه وسلم الذي كُسر في غزوة أحد، وأيضاً الصخرة التي وطأتها قدمه الشريفة وبقي عليها

الأثر أثناء رحلة المعراج وتُسمى نقش القدم الشريف، وصخرة أخرى تُدعى صخرة التيمم ويقال إنها هي تلك التي كان يستخدمها النبي عند التيمم، كذلك الرسائل التي أرسل بعضها إلى ملوك الدول لدعوتهم للإسلام، وكذلك السيوف الشريفة - كما يطلقون عليها - والتي تعود ملكيتها للرسول وصحبه الكِرام أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وكذلك سيف سيدنا داود عليه السلام.

والسبب المنطقى الوحيد لتواجد كل هذه المقتنيات القيمة هناك في إسطنبول أنه تم نقلها أثناء الحكم العثمانى للأقطار العربية كأن تكون نُقلت من الشام والعراق وشبة الجزيرة ومصر إلى حيث (الباب العالي) في إسطنبول.

وقبل أن يتوقف شهريار – "مثلا يعنى" عن الكلام المباح إذا ما أخذ دور الرواي من شهرزاد - لم يتبقَ في مزارات إسطنبول سوى (جامع السليمانية) والذي بُنى بأمر من سليمان القانوني ويوجد داخله الضريح الخاص به.

والمسجد ذو أبواب ضخمه مُلبسة بالبرونز وهو صاحب ثاني أكبر قبة بعد (آيا صوفيا) حيث تبلغ قطرها ٢٦.٥٠ وبارتفاع ٥٣م، وربما يكون محض التلخيص لشأن المساجد هناك أن معظمها أثري قديم وقيم وله حكايات وحكايات بين أوراق كتب التاريخ وغالبيتها ضخم وكلها مُعتنى بها عناية فائقة وجميعها يستحق الزيارة.

هنا عملياً يصيح الديك لشهريار ويتوقف الحديث عن إسطنبول ولن أقول تركيا فهي تستحق زيارات وزيارات لتنوعها سياحياً .

ولكن تبقى أمرين، الأول أن أعطيك انطباعي عن حياة الناس هناك فالمدن والأماكن بالناس كما هي بالحجر والمثل المصرى يقول "جنة من غير ناس ما تنداس".

تركيا[٢٣] "أول بختى"

الأتراك يتحدثون التركية بالطبع "منطق رقاصة وبترقص☺" والتي غير حروفها من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينة مصطفى كمال أتاتورك [٢٤]بعد قضائه على دولة العثمانيين ولكنهم يتحدثون التركية

---

[٢٣] هي دولة تقع في الشرق الأوسط .يحدها من الشمال البحر الأسود وجورجيا ومن الشرق أرمينيا وإيران ومن الجنوب العراق وسوريا والبحر المتوسط مع حدود بحرية مع قبرص ومن الغرب بحر إيجة واليونان وبلغاريا .

عضو فى منظمات مثل مجلس أوروبا وحلف شمال الأطلسي، منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، منظمة الأمن والتعاون في أوروبا وفي مجموعة العشرين الاقتصادات الرئيسية في العالم ولكنها ما تزال فى مفاوضات للسماح لها بالانضمام للاتحاد الأوروبي وربما يمثل خروج بريطانيا من هذا الاتحاد فرصة أمام تركيا.

كانت تركيا مركزًا للحكم العثماني حتى عام ١٩٢٢م إلى أن تم إنشاء الجمهورية التركية عام ١٩٢٣ على يد مصطفى كمال أتاتورك والتعداد السكاني فيها قرابة ٧٧ مليون نسمة.

[٢٤] واحد من أكثر الشخصيات التاريخية المُثار حوله جدل لا ينتهي ولد في عام ١٨٨١ توفي ١٩٣٨ وهو قائد الحركة التركية الوطنية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، الذي أوقع الهزيمة في جيش اليونانيين في الحرب التركية اليونانية عام١٩٢٢، وبعد انسحاب قوات الحلفاء من الأراضي التركية جعل عاصمته مدينة أنقرة، وأسس جمهورية تركيا الحديثة، فألغى الخلافة الإسلامية وهو شكل من أشكال الأنظمة السياسية القائمة على توارث الحكم ضمن عائلة آل عثمان مستندة على شرعية دينية باعتبار الخليفة "ظل الله في

باعتزاز يجعلهم إما يرفضون الحديث بغيرها أو غير مهتمين بتعلم غيرها لذلك لن تجد كثيرين يتحدثون الإنجليزية حتى التجار تقتصر معرفتهم بالإنجليزية على الأرقام وأسماء بعض البضائع.

وعلى ذكر التجار، يملون سريعاً من الفصال؛ يعني سرعان ما يصلون معك إلى رقم محدد هو لا ينوي البيع بأقل منه ولو ليرة واحدة فإن تجاوزت أنت هذا الرقم بإلحاح انصرف عنك وفقد رغبته في البيع "هذه مشاهدة متكررة تحتمل الصواب والخطأ".

المرور هناك منظم إلى درجة كبيرة لا تجعل هناك زحامًا مروريًّا قاسيًا كذلك الذي نعتاده في القاهرة معظم الأوقات وليس في الذروة فقط.

الأرض". وأعلن علمانية الدولة . كان علمانيًا وقوميًا، وأصبحت سياساته ونظرياته معروفة باسم الكمالية.

أطلق عليهِ اسم أتاتورك (أبو الأتراك) وذلك للبصمة الواضحة التي تركها عسكرياً في الحرب العالمية الأولى وما بعدها وسياسياً بعد ذلك وحتى الآن في بناء نظام جمهورية تركيا الحديثة.

قام مصطفى كمال بإصلاحات عديدة شملت كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وحتى على المستوى الديني وعلاقة المؤسسة الدينية بالدولة والنظام السياسي لتركيا الحديثة.

أبرز ما قام به أتاتورك هو إلغاء نظام الخلافة، وفصل الدين عن الدولة ومنع الناس من اعتمار الطربوش والعمامة وروج للباس الغربي، كما منع المدارس الدينية وألغى المحاكم الشرعية، أزال التكايا والأضرحة وألغى الألقاب المذهبية والدينية، وتبنى التقويم الدولي، كتب قوانين مستوحاة من الدستور السويسري، وفي عام ١٩٢٨ ألغى استخدام الحروف العربية في الكتابة وأمر باستخدام الحروف اللاتينية في محاولة لقطع ارتباط تركيا بالشرق والعالم الإسلامي "والفقرة هذه معلوماتية محايدة لا تتبنى أي وجهة نظر."

وبالتأكيد لا يصح الحديث عن تركيا دون الحديث عن التركيات، هن بارعات الجمال ربما تتوقع أن هذا معروف بسبب غزو أعمالهم الفنية لنا ولكن هذا ليس مقياسًا دقيقًا عموما فالشاشة المصرية ليست انعكاسًا للشارع، ولكن أكثر ما لفت نظري في مسألة جمالهن هو الأناقة المفرطة التي هن عليها طوال الوقت حتى في الصباح الباكر، حيث صادف أن استخدمنا المترو قبل الثامنة صباحاً فكنا نجدهن كمن خرجن من تحت أيدى مصفف شعر و Make-up artist فلا تعرف متى استيقظن ليفعلن في أنفسهن كل هذا في الصباح الباكر وإن كانت الواحدة منهن لا تحتاج إلى كل هذا الاهتمام المفرط يكفيها أن "تغسل وشها وتنزل" وتظل "زي القمر".

الحجاب في إسطنبول موجود ولكنه ليس منتشرًا بدرجة كبيرة. وبالحديث مع البعض كنت قد عرفت أن إسطنبول مدينة يمكن وصفها بال "Cosmopolitan city" أي متنوعة الأعراق والثقافات وبالتالي هي أكثر علمانية أو انفتاحاً – لا أدري أيهما أدق- من غيرها حيث في العاصمة أنقرة تجد نسبة السيدات المحجبات أكثر بكثير، كما أنه هناك تصرفات يقبلها مجتمع إسطنبول ويرفضها مجتمع المدن الأخرى، وأعني بهذه التصرفات السلوك الجنسي، فمثلا رأيت بأم عيني شابًا وفتاة على السلم الإلكتروني الهابط إلى حيث محطة مترو تقسيم وهما غارقان في قبلة حارة بمفهوم "الحب ولع في الدرة ☺" مما يدفعك للاندهاش "هي حبكت " بصوت صلاح منصور في فيلم الزوجة الثانية. ولن أقول ألا يستطيعان الصبر حتى ينغلق عليهما باباً بل ألا يستطيعان الصبر حتى نزول الدرج حتى !!

وسبق وكنت قد قرأت للكاتب بلال فضل والذي زار تركيا مرات عديدة أنه هناك في رمضان كان الناس يصلون التراويح في المسجد وعندما خرجوا وجدوا سحاقيتين يتبادلان القبل في الشارع – ومثل هذه الأمور يتحدث عنها "الإعلاميين" الأشاوس عند الحديث عن التجربة التركية التي تضجرهم الآن ويغفلون أوجه تقدم لا تخطئها العين.

الباصات بها أماكن مخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة حركياً وشاهدت هذا بنفسي، رأيت شاباً في مقتبل العشرينات من العمر ويستخدم مقعدًا متحركا بمفرده وبوصول الباص الذي يرغب الشاب في استقلاله لمحطة الانتظار فتح السائق له بابا في منتصف الحافلة لا هو الأمامي الذي نركب منه ولا الخلفي الذي منه ننزل، وبمجرد ما انفتح ذلك الباب انزلقت قطعة معدنية مثبتة بالباص لتصبح على الرصيف وتكون كالجسر وتمكن الشاب من الدخول للباص دون مساعدة من أحد.

وعلى ذكر الرصيف كانت دهشة شقيقتي - وأنا كذلك - بالغة من روعة الأرصفة لديهم حيث إنها ذات ارتفاع مناسب وليست اختبارا للياقة البدنية أو متانة مفصل الركبة كما اعتدنا، كما أنها مجهزة بمطالع ومنازل خاصة بذوي الاحتياجات الحركية كما الشاب سالف الذكر.

هنا ينتهى كلامي عن مشاهداتي عن البلد وناسها والعيشة "واللي عيشينها" وكما غنت شيرين عبد الوهاب " اللى قولته عليك وعدته هو ده اللى يادوب عاهدته واللى مش عارفاه هسيبه حد غيرى يقول عليه☺"

أما الأمر الثانى فاعلم عزيزي القارىء أنه "لا سني ولا لياقتي" – أمزح بالتأكيد وقتها كان السن واللياقة "مفيش بعد كده" - كانا يسمحان بتجوال المدينة بأكملها ومشاهدة كل معالمها، الحقيقة أن الوقت ورحلات التسوق لم يسمحا بذلك هذا بالرغم من أننا كنا ننام مرة واحدة بنهاية اليوم وهذا ليس قبل الواحدة صباحًا بأية حال ونستيقظ في تمام السابعة كالذاهبون إلى دوام العمل، فالأوقات في السفر "بتطير بسرعة" وهي الكنز الحقيقي في السفر وإن كانت كذلك بالفعل في أعمارنا عمومًا.

وبناءً على ما سبق أقدم لك لائحة بأماكن لم أتمكن من زيارتها فإن فعلتها أنت وسافرت ربما تتمكن من زيارة هذه المعالم وتعود لتخبرني أنت هذه المرة بالحواديت والأماكن هي :

متحف الآثار التركية الإسلامية- قصر إبراهيم باشا- متحف القصر الكبير للفسيفساء- جامع بيازيد- جلطة /غلطة سراى.



البوابة الثانية

"بدك ياه يطلقني"

ربما من عنوان هذا الفصل تكون قد استنتجت الوِجهة أو البلد ومكان الحواديت القادمة ، نعم هي "ست الدني" كما يقول عنها أهلها "حيث الكلام مش بفلوس فمصر أم الدنيا"

هي مدينة الجمال والسحر واللهجة الآسرة المحببة إلى نفسي، إن شئت أن تختصرها فيكفي أن تقول فيروزوآاه من فيروزوصوت فيروزهي لبنان وبالتحديد بيروت.

كانت رحلتي إلى هناك هي ثاني رحلاتي وكانت أيضا ببعض الملابسات قبل السفر وكانت مزدوجة الصحبة أي كانت بصحبة شقيقاتي "إيناس ونادين" هذه المرة كما كانت كذلك بصحبة الأخوان فوزى أحمد ومحمود فوزى [٢٥] وكانت رحلتهم الأولى خارج مصر.

معظم الوقت كنت فيه مع شقيقاتي ولكن لم يمنع هذا من قضاء أوقات حلوة مع الأخوين أيضاً، وربما تختلف تفاصيل رحلتهما عن رحلتي بالرغم من تواجدنا في نفس البلد.

وهذه هي الحواديت والحدوتة الأولى هي ذاتها العنوان الرئيسي للفصل حيث إن هذا الموقف ما زال عالقًا في ذاكرتي

[٢٥] هم أصدقاء أعزاء ورفقاء معظم الرحلات طوال الوقت، وسبق أن تحدثت عنهما بشيء من التفصيل فى كتابي (سفرنامة) و(تذكرتين سفر).



الحدوتة الأولى : بدك ياه يطلقني :

بعد مضي عدة أيام على تواجدنا في المدينة الجميلة بيروت رغبت شقيقاتي – وبإمكانك التخمين ماذا رغبن !- التسوق والشراء وهي عادة الإناث في كل أنحاء الدنيا. المهم أنه بالبحث والسؤال عرفت أماكن التسوق في المدينة الغالية بطبيعة الحال فيها كمنطقة (السولدير) وهي الخاصة بتسوق الماركات ذات الأسعار الخيالية، وهو ما سنأتي على ذكره لاحقاً، والمنطقة الثانية هي (برج حمود) حيث التسوق الشعبي نوعا ما وبالتأكيد ميزانية السفر تدعم ذلك التسوق الشعبي، فذهبنا إلى هذا الشارع، وهو شارع طويل - إلى حد ما - وعلى اليمين واليسار محال تجارية متنوعة، ويشبه شوارع مختلفة في القاهرة ومنطقة وسط البلد، وكذلك بعض شوارع الإسكندرية.

تجولنا ببعض المحال، وأثناء تواجدنا بأحد المحلات التي لفتت المعروضات به أنظار شقيقاتي، وبينما البنات يخترن بعض قطع الملابس لتجربتها، دخلت سيدة لبنانية أنيقة وبصحبة زوجها الوسيم لتتسوق.

كانت السيدة متبرجة وبالتالي من الطبيعي أن تعرض عليها الفتاة العاملة بالمحل ملابس تختلف طبيعتها عن تلك التي تعرضها على شقيقاتي، المهم أنها عرضت على هذه السيدة تنورة قصيرة ولكنها جميلة بالفعل فما كان من السيدة إلا أن رفضت هذه الجونلة في إباء وحزم قائلة نصا ومشيرة إلى زوجها الذي كان قد خرج من المحل ووقف أمامه ليدخن سيجارة ويتحدث في هاتفه "بدك ياه يطلقنى" وهو ما يعنى أنه

سيغار عليها من ارتداء هذه التنورة وربما يتأزم الموقف بينهما ويصل إلى حد أبغض الحلال كما يقولون وهو الطلاق !

فأجابتها الفتاة "بعيد الشر" وأعادت التنورة إياها لمكانها وأخذت بنطالا من الجينز وأعطته لها لتجربه في غرفة القياس، حينها كنت أنا وإيناس في انتظار نادين في غرفة القياس تجرب بعض الملابس فلما خرجت السيدة مرتدية البنطال فغرنا أفواهنا، فالبنطلون كان سابق عصره أو ربما هو وصل إلينا في مصر متأخراً. رحلتنا هذه كانت في ٢٠١٤ ولكنه وصل السوق المصري في العام الماضى ٢٠١٧ وكان هو ذاك البنطال المقطع الذي يكشف أكثر مما يستر وهو بمثابة Hot Short وبالكاد يخفي ملابس السيدة الداخلية.

العجيب هنا ليس فقط أنها قبلت بقياسه من الأساس رغم رفضها للجونلة القصيرة ولا أن البنطال أعجبها لأنها ذات قوام مثالي وغير مترهل، العجيب أنها نادت على زوجها لتأخذ رأيه فإذ به يعجبه البنطلون ويراه جميلا، هنا لم نفهم أنا وإيناس "يعنى هو كان بده يطلقك عشان الجيبة القصيرة لكن البنطلون الشوارع ده عادى يعنى ☺!!" كان سيغار عليها إذا ما ارتدت التنورة القصيرة التي هي أكثر حشمة من البنطال، الذي يبرز أردافها بطريقة مستفزة، ويكشف كل ساقها تقريباً حتى أعلى الفخذ!، لم نفهم منطقهما صراحة وكتمت الضحك بمجاهدة وظللنا طوال الطريق في (برج حمود) نتذكر هذه الجملة ونضحك.

لن أقول هذه المرة أن درسًا مستفادًا من الحدوتة ولكن سأقول ملحوظة أنها ليست أكثر من سرد لواقعة حدثت أمام عيني وأنه لا داع لتحميل الأمور ما لم أحمله أنا لها وأخذ الكلام في سكة الرجولة والغيرة وما ينتج عن ذلك من جدل وأوصاف وتعبيرات دينية، الحكاية وما فيها أنني كنت ضيفًا في بلد يهتم بالموضة والأناقة بشكل كبير وربما مبالغ فيه، فقط الصدفة صنعت مفارقة لم أفهمها وهذا فقط سبب الحدوتة.

الحدوتة الثانية : اليوم الحزين

في الحدوتة الماضية كان مكان التسوق هو منطقة برج حمود، لـ"أجل البخت" - كما يقولون - كان يوم ذهابنا للتسوق هو ذكرى حزينة وسيئة بالنسبة للعاملين في المنطقة وأهلها، وكانوا بإجماع يعلنون أنهم سيغلقون المحال مبكراً وذلك للتفرغ للاحتفاء بالذكرى عبر المسيرات الجماعية، ما هي الذكرى؟

أولا لتعرف من هم سكان المنطقة لتعرف ما هي الذكرى، السكان هم من الأرمن والذكرى التي يحتفون بها بشىء من الحزن والتقدير هي

ذكرى مذابح الأرمن[٢٦]، حيث إن الحي يسكنه أجيال أولئك الذين استطاعوا الفرار ولكن أصابهم الشتات وهم أرمن لبنان، كانوا قد شكلوا "جيتو خاص بهم" وهو حي برج حمود.

وكانت طريقتهم في الاحتفاء او إعادة إحياء الذكرى عبر السير بالشموع المضاءة بشكل جماعى وكأنه مظاهرة مصغرة دون هتاف إلا بسيط، ويكتفون بالشموع واللافتات التي تحمل كلمات وعبارات تندد بهذه المذبحة.

وبالطبع أرمن الحى يجيدون العربية باللهجة اللبنانية بطلاقة وربما لن تستطيع تفريقهم عن اللبنانيون الأصليون.

[٢٦] مذابح الأرمن : بحسب ويكيبديا تعرف أيضًا باسم المحرقة الأرمنية، والمذبحة الأرمنية أو الجريمة الكبرى تشير إلى القتل المتعمد والمنهجي للسكان الأرمن من قبل الدولة العثمانية خلال وبعد الحرب العالمية الأولى، وقد تم تنفيذ ذلك من خلال المجازر وعمليات الترحيل، والترحيل القسري والتي كانت عبارة عن مسيرات في ظل ظروف قاسية مصممة لتؤدي إلى وفاة المبعدين. ويقدّر الباحثون أعداد الضحايا الأرمن بين ١ مليون و ١.٥ مليون شخص، وتعتبر مذبحة الأرمن ثاني أكبر قضية عن المذابح الجماعية بعد الهولوكست ويعتبر يوم ٢٤ إبريل/نيسان من كل عام ذكرى مذابح الأرمن حيث طرد الجيش العثماني الأرمن من ديارهم، وأجبرهم على المسير لمئات الأميال إلى الصحراء وحدود سوريا الحالية، وتم حرمانهم من الغذاء والماء. ومن الجدير بالذكر أنه تنفي جمهورية تركيا، الدولة التي خلفت الدولة العثمانية، وقوع المجازر التي تؤكدها الأمم المتحدة.



الحدوتة الثالثة : الغريب أعمى ولو كان بصيرًا

كما يقول المثل المصري الشائع - أن الغريب أعمى أو في حكم الأعمى حتى وإن كان مبصراً- وذلك للتدليل على جهله بالأشياء والأماكن نظرا لكونه غريبًا وليس من أهل البلد، وذلك يكون بمثابة العذر له عما سيقع فيه من مشكلات أو أية أمور، وهو بالفعل مثل حقيقي وصادق إلى حد كبير، ليس فقط في لبنان ولكن في كثير من البلدان، وعادة ما تتعلق المواقف المرتبطة بهذا المثل بالخديعة أو الخداع والتي يحلو لي وصفها بالعامية المصرية "بالختم على القفا أو قفا البلد"، حيث يجب أن يضحك عليك أحدهم ويلبسك "السلطانية" كما في القول المصري الشائع.

وسلطانية لبنان كانت كالتالي: في أول أيام الوصول وبعدما وصلنا جميعا إلى الفندق شديد الفخامة الواقع في أهم أحياء بيروت وأشهرها وهو حي الحمرا "الحمراء" ولا شأن لمدلول الكلمة بالعامية المصرية بالطبع "عشان متفهمنيش غلط☺" وبعدما تناولنا بعض الأطعمة الخفيفية والحلوى، سرعان ما غادرنا الفندق للتجوال واستكشاف البلد، وكنا على مقربة من كورنيش بيروت المميز والأنيق والشهير بصخرة الروشة المعروفة والتي تعد من رموز السياحة اللبنانية في الكتيبات الدعائية والمطبوعات ووسائل الإعلان والإعلام أيضا.

كانت المسافة بين الفندق والكورنيش ليست بالكبيرة إلا أن شقيقاتي فضلتا أن نستقل سيارة أجرة، والسيارات هناك حكاية مستقلة بذاتها، المهم أنه كان أول البخت هناك رجل عجوز تجاوز الخامسة

والسبعين مما يوحي به مظهره وبسيارة مرسيدس ربما تكون قد تجاوزت هي الأخرى الأربعين عاما من الخدمة في الشوارع، اتفقنا على الأجرة حيث لا وجود للعداد وخاصة مع السياح، وقبل أن نشرع في الحركة واجه "عم الحاج" صعوبة في مغادرة الشارع ومكان صف سيارته نتيجة لسلوكيات بعض المارة فما كان منه إلا أن يشتم كل من حاول المرور قبل منه بلفظ قديم يتماشى مع قدمه شخصيا قائلا له يا "عكروت" وربما هي تشبه لفظه شديدة القبح لدينا في مصر على نفس الوزن وبإبدال بعض الأحرف.

المهم أننا سرعان ما وصلنا إلى الكورنيش والروشة، أعجبنا منظر الكورنيش وشكله فهو عبارة عن رصيف طويل ممتد بطول البحر يصل بك إلى مشارف منطقة السوليدير ويتجاوزها، ومحاط بشريط معدني أنيق لامع يفصل بين الصخور والبحر من ناحية وبين الرصيف من ناحية أخرى، وتقع صخرة الروشة المهيبة في بداية هذا الشريط ولكنها بالطبع داخل المياه. وبالمناسبة توجد هناك أغلى فنادق ومطاعم ببيروت وذلك ببساطة لأن المنطقة مطلة على البحر الأبيض المتوسط وكورنيش لبنان وصخرة الروشة.

وأثناء سيرنا على الكورنيش هذا كنا نتوقف لالتقاط بعض الصور فأتانا شابٌ يعرض علينا نزهة بالقارب في المياه وصولا إلى الصخرة لنتمكن من التقاط صور أفضل و أوضح، أعجبتنا الفكرة فسألنا عن السعر فأجاب نصا ٢٠ دولاراً، حاولت الفصال إلا أنه أصر على الرقم، فظننت أن الأمر يستحق حقاً المبلغ وأنه ليس مبلغًا كبيرًا على أية حال،

أخرجت حافظة نقودي لمحاسبته فإذ به يرفض ويقول إن الحساب بعد العودة، لم أنتبه إلى بداية الفخ حينها، وربما ظننت - ويا لساذجتي - أن هذا من باب حسن خدمة العملاء أو الزبائن.

المهم أننا عبرنا الشريط المعدني الفاصل ونزلنا على الصخور الكبيرة بحذر إلى أن اقتربنا من المياه وصعدنا إلى قارب صغير بموتور يتسع لثلاثتنا مع قائد القارب، وبدأنا في التحرك، وجاب بنا الرجل الكورنيش بأكمله ولكن داخل المياه وبالطبع كان مسك ختام هذه الجولة هو الوصول إلى حيث صخرة الروشة التي هي بالفعل ضخمة وكبيرة وبوقوفها في ثبات داخل المياه وعلى عمق كبير من الشاطىء يمنحها إطلالة فريدة.

وقف بنا الرجل لالتقاط بعض الصور ثم غادرنا عائدين إلى الشط، وما إن وصلنا وحاولت أحاسب الرجل مرة أخرى إلا أنه رفض للمرة الثانية قائلاً إن الحساب فوق ولا يقصد بالطبع في السماء ولكنه يقصد أعلى الكورنيش بالمكتب، فاصطحبني لدفع الحساب وأنا "كالأهبل☺" لم أفطن بعد لماذا لم يأخذ الرجل نقوده إلى الآن وينصرف كلا منا إلى حال سبيله، وصعدنا على الصخور مرة أخرى إلى أن عدنا مجددا للكورنيش ودلني الشاب على المكتب المزعوم وإذ به عبارة عن منضدة ومن خلفها كرسي تتربع عليه امرأة بدينة صفراء الشعر وهيشائه أيضا، بيضاء البشرة ولكنها حادة الملامح وبجوارها أرجيلة "شيشة" تسحب منها أنفاساً باستمرار وعلى يمينها ويسارها شابان مفتولي العضلات كأولئك الذين ظهرا في فيلم (جائنا البيان التالي) في مشهد الممثلة في المهرجان إن كنت تذكره، حياها الشاب قائلاً " مسا الخير معلمة" وهي

فعلاً ذات شكل وهيئة معلمة في سوق ولكن بلسان لبناني اللهجة وأكمل "الزلمة" - اللي هو أنا بالطبع - عمل Tour للروشة هو والصبايا وأشار إلى حيث وقفت الفتاتان في انتظاري، فقالت بعدما نظرت إلى حيث البنات شزراً "يعني تلاتة" فأجابها مؤكداً "أيه" أي نعم باللبناني، فوجدتها تقول يعني لحساب ٦٠ دولار "يا نهار أسود ٦٠ دولار ليه ؟ "

هنا أدركت المقلب أو القفا أو السلطانية - سمه ما شئت- فالمخادع قال ٢٠ دولارًا وصمت ولم يكمل الجملة؛ لأنه يعرف أنه إن أكملها لنظرت إليه من فوق لتحت وتركته وانصرفت فقط لو قال ٢٠ دولار للفرد، هنا حاولت جاهداً ألا أغرم هذا المبلغ الكبير والذي هو ليس عن استحقاق بالتأكيد فحاولت التوضيح للمعلمة أنه لم يخبرني أن المبلغ هذا عن الفرد الواحد ولكنه قال ٢٠ دولاراً تكلفة الرحلة كلها، والتفتُّ خلفي لأشير إليه مستشهداً بالحديث الذي دار بيننا، فإذ به كفص الملح ذاب، ثم وجدتها تقول "هو قالك بس إنت اللى ما سمعت منيح" الحساب ٦٠ دولار يا زلمة، قالت هذا وهي تنظر يميناً ويساراً "للقباضايات" أو الفتوات كما نقولها نحن كرسالة ضمنية أنه "يا الدفع يا الضرب والطحن"، ولما كنت مصري، وليس ذو جواز سفر بشأنٍ عظيم، ولما كنت سائحاً في بلد عربي فلا ضمان لجدية اللجوء لتحكيم الشرطة أو الاستغاثة بها، ولما كنت أرغب في الحفاظ على نفسي وكرامتي أمامها "أي أمام نفسي وكذلك شقيقاتي" فحاولت التفاوض وأنه ليس معي سوى ٥٠ دولاراً فإذ بالسيدة توافق وتأخذهم قائلة إنها ستسامح في ال ١٠ دولار من باب أننا ضيوف البلد ولابد من إكرام الضيف، فدفعت وانصرفت في سلام.

صحيح تكدر صفو النزهة الجميلة حينها لإحساسي أنني أُجبرت على دفع مبلغ مقابل خدمة لا أراها تستحقه إلا أنني أدركت أننا كعرب مع بعضنا البعض كثيرًا ما نفعل هذا ببعض - وخاصة من السياح الأجانب ولا نقدّر قيمة الانطباع الذي سيأخذه السائح عنا مما يجعل سمعتنا سياحيا كما "البرلنت" سامحني يا رب على هذه الكذبة - كما أن المبلغ لم يكن بضخامته الحالية حيث وقتها كان ما يزال الدولار لم يتجاوز الستة جنيهات والحمد لله وليس كما الآن.

فكرت بعدما انصرفت في الحديث مع أي ضابط شرطة أجده إلا أنني تذكرت أني قد تركت جواز السفر في الفندق خشية ضياعه أو تلفه وأنني أسير في شوارع ودروب بيروت حاملاً فقط صورة ضوئية منه وبالتأكيد لن يتعامل الضابط مع الشكوى بمحمل الجد ما لم أكن أحمل أصل الهوية وإثبات الشخصية .

والحمد لله كانت هذه هي أول وآخر سلطانية في لبنان أو "قفا"، وعادة ما تكون "الأقفية" أو القفايات إن جاز الجمع واحدة وحيدة في كل بلد حيث نصبح أكثر حذرا بعد التعرض للخدعة الأولى.

من دروسي المستفادة في هذه الحدوتة:

١- دوماً اسأل عن سعر الخدمة وتأكد أنه السعر النهائي الذي سيتوجب عليك دفعه

٢- لا تتوقف عن الفصال.

٣- إلجأ إلى الشرطة إذا ما تعرضت للنصب أو الخداع ولكن لتعلم أنك إن فعلت فقد تأخذ رحلتك مسلكًا آخر وستضيع بعض الوقت في أماكن بالتأكيد ليس من المحبب تمضية الوقت بها.

ماذا عنك صديقي القارىء :

....

....

الحدوتة الرابعة : الشوفرية :

أذاهب أنت إلى لبنان، إذا ثقّل جيبك ومحفظتك وسيل ممتلكاتك وجمد أرصدتك البنكية إن وجدت لأنك هناك ستكون في بلد تأكل الدولارات أكلاً وتلتهمها التهاماً – لا يعنى هذا ألا تذهب أو أنه لا يمكنك الذهاب بتكلفة منخفضة حيث سأوضح هذا في جزء لاحق – وأكثر أوجه الإنفاق هناك هي المواصلات أو على الشوفيرية كما يقولها اللبنانيون وتعنى السائقين وهي جمع لتعريب كلمة سائق بالفرنسية Chauffeur.

بيروت لا يوجد بها مترو أنفاق كما أنها لا تعرف الميكروباص كوسيلة مواصلات جماعية كما عندنا في مصر، وما هو إلا عدد قليل منها ونادر، والمواصلات العامة التي هي شبه أتوبيس صغير Mini Bus يكاد يندر وجودها إلا عدد قليل يأتي أو يظهر كل "حين ومين" وبالتالى يعتمد الناس هناك في المقام الأول على سياراتهم الخاصة ولا تظن أن الشعب هناك

غنياً إلى هذا الحد، فالأمر على العكس تماماً إلا أن كل ما هناك أن السيارات لديهم الجديد منها والمستعمل تدخل إلي السوق اللبناني دون جمارك تماماً فيتم بيع السيارات بأرقام لا يمكن تخيلها أو توقعها، - واعذرني لأن خبرتي بعالم السيارات سيئة للغاية وإلا كنت منحتك أمثلة ونماذج بماركات وأسعارها هناك –

وبمقارنة الأسعار التي تباع بها السيارات هناك وهنا في مصر تجد أن الفرق هو فرق السما من الأرض كما يقولون، لذلك لا تندهش عندما ترى هناك الكثير من السيارات الفارهة والماركات العالية كالمرسيدس بمختلف موديلاتها وال BMW وال Volks wagen والهوندا وغيرها، بل بعضهم يعمل كسيارات أجرة، وبالطبع رخص أسعار السيارات هناك وخاصة المستعملة والمجلوبة من دول الاتحاد الأوروبي أو بلدان الخليج العربي يجعل من السهل أن تجد أن العائلة الواحدة قد يمتلك أفرادها أكثر من سيارة.

إذا هذة هي أولى وسائل المواصلات التي يعتمد عليها اللبنانيون، أما الثانية فالتاكسي ومنه الكثير من السيارات الفارهة كما أوضحت، وليست ال Verna البيضاء كما لدينا، الفرق بيننا وبينهم أنهم كانوا يشترون البنزين بسعره الحر وقتها غير مدعوماً من الدولة. وعلى أية حال هذا ما نتجه إليه الآن بقوة اللهم إلا أن السيارات لدينا لن يتم رفع الجمارك الباهظة عليها.

وطبعاً لغلاء تكلفة البنزين وقتها هناك كان هذا يعني غلاء أسعار التاكسي وأن المشاوير هناك تصل إلى أرقام فلكية وبالدولار أحياناً حيث إن سيطرة الليرة اللبنانية ليست كبيرة ولا تعبر عن سيادة الدولة على أراضيها بالشكل اللائق، فكل الأماكن هناك تقبل الدفع بالليرة أو الدولار وقد تدفع بالدولار وتأخذ ما تبقى لك بالليرة، وهو أمر لم يسبق أن رأيته في أي دولة أخرى سافرت لها بعد ذلك حيث دوماً لا يتم قبول الدفع إلا بعملة البلد والدولار واليورو مقبولان فقط في مكاتب الصرافة وتحويل العملة.

كان من ضمن الشوفرية الذين تعرفت عليهم أبو وليد، رجل ستيني وما يزال يحمل ملامح تقول إنه كان وسيماً في شبابه بشعر أبيض يمنحه رزانة ويطمئنك إليه، استوقفته مرة ليقلنا من مكان لآخر، ودار بيننا حديث مطول واتفقنا أن يصحبنا في جولة يوم كامل بالمدينة وأطرافها لمشاهدة بعض المعالم وهو حدد السعر وفاصلته فيه إلى أن اتفقنا على ٨٠ دولارا ليكون تحت إمرتنا ليوم كامل، المبلغ كبير لا شك، ولكنها الحياة هناك كذلك وهذه المرة لم أتعرض للخداع حيث سألت الموظفين في الفندق فأجابوا أن الاتفاق جيد جدا خاصة مع تباعد المزارات التي ننوي زيارتها، كما سألت الأخوين فوزي عن كيفية تحركهما هناك فعلمت أنهما أجرا سيارة بسائقها وبمبلغ دولاري كبير بالتأكيد ولكنه مقبول نظراً لأن الاتفاق يشمل مدة تواجدهما في بيروت .

الشوفيرية هناك لديهم Business card يدونون عليه الاسم ونوع السيارة وموديلها ورقم الهاتف وخاصة مستخدمي تطبيق ال whats app حتى يتمكن الزبون أو العميل من التواصل معهم بسهولة والاتفاق على المكان والموعد والأجر مسبقاً - هذا بالطبع قبل ظهور تطبيقات تُقدم خدمة النقل المُرتب مسبقاً مثل أوبر وكريم-، وصراحة فادتني هذه الكروت كثيراً حيث كنت أرسل لأكثر من شوفير وأخبره وجهتي ويرسلون هم السعر وأنا أفاضل بين الأفضل سعرا وأختار أقل الأسعار حتى وإن كان الفارق ٥ دولارات.

الجدير بالذكر أنهم جميعهم ملتزمون بالوقت الذي تحدده أنت، فإن طلبت من أحدهم أن يكون أمام الفندق في الثامنة مساءً ففى الثامنة إلا خمس دقائق كنت أجده يرسل لى رسالة أنه في انتظاري بالفعل في ردهة الفندق.

إذا هكذا علمت صديقي القارىء أمر المواصلات هناك فاعمل حسابك.

الحدوتة الخامسة : City Tour

هو ذلك اليوم الذي كنت فيه بصحبة شقيقاتي ومستقلاً تاكسي "أبو وليد" بعدما اتفقنا في الليلة الماضية أن يصحبنا في جولة المدينة، والتي كانت تشمل عدة مزارات، أهمها صعود (جبال الشوف)، وهي الجبال الأكثر شهرة في بيروت، وهي عبارة عن جبال خضراء تماماً مكسوة بشجر الأرز الشهير رمز العلم لديهم وأشجار أخرى، ومتحف (ماري باز)، ثم التوجه إلى (بيت الدين)، وهو مقر الرئاسة اللبنانية هناك، وجزء منه

مفتوح للزيارة باعتباره من أشهر مسارح بيروت، والذي شهد حفلات كبار المطربين اللبنانيين والعرب، وعلى رأسهم السيدة "فيروز" بالطبع، وكذلك "فريد الأطرش". ثم (شلالات الباروك)، ثم الانتقال إلى (جونية) وهي خارج بيروت وتشتهر بالملاهي الليلة، بالتأكيد هذا ليس سبب زيارتنا لها؛ فجولتنا نهارية من الثامنة صباحاً، كما أننا لسنا من هواة ارتياد هذه الأماكن، ولكن سبب الذهاب أنه يمكننا هناك استقلال التلفريك الشهير في لبنان والصعود إلى (حريصا) ثم العودة مجددا.

إذن الجدول ممتلئ. كان التحرك في الموعد المتفق عليه، وبدأنا بجبال الشوف، وهي تلك الجبال التي تمتع نظرك طوال الطريق، فهذه كانت مرتنا الأولى التي نشاهد فيها جبالا خضراء بهذا الشكل الرائع، فنحن معتادون هنا على الجبال الرميلة أو الصخرية الصفراء، وحينها لم يكن قد سبق لنا السفر إلى أيٍّ من دول جنوب شرق آسيا الساحرة والمشهورة بالطبيعة الخلابة، وصراحة تسبب رؤية الجبال الخضراء راحة للنفس وسعادة بطعم خاص، صحيح لم تكن النزهة تخلو من بعض لحظات الرعب، فالطريق الجبلي غير مُؤمَّن كما يُفترض بشريط من الحواجز الأسمنتية كما تقضتي الضرورة والمنطق، وربما لم يفعلها اللبنانيون ظناً منهم أن هذه الحواجز ستحجب منظر الجبل الجميل عن السيارات ومستقليها، أو ستكون كالنغمة النشاز وسط معزوفة جميلة من الطبيعة، أو لتكلفتها المادية الكبيرة بالتأكيد إذا ما فعلوها بامتداد وطول الجبل.

ومما يزيد من الرعب أن الطريق عبارة عن حارة واحدة ذهاب وعودة "رايح جاي" كما أول طريق السويس العين السخنة لدينا في مصر، ولكنه على أسوأ لأنه على قمة جبل، فيا للرعب، وعند لحظات بعينها

كنت أظن أننا على وشك أن ننقلب بالسيارة، وطالما طلبت من "أبو وليد" تهدئة السرعة، ولكن جدير بالذكر أن السائقين هناك يسيرون بتمكن ودراية كبيرة للطرق الجبلية هذه، ولكنني ما زلت أرى أن عناصر الأمان من فوق هذه الجبال ليست كما ينبغي، خاصة وأننا نتحدث عن بلد يُشرعن الخمور وتداولها، فهي موجودة في كل مكان حتى في الأكشاك الصغيرة على الطرقات، ومن الطبيعي ألا تقود تحت تأثير أي مخدر أو مُسكر، ولكن ما الضمان ألا تفعل ولا أعلم ماهية هذا الطريق ليلاً حيث يكثر شاربي الخمر ليلاً بالطبع.

توقفنا بعض الوقت على جانب الطريق عندما سمح لنا الطريق نفسه بهذا "أي أعطانا بعض مساحة"، وترجلنا من السيارة نستمتع بالشمس الدافئة والطقس الرائع ولالتقاط بعض الصور التذكارية بالتأكيد، ثم أكملنا المسير وتوقفنا عند متحف (ماري باز) - وبالمناسبة - يصلح "أبو وليد" أن يكون مرشداً سياحياً بامتياز، فهو يحفظ تاريخ بلده والشخصيات العامة بها ويتلوه ويسرده بمهارة حكّاء بارع ولا يتوقف عن الحديث طوال الطريق شارحاً الكثير ومتحدثاً عن الكثير عن لبنان في الماضي وقت الاحتلال الفرنسي[٢٧] ولبنان الحديث وقت الحرب الأهلية[٢٨]

[٢٧] هي فترة حكم فرنسا للبنان التي نتجت عن الحرب العالمية الأولى وسقوط الإمبراطورية العثمانية وبحسب تقسيمات اتفاقية سايكس-بيكو ١٩٢٠ والتي أجازت نظام الانتداب على المناطق العثمانية المتفككة بحجة المساعدة في إنشاء مؤسسات للدول الجديدة.

فقام الفرنسيين بضم عدد من المدن والبلدان لتخضع للحكم الفرنسي .وبعد صراع سياسي، اتحد المسيحيون والمسلمين اللبنانيون معا فيما عرف بالميثاق الوطني اللبناني وأعلنوا استقلال لبنان تحت اسم الجمهورية اللبنانية عام 1943 وانسحبت القوات الفرنسية كليا بحلول ١٧ نيسان ١٩٤٦ وهذا التاريخ يسمى عيد الجلاء في لبنان.

ولبنان الحالي وقت الكساد والركود الاقتصادي والفراغ السياسي "حيث وقت الرحلة كان ما يزال منصب الرئيس شاغراً " ، ولبنان بأمسه القريب وقت عدوان اسرائيل [٢٩] عليه وخاصة الجنوب وما خلفته الحرب من دمار.

وكي تتأكد أنه يستحق فعلا العمل كمرشد سياحي فإليك هذه القصة، حيث كنا في زيارة إلى أحد المتاحف ذات مرة، وكان إلى جوارنا رجل وزوجته أعجبا بطريقة حكيه لنا وتبعونا ليتعرفوا عليه وأخذوا الكارت الخاص به ظنًّا منهم أنه مرشد سياحي، واندهشوا لما عرفوا أنه شوفير أو سائق .

---

[٢٨] هى حدوتة كبيرة لا تخلو من ألم ووجع ودموع ودماء هي حرب أهلية متعددة الأوجه في لبنان، واستمرت من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٩٠ وأسفرت عن مقتل ما يقدر بـ ١٢٠ ألف شخص. وحينها عُرف ما يسمى بالقتل حسب الهوية حيث يتم اختطاف الشخص وسؤاله عن ديانته ولا يعرف من خاطفيه، فربما يكونوا من الملة الأخرى فإن أجاب خرجت الرصاصة سريعا لتستقر فى صدره .قبل الحرب، كان لبنان متعدد الطوائف ، حيث كان المسلمون السنة والمسيحيون الأغلبيات في المدن الساحلية ، حيث كان المسلمون الشيعة في الأساس في الجنوب ووادي البقاع إلى الشرق، وكان أغلب سكان الجبال من الدروز والمسيحيين. وسبب نزوح مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين إلى لبنان خلال عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ في تغيير التوازن الديموغرافي لصالح السكان المسلمين. وقد بدأ القتال بين الموارنة والقوات الفلسطينية (معظمهم من منظمة التحرير الفلسطينية) في عام ١٩٧٥ ، ثم شكلت الجماعات اليسارية والعربية والإسلامية اللبنانية تحالفا مع الفلسطينيين.واستمرت الحرب لسنوات وكان اتفاق الطائف لعام ١٩٨٩ بداية النهاية للقتال الذى انتهى عام ١٩٩٠

[٢٩] حرب تموز حسب التسمية الشائعة في لبنان أو حرب لبنان الثانية حسب التسمية الإسرائيلية أو"مواجهة إسرائيل-حزب الله ٢٠٠٦ "هي العمليات القتالية التي بدأت في ١٢ تموز /يوليو ٢٠٠٦ بين قوات من حزب الله اللبناني وقوات جيش الدفاع الإسرائيلي والتي استمرت ٣٤ يوما في مناطق مختلفة من لبنان، خاصة في المناطق الجنوبية والشرقية وفي العاصمة بيروت

ومتحف (ماري باز) ليس ذا أهمية كبيرة، فلا هو ضخم ولا متعدد المعروضات، ولكنها عادة الحكومات فعل أي شيء للتسويق السياحي بحثا عن زيادة مصادر الدخل، وهذا كثيرًا ما يحزنني على حالنا، فعلى الرغم من كثرة آثارنا وتنوعها، وقدم حضارتنا أجد أننا لا نجيد التسويق لأنفسنا كما يجب.

وغادرنا المتحف إلى (بيت الدين) الذي شاهدناه من الخارج فقط للأسف نظراً لغلقه في هذا اليوم لإتمام بعض أعمال الصيانة به، ولكننا شربنا من نبع مياه صافية هناك وباردة وكأنها تنزل من ثلاجة .

ثم غادرنا لنلحق بـ(جونية) التي نصل إليها بعد عبور (نهر الكلب)، وبالوصول إلى هناك قطعت ثلاثة تذاكر لاستخدام التلفريك، والتي هي بالمناسبة ليست غالية على الإطلاق، ثم صعدنا إلى العربة الخاصة بنا في التلفريك، وكانت لثلاثتنا فقط، وسرعان ما تحرك بنا، وكانت هذه هي مرتنا الأولى في ركوب التلفريك، وكانت واحدة من أمتع المرات بعد ذلك وأقربها إلى قلبي؛ حيث كان المنظر صعوداً وهبوطاً خيالياً وساحراً وكأنه لوحة من الجنة، فأسفلنا جبال خضراء وأمامنا البحر الأبيض المتوسط يتلألأ كالمجوهرات الثمينة بفعل أشعة الشمس .

وصلنا إلى (حريصا) حيث تمثال سيدة لبنان الشهير الذي يعلو كنيسة (حريصا) الصغيرة، صعدنا إلى التمثال وهناك وجدنا بعض اللبنانيين المسيحيون يصلون في خشوع وتضرع خالعين أحذيتهم، فوقفنا في صمت نتابع مشهد (حريصا) من أعلى نقطة بها إلى أن انتهى الناس من صلاتهم فتمكنا من الكلام والتقاط الصور، نزلنا بعد ذلك من عند

التمثال ودخلنا صحن الكنيسة الصغيرة التي هي بالفعل صغيرة الحجم ولكنها مليئة بالنقوش والرسومات الزيتية التي تعبر عن مراحل مختلفة من حياة السيد المسيح ورحلة الخروج كذلك.

وبخروجنا من الكنيسة بقينا لبعض الوقت على قمة (حريصا) لنسمتع بالهواء المنعش والمنظر الذي لا يتكرر، وبالمناسبة هناك مطعم يقدم تلك الإطلالة الفريدة لتناول الطعام ولكننا خشينا من ارتفاع أسعاره ككل شيء هناك وخاصة عند المزارات السياحية، ولكون أسعار الطعام من المطاعم العادية ليست رخيصة حيث كان سعر ساندوتش الشاورمة حوالى ٥٠٠٠ ليرة، وكذلك أسعار المياه والمياه الغازية والعصائر، فآثرنا السلامة والنزول مرة أخرى إلى حيث (جونية) لتناول الطعام بأسعاره العادية لا السياحية .

كانت أرقام ك ٥٠٠ ليرة لزجاجة المياه الصغيرة و ٢٠٠٠ ليرة لعلبة البيبسي الصغيرة أرقامًا تشنف الآذان، وكان ضعف عملة لبنان هكذا يجعلنا أغنياء بواقع الرقم وليس قيمته بالتأكيد، حيث أذكر أنه بتحويل المائة دولار أمريكي إلى الليرة اللبنانية كانت تمنحنا ثلاثمائة ألف ليرة وكسور؛ أي ما يتجاوز الربع مليون ليرة بعدة آلاف، وهذه كانت تجربتي الأولى في أن أكون مليونيراً أو أحمل رقمًا يمت للمليون بصلة خارج مصر طبعًا حيث داخلها لا مجال لذلك إطلاقًا مطلقًا.

جدير بالذكر أنه خلال رحلة النزول مرة أخرى إلى (جونية) توقف بنا التلفريك لبعض الدقائق، وحينها لم ندرك أكان هذا التوقف جزءًا من الرحلة أم أن هناك عطلا ما أو انقطاعًا للتيار الكهربي إلا أننا كنا سعداء

بهذه "التعليقة" حيث جعلتنا نستمتع بالمنظر لوقت أطول، وهو المنظر الخيالي الذي لا أجد نفسي قادراً على وصفه رغم أنني أراه ماثلاً أمام عيني وأنا أكتب هذه السطور.

وبعودتنا إلى "أبو وليد" مرة أخرى عاد بنا إلى بيروت بعدما تناولنا الغذاء بمطعم لباني جميل وبوصولنا للحمرا من جديد كان التسوق السريع لعشقي وشغفي دائما "الأطباق والأكواب" حيث أحرص على شراء أحدهما أو كليهما عند السفر، ومن هناك اشتريت عدة كاسات زجاجية جميلة ندمت أنني لم أشتر المزيد منها، ولكني كنت أتخوف من كسرها في الشحن عند العودة للقاهرة مرة أخرى، ولكن القطع الثلاثة التي اشتريتها وصلوا إلى أرض الوطن بسلام، ولكن منهم من انكسر في المنزل من الاستخدام للأسف.

وفي المساء كانت الحداثة والعولمة هي صاحبة الشأن، فخرجنا إلى مول بيروت (ستي سنتر)، وشاهدنا فيلم Noah الذي كان وقتها ممنوعًا من العرض في مصر برفض من الأزهر ومجلس الشعب وقتها على ما أذكر فوجدتها فرصة لمشاهدته لأنه صراحة - كما يقولون - الممنوع مرغوب، والفيلم يبدأ في نسخته الموجودة بلبنان بأنه يقدم قصة لا علاقة لها بالتناول الإسلامي لقصة سيدنا نوح عليه السلام، ومن هذا المنطلق كانت المشاهدة التي كانت ممتعة بالفعل حيث إن المؤثرات البصرية كانت أكثر من ممتازة خاصة مؤثرات الطوفان وغرق البشرية وقتها، حقيقة كانت مشاهد مرعبة بحق.

وحيث إن الشيء بالشيء يُذكر تعتبر دور العرض في لبنان - وبيروت تحديدًا - من أحلى وأجمل دور العرض السينمائي التي دخلتها في بلدان مختلفة، كما أن تقنيات الصوت لديهم فعلا ممتازة، ولا أقصد بالحديث فيلم نوح فقط حيث حدث ودخلنا السينما مرتين أخريين في دور مختلفة ومولات مختلفة أيضاً.



بيروت

ربما لم تحمل بيروت من الحواديت الكثير الذي يحمل مفارقات مثلا ويستحق أن يروى، ولكن هذا لا يعني أن الحكي والكلام عنها قد انتهى، فعاصمة لبنان الجميلة ذات الكثافة السكانية التي تُقدر بحوالى ثلاثة ملايين نسمة، وهي من المدن التي وقعت في غرامها وأتمنى زيارتها مرات ومرات، وبالتأكيد لم تقتصر المشاهدات هناك على ما ذكرته في الحواديت، ولكن هذا الفصل يقدم ترشيحات لأماكن أخرى تستحق الزيارة هناك ولكن بعد المعلومات الأساسية في السفر.

١- التأشيرة : تعتبر تأشيرة لبنان من التأشيرات السهلة نسبياً ولها طريقتان: الأولى وهي الطريقة النمطية أو التقليدية التي تقتضي التقدم إلى سفارة لبنان بالقاهرة بطلب لزيارة البلد بغرض السياحة، ويقتضي هذا تقديم أوراق كاملة مثل خطاب من جهة العمل - سبق شرحه - وكذلك خطاب بكشف حساب بنكي لآخر ثلاثة أشهر وبالضرورة يكون بالحساب حركات إيداع وسحب على

مدار الفترة المذكورة، هذا مع دفع الرسوم وانتظار حوالي أسبوع لتحصل على النتيجة، وهو بالفعل ما حدث معي ومع شقيقاتي وكذلك أحمد فوزي. ولكن العجيب لاحقاً أنه كان لنا أصدقاء تقدموا بنفس الطريقة للسفارة "رجلاً وزوجته وفي صحبتهما ابنتهما الرضيعة" إلا أنه ولأسباب غير معلومة حتى الآن رفضت السفارة منحهم التأشيرة وسط دهشة من الجميع "شركة السياحة التي تولت ملف رحلتهما- أنا وأحمد وبالطبع أصحاب الشأن أنفسهما".

هذا وقد آثر محمود فوزي استخدام الطريقة الثانية وهي أن تحزم أمتعتك وتتوجه إلى المطار ومعك تذكرة ذهاب وعودة وكذلك مبلغ ألفي دولار أمريكى. أطمئنك، لن يأخذ أحد منك هذا المبلغ ولكنه شرط وضعه الجانب اللبناني للسماح بالدخول لمن أراد المجيء مباشرة دون إجراءات التأشيرة المسبقة؛ حيث يفترض الأمر إثبات امتلاك القدرة المالية الكافية للإقامة في البلد مع دفع ٢٠ دولار في المطار رسوم تكلفة التأشيرة المباشرة، وسرعان ما تحصل على ختم الدخول من مطار رفيق الحريري الدولي.

صحيح أن الحل الثاني في التأشيرة يقتضي تدبير مبلغ كبير، حيث يصل لقرابة الستة وثلاثون ألفاً من الجنيهات المصرية في حين أنه وقت سفرنا كان لا يتجاوز الأربعة عشر ألفاً فقط إلا أنه مال لن يسحبه شخص منك إذا ما أردت عدم الدخول في الإجراءات البيروقراطية للسفارة، والتي أحيانا ما انتهت برفض أناس سافروا بعد ذلك بشكل

مباشر ومعهم ال ٢٠٠٠ دولار، وحصلوا على ختم الدخول وسُمح لهم بدخول البلد على الرغم من رفض السفارة لهم بذلك قبل أيام !

من الجدير بالذكر، أن لبنان على قائمة الدول التي يتطلب السفر إليها تصريحًا أمنيًّا من مجمع التحرير، والأمر ليس معقداً كما أنه يحمل بعض الاستثناءات كأن يكون مسجلا في جواز السفر مهنة واضحة ولا علاقة لها بالتعليم الفني أو المؤهلات المتوسطة، حينها لن تحتاج إلى هذا التصريح، ويمكنك السفر مباشرة أما إن كان جواز سفرك يحمل في خانة الوظيفة بيان "حاصل على واسم مؤهلك الجامعي" في هذه الحالة يصبح التصريح الأمني مطلوبًا. إلا أن هناك مسافرين كانت جوازات سفرهم تحمل هذا البيان وسافروا دون الاضطرار للحصول على تصريح السفر هذا.

ومن الواجب القول أيضا أن أمر التصريح الأمني هذا يتمتع بضبابية لا مثيل لها. وكم من أناس ذهبوا إلى مجمع التحرير وسألوا ما إن كان سفرهم لوجهة ما يتطلب الحصول على تصريح وأجابهم الضابط بـ(لا) بعد الاطلاع على جواز السفر، إلا أنهم فوجئوا في المطار مع ضابط الجوازات هناك أنه لابد من وجود تصريح ولم يتمكن البعض من السفر بالفعل وضاعت عليهم الطائرة والكثير من تكاليف الرحلة. بالتأكيد من حق الدولة اتخاذ التدابير اللازمة لضوابط الأمن القومي ولكن يجب الأخذ في الاعتبار مصالح المواطنين حتى لا يشعرون وكأن الأمور تمشي بالمزاج أو الأهواء الشخصية ولا يحكمها قوانين وضوابط واضحة لا تقبل التأويل من شخص لآخر.

المهم أنه حتى الآن هذا هو المعروف عن تأشيرة لبنان والتصريح الأمني الخاص بها.

٢- فيما يخص أنسب أوقات الزيارة فهذا يعود لك ولما تفضل، فإن كنت تفضل الإجازات الصيفية والجو الصحو والأنشطة المائية فأشهر الربيع والصيف هي الأنسب بالنسبة لك، خاصة إذا ما تزامنت رحلتك وعيد الفصح أو القيامة لدى المسيحيين الموارنة هناك، حيث ستشعر ببهجة احتفالهم بالعيد، ولكن هذا يعنى أنك ستجد وتقبل ازدحام البلد بعض الشيء سواء بسبب كثرة تحركات أهل البلد أنفسهم، أو بسبب السياحة الوافدة إليهم حتى وإن كانت سياحة على استحياء.

أما إن كنت تفضل الأجواء الأوروبية في الشتاء ولا تستطيع الذهاب إلى أوروبا فبيروت ولبنان عامة خيار مثالي لعطلة شتوية أوروبية الطابع، حيث تكثر الثلوج أعلى الجبال هناك وتغطيها تماماً، ويتزامن هذا مع احتفال لبنان بعيد الميلاد المجيد ورأس السنة، مما يضفي أوروبية على رحلتك بامتياز.

٣- أما عن أنسب أماكن الإقامة، فدعني أخبرك أن بيروت بالإمكان وصفها "أوضة وصالة" دلالة على صغر المساحة، ولكنها رغم المساحة الصغيرة تتمتع بجمال فريد وروح حيوية تشعر بها في المدينة – حيث للمدن أرواح كما البشر أو هكذا اعتقد - وبالتالي أينما تقيم ستجد نفسك قريبًا من كل شيء، ولكن أفضل الأماكن التي تحتوي على إقامات متنوعة ومنها الفاخر بالطبع هو

شارع أو حي الحمرا ومنطقة الكورنيش، أما الإقامة في الأحياء التاريخية القديمة فتجدها متوفرة في باب إدريس.

تسألني هل أرشح لك الفندق الذي أقمت به أم لا؟ بكل تأكيد أرشحه لك، وكان اسمه queen suite (الحمرا)، الفندق الذي ينتمي لفئة النجوم الأربعة، مميز وأنيق للغاية، فالبهو صغير المساحة، فريد الأناقة والجمال، برقي الأثاث المستخدم فيه، وغرفتنا الثلاثية كانت فسيحة للغاية ونظيفة تماماً، الإفطار هناك شهي ومتنوع، ولك أن تعلم أنه فندق للمشاهير حيث صادفنا هناك أحد أشهر لاعبي كرة القدم المعتزلين في مصر وصاحب برنامج تلفزيوني رياضي في الأساس وسياسي بالطلب منذ سنوات،.كما أنه هناك جناح كامل مكتوب على بابه أنه جناح المنتج "صفوت غطاس"، وبثقة هؤلاء المشاهير في هذا الفندق لك أن تتأكد من جودته.

يبقى حينها أمراً هاماً هو التكلفة، كانت وقت رحلتي مناسبة جدًّا وتوازي تكلفة الإقامة في أيٍّ من فنادق شرم الشيخ، أما الآن فاكتشف بنفسك إن رغبت في السفر لتعلم آخر الأسعار، وإن كنت أتوقع أنها الآن ستكون على مستوى المواطن "الصفوت غطاس☺".

وببيروت عدد محدود من نُزل الشباب أو (الهوستلز) ولكنها مقبولة خاصة إذا ما كنت تبحث عن سكن اقتصادي لا داعي للرفاهية فيه – صحيح الرفاهية جميلة ولا شك ولكنها لم تعد متاحة في السكن بالخارج بسبب أسعار العملات.

٤- رابع الأمور الأساسية عند الحديث عن السفر هي المصاريف، وأعتقد أنك عرفت بالفعل من سابق الحديث أن لبنان "حريقة فلوس" أو بالأحرى "حريقة دولارات"، فالمائة دولار هناك سرعان ما تتبخر من بين يديك خاصة إن حولتها إلى الليرة اللبنانية. صراحة ستجد نفسك ترغب في أن تغني لها " أي الدولارات" من تتر (ليالي الحلمية) ما قاله "سيد حجاب" ولكن مع التعديل " ما تتسرسبيش يا فلوسنا من بين إيدينا ولا تتهيش ده احنا يا دوب ابتدينا" مع الاعتذار لأستاذ سيد - رحمه الله - وللسنين التي تتسرسب هي أيضًا مع "الفلوس".

ولكن لا يعني ذلك أنه لا يمكنك الاقتصاد هناك، أو أن يجعلك هذا تصرف النظر عن زيارة البلد، لا لن تصل الأمور إلى هذا الحد لسبب بسيط، أنك لن تكمل حياتك هناك وبالتالي لن تعيش بمعايير هناك، أنت فقط في رحلة سياحية وستعود أدراجك قريباً. كما يمكنك تقليص مدة الرحلة إن شئت، لا داعي لأن تجعلها عشرة أيام اكتفي بسبعة فقط، وما لا يُدرك كله لا يُترك جله.

انس ال Shopping ولا داعي له هناك، واجعل الأمر يقتصر على الطعام والشراب والمواصلات والمزارات بطبيعة الحال، وتلك الأخيرة أسعار تذاكر أغلبها مقبولة جدا وليست باهظة، أما الباهظ والمُكلف هناك بحق هو الملاهي الليلية، ابتعد عنها وستصبح بخير، فأنا سافرت إلى بيروت وشاهدت معظم المزارات والمعالم - ما لم يكن كُلها - واشتريت بعض التذكارات أيضاً ولم أتكلف سوى ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيهاً مصرياً حينها

"مصروفات الجيب وليست تكلفة الرحلة الإجمالية بالتأكيد"، في حين أن صديقاً لي ذهب إلى هناك وأقام نفس مدة إقامتي وتكلف ما يربو عن الخمس وعشرون ألف جنيهاً، أرأيت الفارق ؟!، هذا الفارق هو الحياة الليلية المثيرة هناك، والإثارة هنا ليست صفة حميدة على الإطلاق.

إذن كان هذا ملخص التأشيرة والإقامة والتوقيت والتكلفة ولنعود الآن مرة أخرى إلى أهم المزارات التي لم يرد ذكرها خلال الحواديت.

وسأبدأ بالمساجد، حيث تتميز بيروت بالتنوع الديني فتجد بها الكنائس والمساجد جنباً إلى جنب كما هنا في مصر وكلاهما "مصر ولبنان" لم يتخلصا من إرث الطائفية الدينية للأسف وإن كانت الأمور تبدو على السطح هادئة.

ما يزال في ذاكرة لبنان ويلات الحرب الأهلية الضروس والتي أخذت منها سنوات وسنوات وأرواح وشباب، ولكن هذا لا ينفي الوضع المستقر هناك الآن ووقت زيارتي كذلك.

كان من أكثر المساجد التي أحببتها بل قل وقعت في غرامها (الجامع العمري الكبير)، وهو من آثار الفتوحات الإسلامية في القرن الأول من الهجرة؛ حيث إن تاريخ فتح بلاد الشام - أو بيروت تحديدا- هو عام ١٤ هـ، وقد أطلق عليه هذا الاسم تكريما للخليفة عمر بن الخطاب. ويقال إن جزءًا من جسد النبي يحيى عليه السلام مدفون هناك وأصبح كالمقام.

والمسجد يشبه لعبة القط والفأر، حيث إنه في عهد الصليبين تحول إلى كنيسة عام ٨٣٥هـ وحرره السلطان صلاح الدين الأيوبى بتحريره لبيروت وأعاد الجامع كما كان، ولكن بعد عشرة أعوام أعاد الصليبين احتلال المدينة وبالطبع أعادوه إلى كاتدرائية، ثم استعاده المسلمون مرة أخرى عام ١٢٩١م.

وكان بالمسجد صندوق به بضع شعرات من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان اللبنانيون المسلمون يتبركون بهذا الأثر الطيب ولكنه فقد أثناء الحرب الأهلية.

والمسجد على مستوى الشكل والمعمار يُطلق عليه أثري بامتياز، حيث يوجد صحن كبير، جزء منه مسقوف وجزء لا سقف له، وأعمدة رخامية وحجرية قديمة، وثريا كبيرة تتلألأ في إضاءة جميلة. قد لا أجيد وصف المساجد أو الأبنية عامة إلا أنه كان من أكثر المساجد التي ارتحت فيها هناك وسعدت بصلاتي مغرب وعشاء أكثر من مرة، وربما من الأسباب التي تجعلني أتوق إلى زيارة بيروت مجددا هو زيارة ذلك المسجد مرة أخرى الذي يقع على مقربة من حي السولدير والذي سأتكلم عنه لاحقاً .

ومن المساجد الأخرى التي أعجبتني هناك (مسجد الأمير منصور عساف)، والذي افتتحه الأمير صاحب الاسم نفسه عام ١٥٢٣م ، وهو يشبه - معماريًّا- الجامع العمري الكبير وبالتالي لا يمكنك وصفه سوى بالمسجد الأثري طبقا لتاريخ بنائه ولهيئته كذلك، ولكنه للأسف كان قد تعرض للكثير من الدمار بنهاية الحرب الأهلية هناك والتي من الواضح أنها

لم تبق ولم تذر، إلا أنه أعيد ترميمه وتجديده وافتتح عام ٢٠٠١م، والمسجد ذو القباب الأربعة والمئذنة الواحدة ذو صحن مسقوف بالكامل ولكنه مُقسم على هيئة قباب مختلفة متجاورة وتحمل هذه القباب نقشاً بأسماء الله الحسنى.

ومن مساجد المدينة الجميلة والوصف هنا يصلح للاثنين معاً أي للمساجد والمدينة، (مسجد الأمير منذر) والذى يمتاز بالنسبة لي برائحة بخور جميلة في أغلب الأوقات، وكذلك سجاد نظيف ذو رائحة طيبة وليست رائحة عطن كما الحال لدينا للأسف في بعض المساجد الأثرية بمنطقة شارع المعز لدين الله الفاطمي.

أما رابع هذه المساجد وآخرها في الحديث وليس في المدينة بطبيعة الحال هو (مسجد مُحمد الأمين)، والمسجد حديث البناء والواقع في قلب وسط البلد وحي السولدير والذي يتسع لآلاف المصليين.

وصراحة هو مسجد جميل، وكنت محظوظاً أن حضرت فيه صلاة وخطبة جمعة لا أنساها حيث كانت هذه الخطبة بعد سنوات من حضور خطب لا تسمن ولا تغني من جوع إن جاز القول، فكانت خطبة تمس القلب، بهندسة صوتية للمسجد كبير المساحة فلا صخب ولا ضجيج أو صوت عال متشنج من الإمام كما اعتدت في السنوات الأخيرة.

الجدير بالذكر هنا أن زيارتي لهذه المساجد كان وسط تواجد أمني من الشرطة والجيش، هناك لتأمين هذه المساجد خاصة (مسجد محمد الأمين) يوم الجمعة، وصراحة هو إحساس غير مريح بالمرة عندما تدخل

بيتاً لله أو دار عبادة بحثاً عن طمأنينة النفس والروح وتجد أناسًا مدججون بالسلاح في استقبالك، لم يكن قد سبق لي وقتها تجربة هذا الشعور حيث جرت العادة في مصر وجود هذه الحماية للأقلية الدينية في البلد وهنا في مصر ينتمي المسلمون للأكثرية بالطبع – وإن كان منطق الأكثرية والأقلية هذا منطق مقيت وعنصري -، ثم حدث أن جربت هذا الشعور مرة أخرى في موسكو بصلاة الجمعة أيضاً هذا مع التفتيش بأجهزة ال Xrays، ومازلت أحلم باليوم الذي يأتي ويمارس فيه كل صاحب شعيرة شعيرته وهو مطمئن وآمن بالفعل دون الحاجة للضباط والجنود وسلاحهم.

وحيث إنها سيرة وانفتحت عن المساجد فلنتحدث عن الكنائس أيضاً، حيث إنني زرت بعضها بالفعل.

سبق وتحدثت عن (كنيسة حريصا) أو (سيدة لبنان)، ولكن اليوم الأخير لي وللأخوين فوزي كان مزارًا لبعض كنائس بيروت نفسها، حيث زرنا كنيستين، الأولى هي (كنيسة إلياس) "ما لم تخونني ذاكرتي" بجوار برج الساعة الحميدية، وهي كنيسة متوسطة الحجم لا تحتوي على الكثير من البهرجة والزينة باستثناء بعض الرسومات التقليدية للعائلة المقدسة. أما الكنيسة الثانية فهي (كاتدرائية مارجرجس) بجوار مسجد محمد الأمين، وهي تلك التي شهدت قداس صلاة الجنازة على الفنانة اللبنانية الرائعة صباح.

والكاتدرائية من الداخل كبيرة وذات مذبح ضخم وحوائط لا تخلو من صور ورسومات للنبي عيسى عليه السلام وأمه مريم البتول ابنه

عمران وكذلك زكريا النجار، وهي من أقدم كنائس بيروت للروم الأرثوذكس إن لم تكن أقدمها على الإطلاق، وفي عام ١٧٦٧م سقط سقف الكاتدرائية أثناء القداس على رؤوس المصليين فتوفي تسعون رجلاً، وأعيد ترميمها سنة ١٧٧٢. وأثناء الحرب الأهلية اللبنانية تضررت وسرقت معظم أيقوناتها وأوانيها وتهشمت الجداريات.

على حوائط الكنيسة ترى أيقونات للقديسة هيلانة، والقديس قسطنطين، ولوحات لأحد العنصرة وقيامة المسيح في سقف الكنيسة مع حامل أيقونات من الذهب الخالص، وترى أيضا لوحة للقديس إفرام السرياني يقول من يحب الله يزدري بالنفايات ويطلب معرفته[٣٠]

وحيث إن الكنسية الأولى كانت بجوار برج الساعة الحميدية وحيث إن الشيء بالشيء يُذكر، فلنتحدث إذن عن البرج وهو البناء التذكاري الذي أهداه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني إلى طرابلس اللبنانية التي كانت مركزًا للولاية في عهده، بمناسبة مرور ٢٥ عامًا على اعتلائه العرش والشارع المطل عليه، وهو يعد من أرقى شوارع بيروت وأغلاها عقاريًّا، وذلك لأن المعمار هناك قديم وأوروبى بامتياز، فالعمارات هناك بناها الفرنسيون وقت احتلالهم لبيروت وبالتالي هي عمارات فرنسية الطراز.

ومن المعروف أن العمارة الفرنسية أو الأوروبية عامة مميزة بحق، وفيها من لمسات الجمال والإبداع ما يجعلك تقف لتتأمل مجرد شرفة أو حتى مدخل عمارة.

---

[٣٠] هذه الجزئية هي اقتباس من موضوع صحفي لسارة علام بإحدى الصحف المصرية.

الشارع ممتلئ بالمقاهي التي يحاول العاملون بها جذبك لها مثلما يفعل تجار شارع طلعت حرب بالقاهرة.

وهنا نحن بمقربة من شارع أو منطقة السولدير، وهي منطقة وسط البلد ببيروت، وجرى تطويرها وإعادة تسميتها باسم الشركة المنفذة لأعمال التطوير، والتي جعلت من هذا التطوير نموذجًا أوروبيًّا أيضًا فبالإضافة إلى المعمار الجميل للأبنية تجد أنك وسط أهم وأغلى أماكن التسوق بالعاصمة اللبنانية، حيث ثقافة مختلفة في صناعة أماكن التسوق، فالمكان عبارة عن مول مفتوح دون أسقف في بعض أجزائه ومسقوف في أجزاء أخرى، ويمتد لعدة شوارع والجزأين مترابطين بشكل هندسي فريد وبمساحة كبيرة للغاية، وتكثر هناك المحال التجارية للماركات العالمية الشهيرة، ولهذا وبطبيعة الحال التسوق هناك راق وليس شعبيًّا إطلاقاً فهو لأهل لبنان الأغنياء وكذلك الضيوف أي السائحين الأغنياء أيضاً، حيث شاهدت الممثلة رغدة تتجول وتتبضع هي وسيدة أخرى من أحد المحال هناك – لكني لم أعيرها اهتماما حيث لم أعد أراها إنسانة - ومن الجميل في السولدير أنه يحتوي على مقاعد خشبية أنيقة للمارة والمتجولون بالمكان، كما أن المنطقة توفر خدمة الإنترنت المجاني "الواي فاي" في الهواء الطلق، وكان من المثير للدهشة أنني رأيت هذه الخدمة متاحة في البلدان والمدن غير القوية اقتصاديًّا كبيروت وتبليسى عاصمة جورجيا حيث توفر شبكة إنترنت في بعض الشوارع باسم Tblisi loves you ولم أرها متاحة في مدينة مثل "دبي" عكس ما توقعت وقت زيارتي لها .



ومن الأماكن الأخرى التي تستحق بل تستوجب الزيارة في لبنان (مغارة جعيتا) أو Jeata Grotto، وهي عبارة عن تحفة فنية بما تحمله الكلمة من معنى نحتتها المياه على مر السنين، فشكلت أشكالا هندسية وعفوية جميلة من الصخور الكلسية، وهي تبعد عن بيروت حوالي عشرين كيلو مترًا، وهناك ستجد العديد من الحافلات السياحية التي تقل الزائرين للمغارة، وبعد حجز التذكرة ستشاهد فيماً تسجيلياً عن المغارة مدته ٢٠ دقيقة ومتاح بلغات عدة ثم تستقل تلفريكًا موجود خصيصًا لزيارة المغارة حيث يعبر بك التلفريك جزءًا جبليًا موفرًا عليك الوقت والجهد، ثم تهبط منه لتسير على قدميك لتدخل المغارة ذات درجة الحرارة المنخفضة والأجواء الباردة المنعشة مهما كانت درجة الحرارة بالخارج، حيث إن المياه والأحجار بمثابة جهاز تكييف مركزي للمغارة كلها، وبنهاية الجزء الجبلي من المغارة العليا يكون موعدك مع المغارة السفلى وهذه زيارتها تكون عن طريق قوارب تسير بك في المياه الباردة مثلما حدث مع "فاتن حمامة" و"عمر الشريف" في فيلم (نهر الحب) عندما سافرا إلى لبنان، ولكن بطبيعة التصوير القديم "الأبيض والأسود" لن يمنحك رؤية واضحة لجمال وروعة المغارة.

وبنهاية هذه الجولة تكون قد غادرت المغارة من الداخل لكنك ما تزال برحابها من الخارج، حيث تطل على جبال خضراء وستكون فرصة جيدة للتصوير والاستمتاع بجمال وسحر اللون الأخضر مرة أخرى.

وعلى ذكر المغارات بإمكانك أيضاً زيارة (مغارة عين وزين)، صحيح سيفوتك الكثير إن زرت بيروت دون زيارة جعيتا لكن الأمر ليس كذلك في حال مغارة عين وزين، لا يعني هذا أنها لا تستحق الزيارة، أو أن الوقت المستقطع لزيارتها وقتاً مهدوراً، بالعكس، فالمغارة جميلة إلا أنها صغيرة ولا تقارن بجعيتا على الإطلاق، كما أن الأخيرة تتبع الدولة ووزارتي السياحة والآثار لكن (عين وزين) ليست كذلك، فهى مغارة خاصة اكتشفها رجل محظوظ أثناء عمل تجهيزات لافتتاح محل ما، ولما اكتشفها الرجل وأرشد عنها الدولة حصل على امتياز إدارتها حيث إنها كأرض كانت من ممتلكاته، أو هذا ما قالته المرشدة الحسناء التي صحبتنا في جولة سياحية لثلاثة أفراد فقط هم أنا وشقيقاتي.

وعلى امتداد المغارة البالغ ٤٢٦ متراً فقط جابت بنا الحسناء الشقراء ذات الصوت الجميل أنحاء المغارة التي هي عبارة عن طرق أو ممرات أو سراديب مختلفة تكّون من المياه الجوفية، وهي تبعد عن بيروت مسافة ٥٤ كم، وعن (بيت الدين) مسافة ٩ كم، وإذا انتهيت من زيارة عين وزين لصاحبها أنور الحسنية، يمكنك زيارة منطقة نبع الصفا التي تحتوي على الشلالات التي تحمل الاسم نفسه، حيث المطاعم المتنوعة وكنت محظوظاً أن تناولت وجبة لبنانية من المطعم اللبناني العربي الجميل، وكان إلى جوارنا طاولة يجلس عليها أسرة شامية ومع أحدهم عوداً وكان يجيد الغناء والعزف فظل يغني لعائلته والعائلة تغني معه وكذلك باقي الحضور وزبائن المكان يستمتعون بالغناء والطعام والمنظر الجميل للشلالات والجبل في آن واحد.

وعلى مقربة من (دير القمر) ستجد قلعة موسى ولها حدوتة هي الأخرى، حيث ربما تظن عند سماع كلمة قلعة أنها بناء أثري من أحد سلاطين الدولة الأيوبية أو ما شابه، ولكن الأمر ليس كذلك، الحكاية وما فيها أنه كان هناك طفل صغير فقير يحلم ببناء قلعة، فظل يعمل جاهداً إلى أن استطاع تحقيق حلمه وبنى قلعة تحمل اسمه استغرق بناؤها عشر سنوات، وجمع فيها تراث لبنان على هيئة مجسمات لمختلف العصور وأشكال الحياة الاجتماعية بكل تطوراتها، وهي قلعة جميلة تلخص لك التاريخ اللبناني بأكمله خاصة إن كنت برفقة شخص مثل "أبو وليد".

أما عن المساء والسهرة، وبالبعد التام عن الحياة الليلية والملاهي الصاخبة، لن تجد أمامك خيارات متعددة اللهم إلا المشي على الكورنيش مساءً والاسمتاع بالطقس أو تناول الطعام والتحلية بالآيس كريم من عند "بربر"، ولا تؤاخذني في الاسم ومدلوله المصرى☺ فهذا البربر هو صاحب أشهر وأوسع سلسلة محلات طعام وآيس كريم وبعض أنواع الحلوى، كذلك وستقع عينك على اسمه في أماكن كثيرة وستأكل من عنده أكلا شهيًّا بالفعل.

والخيار الآخر لتمضية المساء هو المجمعات التجارية الراقية، وإن كان ذهابك سيكون بغرض التنزه لا التسوق بالتأكيد وربما أعجبك فيلم سينما فلا تفوت فرصة الاستمتاع بمشاهدته في دار عرض تستحق هذا الوصف بالفعل، وإن كان هذا خيارك فاعلم أن بيروت تقدم عدداً لا بأس به من هذه المولات بالفعل، وأذكر منها على سبيل المثال City Center Beirut و برمانا وبيروت مول و ABC الأشرفية، وجميع هذه المولات أنيقة

وراقية، وإن كانوا يشبهون بعض المولات في مصر إلا أنهم يختلفون في كونهم أكثر صخبًا وحياة، حيث شاهدنا في بيروت مول عرض موسيقي بالدمى للكبار والصغار بالتأكيد، حيث يسير فريق يعزف موسيقى وبصحبتهم دمى كبيرة الحجم على هيئة شخصيات كرتونية شهيرة، وكثير من رواد المول أثناء هذه العروض يتبعون الفريق الراقص ويسيرون خلفهم في بهجة وسعادة طفولية.

أما عن بيروت التي غنَّت لها فيروز قائلة "لبيروت من قلبي سلام لبيروت وقُبل للبحر والبيوت" التي تحمل جمالاً وسحراً من نوع خاص يمكن أن ألخص فيها مشاهداتي عنها وعن الناس فيها على النحو التالي:

مدينة صغيرة الحجم جميلة الروح، تشع بالبهجة، لا تعاني من الازدحام المروري على الأقل بالنسبة لنا، وإن كان اللبنانيون أنفسهم يرون أنه "عجقة" كما يقولون باستمرار "عجقة سير" أي زحمة، ولكن إن أراد الأشقاء اللبنانيون تجربة العجقة الحقيقية عليهم تشريفنا في القاهرة في الثالثة عصراً على أيٍّ من الكباري الشهيرة.

بالتأكيد لبنان معروفة بالجمال والعناية بالسيدات وربما الرجال أيضاً على حد سواء، فتكثر هناك مراكز عمليات التجميل المختلفة من التكبير والتصغير والنفخ والشد وما إلى ذلك، لذلك تجد دوماً أن اللبنانيات سيدات وفتيات أنيقات، صحيح أن السوريات أكثر جمالاً بشكل طبيعي – مجرد وجهة نظر- إلا أن اللبنانيات أيضاً جميلات ويهتممن بمظهرهن لحد الهوس عند بعضهن أحياناً .

الأهم من هذا بالنسبة لي هو اللهجة اللبنانية المحببة إلى قلبي، فلهجتهم تحمل من الغنج والدلال ما تحمله حتى إن كان الحديث جاداً، وعموماً اللهجات الشامية محببة إلى النفس وإن كان هناك فرق بين اللهجة اللبنانية والسورية والأردنية إلا أنهم جميعا من نفس الأصل، وإليك بعض الأمثلة للكلمات عندهم، تجد أن السائق شوفير من الفرنسية كما أسلفت، وكذلك الهاتف المحمول "سيلولير" أما إذا أردت أن تشتري حذاء فأنت تبحث عن محل بيبيع "سكاربينات" والمفرد سكاربينة ولا أعرف أصل الكلمة.

كان من اللافت للنظر التواجد السوري الصارخ والقوي بسبب نزوح الكثيرين إلى لبنان بعد الأزمة السورية – أنهاها الله عن قريب- وأن هذا التواجد ستشعر أنه وسط تحفظ من أهل لبنان بسبب مزاحمة السوريين لهم في العمل بل وقبولهم بعروض عمل وأجور لا يقبل بها اللبناني، وبالتالي يُفضل صاحب العمل الوافد السوري الذي يقبل بأي أجر ويأتي هذا على حساب أهل البلد أنفسهم، كان هذا ما لاحظته من خلال التجوال بالمحال المختلفة وكذلك من الحديث مع كل الشوفيرية أو سائقي التاكسي الذين تعاملت معهم، قد يكون هذا صحيحاً وقد يكون الأمر يحمل قدراً من المبالغة.

ربما عند هذا الحد يتوقف كلامي عن بيروت ست الدني كما يقولون عنها وهي بحق مدينة جميلة تستحق الزيارة .ولكن أجد أنه من الصعب أن ينتهي الكلام عن بيروت دون الحديث عن سيدة بيروت ولبنان عن :

نهاد رزق وديع حداد وصوتها الرائع ....أوجارة القمر ... فيروز، صحيح أن الكتاب أدب رحلات ولكن هذا لا يمنع من ذكر بعض المعلومات عن الرائعة فيروز التي ستكون - بلا شك - إضافة جميلة للكتاب على الأقل من وجهة نظري خاصة وأن الاستماع إليها ربما يكون عند الكثيرين -وأنا منهم - من مسببات البهجة.[٣١]

[٣١] ولدت في بيروت بتاريخ ٢١ نوفمبر١٩٣٥م لعائلة سريانية كاثوليكية، بدأت الغناء وهي في عمر السادسة تقريباً، حيث انضمت لكورال الإذاعة اللبنانية. وعندما عرفها حليم الرومي، أطلق عليها اسم فيرُوز ولحن لها بعض الأغنيات بعد أن رأى فيها موهبة فذة قدّمت مع زوجها الراحل عاصي الرحباني وأخيه منصور الرحباني، المعروفين بالأخوين رحباني، العديد من الأوبريهات والأغاني التي يصل عددها إلى ٨٠٠ أغنية.

وعلى المستوى الأسرى والدتها لبنانية مسيحية مارونية تدعى ليزا البستاني؛ توفيت في نفس اليوم الذي سجلت فيه فيرُوز أغنية " يا جارة الوادي "من ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب. تحولت فيرُوز إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بعد زواجها من عاصي وهي أم لكلٍّ من الملحن وعازف البيانو اللبناني زياد الرحباني، ليال الرحباني و ريما الرحباني وأخيراً هالي الرحباني.

كانت انطلاقة فيروز الجدية عام 1952 عندما بدأت الغناء بألحان الموسيقار عاصي الرحباني الذي تزوجت منه بعد هذا التاريخ بثلاث سنوات، وكانت الأغاني التي غنّتها في ذلك الوقت تملأ القنوات الإذاعية كافة، وبدأت شهرتها في العالم العربي منذ ذلك الوقت. كانت أغلب أغانيها آنذاك للأخوين عاصي ومنصور الرحباني . شكل تعاون فيروز مع الأخوَين رحباني مرحلة جديدة في الموسيقى العربية، حين تم المزج بين الأنماط الغربية والشرقية والألوان اللبنانية في الموسيقى والغناء. و ساعد صوت فيروز ورّقته على الانتقال دائما إلى مناطق جديدة، ففي وقت كان فيه النمط الدارج هي الأغاني الطويلة إلا ان فيروز قدمت أغاني قصيرة، غنت فيروز للحب والأطفال، وللقدس لتمسكها بالقضية الفلسطينية، وللحزن والفرح والوطن والأم .

قُدِّم عدد كبير من أغاني فيروز ضمن مجموعة مسرحيات، وصل عددها إلى خمس عشرة مسرحيّة، من تأليف وتلحين الأخوين رحباني .تنوّعت مواضيع المسرحيّات بين نقد الحاكم والشعب وتمجيد البطولة والحب بشتى أنواعه.

أطلق عليها عدة ألقاب منها "سفيرتنا إلى النجوم"



البوابة الثالثة

يا مسافر وحدك

قبل أن أقول أين كانت وجهتى هذه المرة دعنى باختصار أخبرك أنها كانت المرة الأولى لى فى السفر منفرداً ، وأقول هذا فى بداية هذا الفصل ربما لشحذ انتباهك أكثر، فقد يكون هذا الفصل مفيدًا إذا ما تحمست للسفر، فربما لا تجد من أصدقائك من يشاركك الشغف نفسه، وربما تجد من يشاركك ولكن على الورق فقط وفي الأحلام وساعة الجد تجده قد اهتم بأسعار الذهب وتكاليف الزواج وسعر غرفة النوم والنيش، أو حتى اهتم أكثر بالحصول على هاتف جديد غالٍ وفخم وبالتالي قد يُثبِّط ذلك من عزيمتك وتتراجع، إن حدث هذا فأنا بالقطع أعذرك وأعلم أن قرار السفر منفردًا خاصة وإن كانت هذه هي مرتك الأولى في السفر قرار ليس سهلا على الإطلاق.

سفرتي هذه لم تكن الأولى لي بأية حال ولكنها كانت مفيدة حتى وإن شابها بعض القلق والترقب قبل السفر، وسأوضح بنهاية الفصل أوجه الاختلاف بين السفر منفرداً والسفر بصحبة، لذلك " فنجل عينيك" وصحصح ذهنك لتكون رفيق رحلة إلى واحدة من أبعد البلدان والأماكن عن مصر ....إلى بلد طلع لها إيفيه في السينما المصرية يقول "الصين حلوة☺"



الحدوتة الأولى: ولا "ع البال ولا ع الخاطر"

ترتيبات هذه الرحلة كانت في غاية الغرابة بالنسبة لي، حيث بدأت كمشروع للسفر المنفرد وسرعان ما تغيرت الأمور، أصبحنا نخطط للسفر ثلاثتنا، أنا والأخوين فوزي كالعادة وبالفعل قد حصل ثلاثتنا على التأشيرة وحجزنا تذاكر الطيران أيضاً، ولكن قبل السفر بثلاثة أيام فقط ولأسباب خارجة عن إرادتهما اضُطرا للإلغاء، وأصبح سفري منفردًا مرة أخرى ولأن سبب الإلغاء لم يكن كارثيًا - لا قدر الله - لذلك لم يكن هناك داع لأن ألغي أنا رحلتي أيضًا وإن كنت قد عرضت عليهما الفكرة جادًا ولكنهما رفضاها بشدة لنفس السبب.

وبالتالى تبدلت الترتيبات فبدلًا من أن كان حجز الإقامة غرفة ثلاثية بأحد فنادق العاصمة بكين، صار مجرد سرير في هوستل مشاركًا الغرفة مع آخرين، وحيث إن أمر الصحبة مهم بالتأكيد كنت قد حاولت الحصول على بعض الرفقاء من خلال البحث عن استضافة عبر موقع Couch surfing الشهير، إلا أنني لم أتمكن للأسف من الحصول على أي استضافة. صحيح لم يكن هدفي توفير النفقات المدفوعة في الإقامة بقدر ما كان هدفي صحبة أحد من أهل البلد، وعلى الرغم من عدم توفر خيار الاستضافة فإن الموقع قدم لي فرصة جيدة لمقابلة محليين وسائحين مثلهم مثلي لاستكشاف البلد سويًا، وبالفعل كنت قد نسقت مقابلة مع أحدهم، أمريكى الجنسية كان ينتوي زيارة بكين للسياحة في نفس الفترة التي أفعل أنا بها نفس الأمر.

المهم أنه انتهت بي هذه الحدوتة وحيداً في مطار القاهرة لأستقل طائرة مصر للطيران التي توفر رحلة مباشرة إلى الصين تستغرق أحد عشر ساعة ونصف في الجو – وكانت هذه هي أطول مدة طيران مباشر سبق وجربتها- والسخيف أن الشركة الناقلة "مصر للطيران" لم توفر طائرة تحتوي على نظام ترفيهى جيد " وهذه حدوتة فرعية ".

لك أن تتخيل أن شركات الطيران الأخرى التي توفر رحلات لنفس الوجهات ولكن عبر استخدام الترانزيت توفر حتى خلال الرحلات القصيرة كتلك من القاهرة إلى دبي أو أبو ظبي أو مسقط أو الكويت أو الرياض والتي لا تستغرق سوى ثلاث ساعات ونصف الساعة نظم ترفيهية ممتازة، فإن كان حجزك على متن خطوط طيران الاتحاد أو الإمارات أو العمانية أو القطرية – في سابق العصر والأوان حيث إنها لم تعد متاحة الآن لأسباب سياسية - تجد أنك تطير وأمام مقعدك شاشة خاصة بك وحدك تشاهد عليها ما تحب أو حتى تتابع البرامج التلفزيونية المباشرة أيضًا وكأنك على الأرض ولست في الجو أو تستمع إلى القرآن الكريم، المهم أنها تشغلك عن الوقت الذي يمر بطيئًا في الطيارة.

أما نحن معشر ركاب مصر للطيران في رحلة مباشرة بهذا الطول كان النظام الترفيهي الذي حصلنا عليه لا يتعدى شاشة معلقة أعلى كل مجموعة مقاعد تعرض فيلمًا كرتونيًا بالإنجليزية ويمكنك سماع الصوت عبر سماعة أذن منحوها لك وإن كان مقعدك بعيداً عن الشاشة وكانت لغتك الإنجليزية "بعافية شوية " إذا لن تستطيع متابعة الترجمة عن بعد

بالتأكيد وبالتالي وكأن خيار متابعة الفيلم لم يكن، هذا بالإضافة إلى قناة إذاعية للقرآن الكريم.

ورحلة بهذا الشكل لشخص لا يجيد النوم في وسائل المواصلات وخاصة الطيارة مثلي تصبح "طووووويلة" إلى أقصى حد لولا وجود كتاب (في الصحبة) أمضيت بعض الوقت معه، لكنه لم يكن يستحق.

صحيح أنك قد ترى أن ما أتحدث عنه الآن أمرًا تافهًا، ولكن دعني أقول أنه هامشيًا وليس تافهًا إذا ما تعاملت معه من منطلق المسافر وحسب وسيكون ذو أهمية كبرى إذا ما تعاملت معه من منطلق المصلحة الوطنية، فأنا كمصري أرغب أن تكون خطوط مصر للطيران على قائمة المنافسة والأفضل فيما تقدمه من خدمات، وتصرف كهذا الذي سردته يضعها بعيداً تماما عن التنافسية المحتدمة لسوق الطيران في العالم والذي تربعت عليه عدة خطوط عربية مؤخراً كالإماراتية والقطرية والاتحاد.

أما إن أخذت الأمر من منطلق المسافر وحسب هنا سيكون الاهتمام في المقام الأول هو السلامة، سلامة الوصول وهو ما تحقق بحمد الله ولكن ضع في اعتبارك أنك لا تسافر مجانًا وأنك بالفعل تدفع ثمنًا ليس بالقليل مقابل مجموعة خدمات تدور حول كونك مسافرًا.

إذن دعنا من الحدوتة الأصلية والتي اقتضت السفر منفردًا دون ترتيب مسبق وبشكل لم يكن ع البال أو الخاطر كما يقولون، وكذلك دعك من الحدوتة الفرعية عن خطوط الطيران والخدمات.



عن نفسى دروسي المستفادة من هذه الحواديت هي:

١- متى عزمت فتوكل على الله لأنه هو الصاحب في السفر كما نقول في الدعاء الشهير.

٢- السفر منفردًا مقلق ويصيب الشخص بالتوتر، فحاول التغلب على هذا القلق وذلك التوتر. وكما تقول الكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" في إحدى رواياتها "كل تذكرة سفر هي ورقة يانصيب، تشتريها ولا تدري ماذا باعك القدر".

٣- من الجيد أن يكون في صحبتك كتاب لتمضي معه أوقات أيسر من الانتظار الطويل العادي والممل في كثير من الأحيان.

٥- في الرحلات الطويلة المباشرة إن استطعت ماليا تحمل السفر على متن خطوط طيران مميزة فافعل لأنك أنت الكسبان.

٦- لا تنس في الرحلات الطويلة كهذه ضرورة أن تأخذ معك "Neck Pillow" أو وسادة للرقبة.

ماذا عنك، أو بشكل أكثر وضوحاً لو كنت مكاني ووجدت أصحابك تغيرت خطتهم من دون سوء أصابهم ولن يستطيعوا السفر ...."هتعملها" وتسافر ولا هتلغي ؟

....

....

....



الحدوتة الثانية : بالبوليس

عندما وصلت إلى مطار العاصمة الصينية بكين، وهو واحد من أكبر المطارات وأكثرها ازدحاماً، وعليك الانتباه إلى اللافتات جيداً حتى لا تتوه، أنهيت إجراءات الدخول في سهولة ويسر، وجربت للمرة الأولى فكرة استخدام المترو للخروج من المطار والوصول إلى مكان الإقامة داخل العاصمة، حيث جرت العادة سابقاً ولوجود صحبة استخدام سيارة أجرة أو حتى خدمة تطبيق Uber للوصول إلى مكان الإقامة خاصة وأن التكلفة التي عادة ما تكون باهظة يتم اقتسامها على اثنين أو ثلاثة بحسب الصحبة، أما الآن ولكوني بمفردي فالأوجب الاقتصاد، وبالتالي كانت فكرة استخدام المترو خاصة وأنه بحسب البحث الذي أجريته، كان الهوستل الذي حجزت به إقامتي قريبًا من إحدى محطات المترو بالفعل.

بدأت باستخدام المترو خط المطار، وهو الأكثر أناقة على الإطلاق ويشبه القطارات الأوروبية الفخمة التي نشاهدها في الأفلام الأجنبية، كما أنه يشبه بل يتفوق على الخط الذهبى بمترو دبى - والأخير عبارة عن عربتان أو أكثر في خط مترو دبي بتكلفة أعلى من تكلفة الرحلات العادية في باقي العربات ولكن بخدمة أفضل-.

المهم أنني بعد عدد من المحطات كان يتوجب عليّ تبديل الخط واستقلال مترو آخر، فخرجت من القطار الذي كنت به أجر حقيبة سفر كبيرة إلا أن أحداً لم يستوقفني للتفتيش الأمني مثلًا، ثم ركبت قطار مترو

عادي يشبه قطارات المترو في العديد من البلدان ولكنه أفضل من مترو القاهرة على أية حال.

وبعد عدد من المحطات مرة أخرى كان يتعين عليّ تبديل الخط مرة أخرى وهو ما فعلته بالطبع خاصة وأنني كنت أسير بحسب وصفة موقع Rome 2 Rio[٣٢]. وأخيرًا وصلت إلى المحطة المطلوبة وحينها خرجت من أقرب مخرج ظهر لي وكانت الساعة حينها قد تجاوزت الثامنة والنصف مساءً.

وبعدما أصبحت أرى أول شوارع بكين أمامي، هنا نقول (راحت السكرة وجاءت الفكرة) - كما يقولون- كيف سأصل للهوستل، لا يوجد معي إنترنت فأتمكن من تشغيل ال GPS أو Google maps فربما يساعدني بعض الشيء- وإن كنت أتوه جغرافيا بسهولة حتى في وجودهم – فاستوقفت رجلاً مع أسرته وعلى الرغم من عدم معرفته للإنجليزية إلا أنه كان ودودًا وحاول مساعدتي بالفعل فمنحته عنوان واسم الهوستل المكتوب معي بالصينية والإنجليزية على حد سواء، ثم أخرج هو جواله واستخدم الإنترنت وأشار لي بالسير في اتجاه معين ثم الانعطاف يمينًا ثم يسارًا، فعلت كما قال، في شوارع بها عدد قليل من المارة وكأنها الواحدة بعد منتصف الليل لا قرابة التاسعة، وكان أول ما خطر على بالي وقتها

[٣٢] موقع Rome 2 Rio هو موقع عبر الإنترنت وكذلك تطبيق يمكنك تحميله على الهاتف المحمول مجانًا ويتيح لك معرفة كيفية الانتقال من مكان لآخر بوصف تفصيلي إلى حد كبير ، كما يمنحك أكثر من طريقة للذهاب ويخبرك بالتكلفة التقريبية لكل طريقة ، فإذا فعلت مثلي وسألته عن كيفية الذهاب من مطار بكين إلى حيث عنوان الهوستل سيخبرك كيف عن طريق الباص أو التاكسي أو Uber أو المترو وسيخبرك بتكلفة كل منهم ويمنحك فرصة لمقارنة الأسعار، هو تطبيق وموقع رائع أنصح المسافرين باستخدامه

"الصينيين راحوا فين ؟" " يكونش هنيدى نفذ تهديده و نيمهم من المغرب ☺" كما قال في فيلمه (فول الصين العظيم).

نحن نتكلم عن بلد المليار والثلاثمائة وخمسون مليون نسمة من الطبيعي أو المنطقي أن أجد زحامًا وصخبًا طوال الوقت، "معقول كلهم بيناموا بدري!!"

لم أصل بوصفة السيد إياه إلى الهوستل بعد، فرغبت في الاستزادة من المساعدة، استوقفت فتاتين تمشيان بشكل رياضي، فعلتا نفس الشيء واستخدمتا الجوال وفعلت كما قالتا لي بالفعل فإذ بي أعود أدراجي إلى حيث مخرج محطة المترو الذي كنت عنده قبل قليل، فمشيت في الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي أخبرنيه الرجل قبل قليل، ثم توقفت لسؤال أحد المارة الذين جاد عليّ بهم الزمان والمكان حيث لا يوجد مارة في المكان بطريقة تدفعك إلى الشعور بأنه " فيه حاجة غلط" كما تقول "المناضلة☺" نادية الجندى في أحد أفلامها، تُرى هل أكون نزلت في محطة خاطئة ؟ أنا متأكد أن الهوستل ليس في صحراء النقب وأنه محاط بالعمار وأنه على مقربة من محطة المترو التي نزلت بها، إذا أين الناس وأين الهوستل؟

ثم كان أن المار هذا الذي جاد عليّ به الزمان لا يفهم الإنجليزية ولم يصبر ليقرأ حتى العنوان بالصينية وتركني وانصرف، حينها ندمت على استخدامي المترو وتمنيت لو أنني كنت قد استخدمت التاكسي لأنه حينها ملزماً أن يصل بي إلى حيث باب الهوستل.

وبعد يوم طويل ورحلة طويلة غير مريحة وبلا نوم، كان الإرهاق والتعب قد فعلا بي الأفاعيل، وأنا مازلت أدور في دائرة مفرغة لا تصل بي إلى شيء، حينها كنت على وشك استيقاف أي تاكسي ومنحه العنوان والركوب وليأخذ ما يأخذ حتى مع كون المكان قريبًا كما هو مفترض، ولكن حدث أن وجدت سيارة شرطة تقف على جانب الطريق، فذهبت إليها مسرعًا وطرقت على زجاج النافذة فترجل منها شرطيًا، أخبرته أني سائح وأن لدي حجز في هذا المكان – مشيرًا إلى الورقة التي بها العنوان- وأنني لم أتمكن من الوصول إليه، أخذ الرجل الورقة وفعل كما الجميع استخدم جواله في البحث " مبقتش أتفائل بالحركة دي ☺" ثم قال إن الهوستل في شارع جانبي لا تدخله السيارات وعرض عليّ مصاحبتي ليدلني عليه، فشكرته بامتنان وموافقة بالتأكيد فأنا لست حمل المزيد من الوصف والتجريب.

فسرت في صحبة ضابط البوليس إلى أن أوصلني إلى باب الهوستل اللعين، لا لشيء إلا لكونه في شارع جانبي متفرع من شارع جانبي آخر "حارة يعني"، وكان من شبه المستحيل الاستدلال عليه بمفردي خاصة مع غياب اللافتات التي ترشدني كيف أصل إليه.

جدير بالذكر أن عرض صحبة الشرطي هذا إن كان قد جاء من أحد المارة الذين سألتهم لتوجست منه خيفة لأننا أثناء السير انعطفنا يمينًا في شارع جيد ثم يسارًا في شارع معتم ومظلم وبالكاد ترى فيه بضع خطوات أمامك، ولولا أنني كنت في صحبة شرطي لظننت أن مرافقي يريد الاعتداء عليّ بالسرقة لا شك.



وهكذا أخيراً وبقوة البوليس وصلت إلى الهوستل.

دروسي المستفادة :

١- التوفير باستخدام المترو من المطار أمر جيد ولكنه مرهق، الأفضل لو أتيح Shuttle Bus.

٢- الشرطة الصينية في خدمة السائح ولا أعرف إن كانت في خدمة الشعب أم لا!

٣- اللي يسأل ميتوهش "بس ممكن تطلع عينه على ما يوصل ☺"

٤- الصينيون لا يعرفون ذلك السؤال المدهش والخارق للمنطق في الوصف "هو قالك فين بالظبط؟!" ما هو لو كان قالي أنا هسألك ليه؟ ☺

ماذا عنك!

....

....

الحدوتة الثالثة : No Money & No Connection /مُفلس ومعزول

من المعروف لأي مسافر دائم السفر أن تبديل العملة في المطارات يجعلك تخسر بعض الأموال بسبب وجود ضرائب تبديل وعمولة، حيث إن كل مكاتب الصرافة أو حتى البنوك التي لها أفرع داخل المطارات تطبق

هذه السياسة خاصة عند التحويل من الدولار الأمريكي أو اليورو الأوروبي إلى عملة البلد الذي أنت فيه الآن، لذلك دوماً ما تكون النصيحة هي تبديل أقل مبلغ ممكن لتتمكن فقط من تدبير الأساسيات، مثل الخروج من المطار والوصول إلى حيث مكان الإقامة، ومن هناك ابحث عن مكتب صرافة لتتمكن من التحويل دون خصم عمولة.

وهذا ما فعلته عندما وصلت إلى مطار بكين، خاصة وأن العمولة كانت مبلغًا كبيرًا لذلك بدلت فقط ٢٠ دولارًا أمريكيًا إلى اليوان الصيني، وبالفعل اشتريت كارت المترو وشحنته ببعض الرصيد ولم يتبق معي إلا القليل من المال الذي يكفي لشراء زجاجتي مياه وبعض الحلوى ربما.

وما إن وصلت للهوستل وأظهرت استمارة الحجز لموظفة الاستقبال، سألتها عن مكان أقرب مكتب صرافة حتى أتمكن من تبديل العملة ودفع تكلفة الإقامة إلا أنها سرعان ما فاجأتني أنه لا يوجد في الصين مكاتب صرافة إطلاقًا، وأن مكان تبديل العملة الوحيد هو البنوك التي هي بالطبع قد أغلقت أبوابها وانتهى العمل فيها منذ أكثر من أربع ساعات.

لم يكن حينها من حل سوى أن تأخذ السيدة دفعة تحت الحساب بالدولار على سبيل حفظ حقها ولتمكنني من الدخول للغرفة ولقاء السرير أخيرًا، وفي الصباح يأتي الرباح وأستطيع الذهاب للبنك وتبديل العملة ودفع تكلفة الإقامة بالكامل.

حمدت الله أن السيدة كانت مرنة وقبلت بهذا الحل ولم تجعلني أبيت ليلتي في الشارع والعراء، منحتني بعد ذلك كلمة سر الإنترنت المجاني، وتمكنت من مراسلة أسرتي والتواصل معها وأنا أعلم أن القلق فعل بهم الأفاعيل وهو بالفعل ما كان قد حدث وتلمسته في صوت أمي- بارك الله لي فيها- التي تنفست الصعداء عندما سمعت صوتي واطمأنت أنني بخير.

دخلت الغرفة التي هي لأربعة أشخاص فقط وهو أمر جيد عند الإقامة في هوستل حيث عادة ما تكون عنابر المبيت المتاحة تبدأ من ستة أشخاص "وانت طالع" وتصل بك إلى عشرين شخصًا يشاركونك المكان "وهذا هوستل رأيته بالفعل بأم عيني في بلد آخر".

أشارت لي السيدة على سرير بعينه وأعطتني مفتاح خزانة صغيرة لحقيبة اليد ولأية أغراض ثمينة أو قيمة معي وأخشى عليها من السرقة مثلاً، حينها كنت في الغرفة بمفردي، أي أن شركائي الثلاثة الآخرين لم يعودوا بعد وإن كانت أغراضهم وحقائبهم موجودة بالفعل.

ومن حسن الحظ أيضاً أن الغرفة الرباعية هذه كانت بحمام مستقل عن باقي حمامات الهوستل، وبالتالي تشبه هذه الإقامة، الإقامة الفندقية. نعمت بدش ساخن، ثم صعدت إلى السرير لاستخدام الإنترنت بعض الشيء، فها هو اليوم الأول قد انتهى بالفعل ولن أتمكن من استكشاف البلد أو الوقوف على ماهية غياب الصينيين واختفائهم من الشوارع مثلًا، كما أنني لا أحمل نقودًا صالحة للاستخدام بعد وبالتالي الأفضل هو تمضية الوقت عبر الإنترنت إلى أن أنام.

هنا اكتشفت أن تلك الدولة الشيوعية العريقة والأصيلة في الشيوعية[٣٣] لا تؤمن بالحريات الفردية إلى حد كبير وبالتالي فهى تحجب "بالصلاة على النبى" مواقع : الفيسبوك [٣٤]حجباً تامًا وبالتبعية الماسنجر الخاص به والذي هو تطبيق جيد إلى حد كبير خاصة في موضوع المكالمات الدولية المجانية، والأمر لم يقتصر على هذا فحسب بل تحجب أيضًا محرك البحث الأشهر جوجل[٣٥] وبالتالي كل ما يقع في دائرة أملاكه، فلا

[٣٣] هي موضوع كبير ويطول شرحه ولكنها نشأت كنظرية سياسية في نهايات القرن الثامن عشر ضمن الفكر الاشتراكي ويعتبر الفيلسوف الألماني كارل ماركس أبرز منظريها ومن الصين ماو سى تونغ، وهى بحسب تعريف ويكيبديا هى مصطلح يشير إلى مجموعة أفكار في التنظيم السياسي والمجتمعي مبنية على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في الاقتصاد؛ تؤدي بحسب منظريها لإنهاء الطبقية الاجتماعية ولتغيّر مجتمعي يؤدي لانتفاء الحاجة للمال " وهذا كلام جميل كلام معقول مقدرش أقول حاجة عنه لكن تطبيق هذا الكلام "مش لاقيه فيه حاجة منه" مع الاعتذار لأغنية الست ليلى مراد ☺

[٣٤] أشهر وسائل التواصل الاجتماعي ويمكن تعريفه بأنه شبكة اجتماعية كبيرة ويشير اسم الموقع إلى دليل الصور الذي تقدمه الكليات والمدارس التمهيدية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أعضاء هيئة التدريس والطلبة الجدد، والذي يتضمن وصفًا لأعضاء الحرم الجامعي كوسيلة للتعرف عليهم، وقد قام مارك زوكربيرغ بتأسيس فيسبوك بالاشتراك مع كل من داستين موسكوفيتز وكريس هيوز الذين تخصصا في دراسة علوم الحاسب وكانا رفيقي زوكربيرغ في سكن الجامعة عندما كان طالبًا في جامعة هارفارد ويضم الموقع حاليًا أكثر من مليار مستخدم على مستوى العالم وبقيمة أصول تجاوزت ال ٤٠ مليار دولار أمريكي.

[٣٥] هي شركة متخصصة في مجال الإعلان المرتبط بخدمات البحث على الإنترنت وإرسال رسائل بريد إلكتروني عن طريق جي ميل .وأختيراسم جوجل الذي يعكس المُهمة التي تقوم بها الشركة، وهي تنظيم ذلك الكم الهائل من المعلومات المُتاحة على الويب.

تأسست هذه الشركة على يد كل من لاري بايج وسيرجي برين عندما كانا طالبين بجامعة ستانفورد والشركة ذات أصول تجاوزت ال ٣٠ مليار دولار أمريكي وهذه هى الرسالة المعلنة للشركة التى تأسست عام ١٩٩٨ " تنظيم معلومات العالم وجعل إمكانية الوصول إليها ممكنة من جميع أنحائه وجعلها مفيدة للجميع كذلك"

يوتيوب[٣٦] ولا متابعة لأي رسائل ستصلني عبر البريد الإلكتروني ال Gmail وكذلك يشمل الحجب بطبيعة الحال تويتر[٣٧].

ما هذا العبث؟ كيف سأتواصل مع البشر؟ أسرتي وأصدقائي تفصلني عنهم قارة وبحار ومحيطات وبلدان، ولكن حمدا لله لم يكن سوى تطبيق ال whats app متاحاً لديهم ومسموح باستخدامه، هذا إلى جانب تطبيق آخر تمتلكه الصين بأكملها يدعى تطبيق We Chat وهو تطبيق يلعب أدوارًا كثيرة في حياة الصينيين الذين لم أرهم بعد، ولحسن الحظ أني كنت قد سألت أحد المعارف في الصين قبل السفر فأخبرني بأمر هذا التطبيق فحمّلته قبل السفر، لأني لو لم أفعل هذا قبل السفر لما تمكنت من فعل ذلك الآن، ببساطة لأن الحجب يشمل Google play أو ذلك الموقع المسئول عن التطبيقات المختلفة المجاني منها والمدفوع، هذا وقد مكنني هذا التطبيق لاحقًا من عمل مكالمات دولية مجانية مع أسرتي وأصدقائي رائعة من حيث وضوح الصوت وذلك بعدما راسلتهم عبر الواتس آب طالبًا منهم تحميله واستخدامه.

إذن أمر المكالمات تم حله، ولكن ما تزال العزلة قائمة فكيف سأتعامل دون محرك بحث؟

---

[٣٦] موقع يسمح لمستخدميه برفع التسجيلات المرئية مجانا ومشاهدتها ومشاركتها والتعليق عليها أسسه في ١٤ فبراير سنة2005 م ثلاث موظفين سابقين من شركة باي بال هم تشاد هيرلي وستيف تشين وجاود كريم.

٣٧ أحد أشهر مواقع وسائل التواصل الاجتماعي، ويقدم خدمة التدوين المصغر والتي تسمح لمستخدميهِ بإرسال تغريدات من شأنها أن تلقى إعجاب المغردين الآخرين، بحد أقصى ٢٨٠ حرف للرسالة الواحدة وأسسه جاك دورسى فى أكتوبر من ٢٠٠٦

إن الصينيين لا يعانون من هذا لسببين أولًا لأنهم يستخدمون تطبيقات بديلة عن كل ما ذكرت بما فيها الفيسبوك ولكن جميعها طبعا صيني في صيني، وثانيًا لأن كثيرًا من الصينيين تعاملوا بالمنطق المصري في الفهلوة والتحايل على الأمور واستخدموا حيلا تكنولوجية تتلخص في تطبيقات ال VPN[٣٨] وال Proxy ويستخدمون المواقع المحجوبة كاملة "بالعند في الحكومة" ربما. وبينما أنا كذلك متضجر من هذه العزلة الجبرية في زمان لا مجال فية لمثل هذه التصرفات ومحاولة غلق المجتمعات إذ بشركائي في الغرفة الشبان الثلاثة يدخلون لتختلف رحلتي اختلافاً كبيراً مع دخولهم هذا.

دروسي المستفادة :

١- فيما يخص توفير قدر كافٍ من العملة من المطار ما زلت مقتنعًا أنه لا داعي للعجلة، ونوصل البلد أولاً - أو وسط البلد للدقة - وهناك "هتفرج ويحلها الحلال" ولا داعي للخسارة التي حتماً ستحدث متى بدلت العملة بمبلغ كبير كأن أقوم بتبديل كل ما معي من دولارات لعملة البلد من المطار.

---

[٣٨] أو ال Virtual Private Network أى الشبكة الخاصة الافتراضية وبعيداً عن الأمور المعقدة تكنولوجية هى وسيلة تخفّي لأنها تقوم بتغير ال IP address لجهاز الحاسب الآلى المتصل بالإنترنت وبالتالى بالإمكان أن تكون في الصين ولكن عن طريق هذه التطبيقات يتعامل الجهاز وكأنه متصل بالإنترنت من المغرب مثلا أو من هولندا ، وبالتالي يتجاوز الحجب الذي تفرضه الدولة على مواقع معينة ، فيما يخص جدوى هذه التقنيات في التخفي وعدم تمكن أي جهة من تتبع المستخدم وتحديد مكانه "نسأل فيها مهندس كمبيوتر بقى☺"

٢- فيما يخص التواصل، لا تفكر في السفر للصين إلا وقد حمَّلت على جوالك أياً من تطبيقات ال VPN سالفة الذكر وإلا ستكون في وادٍ والعالم في وادٍ آخر.

الحدوتة الرابعة: هدية السماء

في تمام منتصف الليل، الليلة الأولى لي في الهوستل وأنا جالس "محتاس" بسبب حالة العزلة التكنولوجية التي شرحتها قبل قليل إذ بباب الغرفة ينفتح ويدخل منه شاب وفتاتان، تبادلنا التحية والتعارف بالأسماء فعرفت أنهم James , Cent, Dene وأن ثلاثتهم أصدقاء من الفلبين، كان من الممكن بل من الطبيعي أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، تحية لطيفة وتعارف بالأسماء - التي سرعان ما سننساها- والبلدان التي ننتمي إليها وينتهى الأمر، أو إن زاد يزد بحديث عن بلدان كلاً منا والأجواء السياحية فيها مثلا، أو عن كيفية قضائهم لليوم أو انطباعهم عن المدينة إلى الآن ثم ينصرف كلاً منا لشأنه الخاص.

وكان هذا السيناريو هو ما توقعته، خاصة وأن الثلاثة أصدقاء بالفعل و "بلديات" وبنفس الرحلة التي خططوا لها سويًا من الفلبين وليسوا غرباء التقوا منذ ساعات أو أيام وقرروا أن يكونوا في صحبة واحدة كما يحدث أحياناً في أماكن الإقامة.

إلا أن ما حدث كان مختلفًا كليًّا عن هذا، فإذ بهم يُمعنون في التعارف أكثر وطرح الأسئلة، ومن ضمن هذه الأسئلة هو مخططي ليوم الغد، ولما أجبتهم أنني لم أحدد بعد ما الذي سأبدأ في زيارته ومشاهدته ببكين، وجدت Cent تقول إنهم في الصباح الباكر سيذهبون لمشاهدة أهم معالم بكين والصين قاطبة وهو بالطبع (سور الصين العظيم) ثم أضافت هل تحب أن تأتي معنا؟

لم أتخيل أن يكون القدر سخيًا معي بهذه السرعة، حيث إن الشاب الأمريكي الذي كنت أتواصل معه قبل وصولي لبكين وكنا قد تبادلنا أرقام الواتس آب لضمان التواصل السريع أو الأسرع من التواصل عبر الموقع الذي عرفّنا على بعضنا البعض وهو Couch surfing وجدته يرسل لي قبل دخول الشبان الثلاثة معتذرًا عن عدم قدرته على لقائي لمدة يومان على الأقل لأنه انشغل ببرنامج زيارات مع شاب تعرف عليه في الهوستل الذي يقيم فيه ولكنه يخبرني أنه ربما نتمكن من اللقاء قبل سفره إلى (شنغهاي)، وحينها كنت بالطبع غير سعيد لمعرفتي أنني سأكون بمفردي دون صحبة، وإذ بالقدر يرسل لي سريعًا هؤلاء الشبان اللطفاء بحق، الذين يمكن وصفهم بالعامية المصرية بال "عشريين" - ويأخذون على الناس سريعًا-، وهم ليسوا في حاجة إلى ذلك فهم صحبة في حد ذاتها.

رحبت بالتأكيد بالفكرة والعرض وشكرتهم ثم سألتهم متى ينبغى علينا التحرك ؟، فأجابوا في السادسة صباحًا وبالتالي علينا الاستيقاظ في الخامسة والربع فجرًا، أوضحت لهم أنني في "مطب" إذ إنني لم أبدل من

المطار ما يكفي من الدولارات وبالتالي لا أحمل من اليوان الصيني ما يكفي لأكون بصحبتهم في الغد، فضلاً عن دفع تكاليف الإقامة بالهوستل وأنني في انتظار الصباح حتى يأتي وأتمكن من الذهاب إلى البنك الذي يفتح أبوابه في التاسعة صباحًا.

كان من المنطقي حينها أن يتأسفوا لحالي وينتهي الأمر عند هذا الحد. شخصٌ غريبٌ لم نلتقه إلا من عشر دقائق نعرض عليه صحبتنا في جولاتنا بدلاً من أن يكون بمفرده وهو لا يحمل نقودًا كافية، إذن فليدبر أمره بمعرفته. ولكن العجيب أن هذا لم يحدث، ففي التو واللحظة وبأريحية شديدة عرضوا عليّ أن يتحملوا هم تكلفة الرحلة وعند العودة لبكين مجددًا أذهب للبنك لأبدل العملة وأعيد لهم ما أقرضوني إياه !!

كنت في قمة الدهشة والسعادة من هذه الإنسانية الرائعة، لم يمض على تعارفنا سوى دقائق وأنتم تعرضون عليّ صحبتكم بل وتقرضوني مالاً بشكل مؤقت! كم هي مدهشة تلك الإنسانية بمعايرها السليمة والفطرية التي تتحكم في تصرفات البشر دون الانتباه للعرق أو الدين أو الجنس .

أذكر مثلاً أنهم منذ أن دخلوا الغرفة وهم يتحدثون إلى بعضهم البعض بالإنجليزية وليس بالفلبينية مراعاة أنهم يتحدثون في أمور عادية وأن الحديث بلغة غير الإنجليزية ربما يبدو محرجًا لي أو أنهم يتكلمون عني مثلاً.

كما أذكر أن James منذ اللحظات الأولى على تعارفنا حتى نهاية صحبتنا بمغادرتهم للمطار كان يناديني Brother أو باسمي بالطبع ولكنه كان يكثر من هذه الكلمة "يا أخي" وليس Man أو Mr .

والأجمل أنهم كانوا يراعون أن إقامتنا هي إقامة مشتركة وأن معهم شخصًا غريبًا عنهم فكانوا يستأذنون عند تشغيل التكييف أو ضبط درجة الحرارة، وما إن كانت مناسبة لي ولا تجعلني أشعر بالبرد، هكذا يحدث الموقف تلو الموقف تلو الآخر في ليلة تعارفنا الأولى وحتى نهاية صحبتنا وأنا مندهش حيث لا تجمعنا أية روابط سوى الإخوة في الإنسانية فحسب، فلا نحن أبناء بلد واحد ولا لنا نفس اللسان ولا يجمعنا نفس الدين فثلاثتهم مسيحيون ومع هذا نتعامل مع بعضنا البعض بهذا القدر من الرقي، حينها خطر على بالي ذكريات رحلة العمرة الأولى التي رزقني الله بها وله الحمد.

كانت أول سفرة لي للخارج تمامًا ومنفرداً دون الأسرة أو أياً من الأصدقاء وبالتالي كانت إقامتي بالفندق تشبه الإقامة في الهوستل، غرفة رباعية ومع ثلاثة آخرين لا أعرفهم ولا يعرفونني على الرغم من كون اثنان منهم زملاء عمل في نفس الشركة التي أعمل بها، أتذكر كيف كانت إقامتي معهم قمة السوء ولن أدلل على ذلك سوى بمثالين إذ إن المقام لا يتسع لسرد ذكريات هذه الرحلة التي لم يهون عليّ سوء إقامتها إلا لكونها رحلة روحانية.

أما المثال الأول كان أن أحدهم يتعامل مع زجاجة عطري الأصلية "غالية الثمن بالطبع" والتي تركتها على المنضدة أمام المرآة وكأنها هدية من الفندق أو من ممتلكاته الشخصية "وأنا ناسى☺" فكان يستخدمها ويرش منها ببذخ دون استئذان وهو يعلم أنها ملكي وبالتأكيد لم أكن لأعترض لو أنه استأذن كما يقتضي الذوق خاصة وأننا لسنا أصدقاء فيكون التعامل هكذا مقبول " sans-façon كما يقول الفرنسيون ونمصرها نحن (سول ف سون) أي بدون تكليف أو رسميات ".

وأما المثال الثاني فكان له "كيف أو مزاج" ربما في ألا يتخلص مما تخلص منه جسده عقب انتهائه من استخدام الحمام أي لم يكن "يشد السيفون[٣٩]" ولم يكن الأمر حدثًا عارضًا بل كان متكررًا على الرغم من أن إقامتنا حينها كانت في فندق هيلتون الحرم.

أما الآن في بكين وفي إقامة متواضعة لا تقارن بفخامة الهيلتون ولكن شيئاً من هذا الذي ذكرته لم يحدث بل العكس تماماً فكان كلٌ منا يراعي الآخر في تصرفاته حتى لا يزعجه ولو من دون قصد.

كما أن كل سرير كان محاطًا بستارة خاصة تمنحه بعضًا من الخصوصية وبجوار كل سرير لمبة إضاءة صغيرة حال الرغبة في القراءة بعد إطفاء نور الغرفة مثلًا وكذلك مقبس كهربي جنب كل سرير حتى لا نتصارع على مقابس الكهرباء لشحن أجهزة الهاتف والكاميرات وغيرها.

[٣٩] من كلمة Siphon البعض يقول إنها من أصل فرنسي والبعض الآخر يقول إنها من أصل يوناني وتعنى أنبوب الري أو تدفق السائل من أعلى لأسفل، ولنخرج من الحمام وكفاية كده ☺

وهكذا ظل الفلبينون الثلاثة هم رفقتي لأربعة أيام ثم كان موعد مغادرتهم وعودتهم لبلدهم مرة أخرى ولكن طوال الأيام الأربعة شعرت وكأني أعرفهم منذ زمن خاصة كلما زادت التفاصيل بالكلام والمواقف التي سأذكر بعضًا منها والتي لا ترتبط بالأماكن والمشاهدات. فمثلاً هم علموا أنني مسلم وأن لي اشتراطات معينة في مسألة الطعام فكانوا دومًا يحاولون مساعدتي بالبحث عبر الإنترنت الذي كان معهم طوال الوقت عن أقرب فروع لمطاعم تقدم أكلا حلالا أو حتى عن فروع المطعم الأمريكي Burger King الذي كنت أعلم أنه يقدم وجبات طبقاً للشريعة الإسلامية بسبب تجربة سابقة إلى تايلند.

وكان للطعام معهم حكاية، فثلاثتهم يعشقون الطعام رغم أنهم ليسوا بدناء بل على العكس تمامًا ذوي قامات مثالية إلا أنهم كانوا يبحثون بشغف عن المطاعم المميزة في المدينة ويذهبون لها أينما كانت .

وأعود لمنطق المراعاة الإنسانية، وسأذكر أمرًا آخر، كان معهم "راوتر إنترنت" متحرك، يتم شحنه بباقة إنترنت من بلدهم قبل السفر على ما أذكر ما قالته لى Cent ويعمل بخاصية التجوال عند السفر، وكانوا جميعاً يستخدمونه والأمر أشبه بتقنيه ال Hot Spot الموجودة في الهواتف المحمولة، وكانوا قد منحوني كلمة السر الخاصة بهذا الروتر وبالتالي طول مدة صحبتهم كان معي إنترنت يمكّنني من متابعة أسرتي طوال الوقت، وكان ثلاثتهم قد تقاسموا تكلفة استخدام هذا الراوتر قبل سفرهم ولكن الآن أما وشخصٌ رابعٌ يستخدمه معهم ويشاركهم فيه فمن الطبيعي أن يتحمل جزءًا من التكلفة وهو بالفعل ما عرضته عليهم إلا

أنهم رفضوا ذلك بإصرار واعتبروا أن الأمر لا يستحق الكلام فيه بمنطق الإنجليز Do not mention it

دروسي المستفادة :

١- السكن الجماعي كما الزواج والاثنان "بطيخة، يا تطلع حمرا يا تطلع قرعة☺"

٢- السكن الجماعي في هوستل نافذة على العالم وثقافاته المختلفة والمتنوعة، ومن الجميل المشاركة فيها فهي فرصة لا تتكرر كثيراً وإن كان الأمر يحتاج أحياناً إلى المبادرة منك في استقبال شركاء الغرفة أو المكان وبداية الحديث وجر طرف الخيط أو Breaking the Ice أو إذابة الثليج كما يقول الإنجليز.

الحدوتة الخامسة: تعاون

بالفعل قبلت شاكراً عرض شركاء الغرفة بإقراضي المال لأتمكن من صحبتهم في رحلة (سور الصين العظيم) وإعادتة بعد الذهاب للبنك والحصول على السيولة اللازمة. البنوك هناك تغلق أبوابها في الخامسة مساءً ونحن عدنا مرة أخرى إلى وسط بكين حيث موقف الحافلات الذي استقلينا منه واحدة في الصباح الباكر لتذهب بنا إلى السور، عدنا في الخامسة إلا عشرة دقائق وبمجرد نزولي من الباص طلبت منهم انتظاري وجريت محاولاً اللحاق بأقرب بنك في المنطقة إلا أنني للأسف لم أتمكن

من ذلك، بقيت واقفًا في غرفة ماكينات الصراف الآلي ال ATMs لا أعرف ماذا سأفعل، هكذا سيمضى اليوم الثاني وأنا لا أحمل نقودًا صينية وبالتالي سأكون في حكم المُفلس.

ما زلت لم أدفع للهوستل بعد ويتوجب عليّ رد المال للشباب وأن يكون معي سيولة لأتمكن من الإنفاق فيما بقى من اليوم على الأقل. وبينما أنا محتارٌ كذلك إذ بمواطن صيني يدخل غرفة الماكينات ليستخدم إحداها، اقتربت منه وحييته وسألته هل تقوم هذه الماكينات بتبديل العملة لمن ليسوا بعملاء للبنك ولا يحملون أية كروت بنكية خاصة به؟ فأجاب بلا، ولما رأى الحيرة بادية على وجهي سألني عما أريد فأوضحت له فما كان منه سوى أن استخدم الإنترنت لمعرفة سعر الصرف لليوم وسألني كم أريد أن أبدل فأجبته مائتي دولار، فأخرج على الهاتف الرقم الذي سأحصل عليه باليوان وهو بالفعل كما كنت أتوقعه دون عمولات أو ضرائب أو خصومات فأخذ مني الرجل المائتى دولار وأخرج من حسابه من الماكينة ما يوازي القيمة باليوان، وشكرته بحرارة على تعاونه على الرغم من معرفته غير الكبيرة باللغة الإنجليزية.

وأخيرًا أصبحت من حاملي اليوان الصينى، فعدت للشباب مسرعًا وأخبرتهم ما حدث وقالوا إنني محظوظ لتمكني من إتمام الأمر بهذه الطريقة، وأعدت لهم نقودهم بالطبع مع الشكر العميق، وذهبنا للهوستل مرة أخرى، وحينها دفعت تكلفة الإقامة وما يزال معي بعض اليوانات لتكفي قضاء بضعة أيام قبل عملية التبديل التالية.



درسي المستفاد:

١-عملاً بالمثل الروسي إن صح أصله "الجيش بيقولك اتصرف" حاول التغلب على المشكلات و"هتفرج".

الحدوتة السادسة : مطاعم و "فرولاية"

لكثرة ولع الفلبينين الثلاث بالطعام والمطاعم كنت أغني أحيانًا بسخرية أغنية شيرين عبد الوهاب "مشاعر" مبدلاً المشاعر إلى "مطاعم" ☺ ولكن هوسهم بالطعام هذا لا يعني أنهم يأكلون كثيرًا أو بكميات كبيرة، بل على العكس كميات معقولة ومقبولة وطبيعية، إلا أنهم يهتمون بتجربة المطاعم خاصة المتميز منها بالفعل ولذلك كنت مندهشًا منهم وستدرك لماذا؟

كانوا يتابعون تقيمات المطاعم الموجودة على موقع Trip Advisor ويحرصون على زيارة تلك التي نالت تقيمات مرتفعة، وأذكر بهذا الصدد ثلاث مرات رافقتهم فيها للمطاعم المختارة على أمل أن أجد ما يمكنني تناوله معهم ويتفق مع ضوابط الشريعة. المرة الأولى كانت مساءً بعد عودتنا من سور الصين العظيم وتبديل ملابسنا، فوجدتهم يستخدمون ال GPS للاستدلال على عنوان مطعم بعينه، واتضح أنه على مقربة منا، حوالي عشرين دقيقة سيراً على الأقدام، وهو ما فعلناه في جو من البهجة والمرح والضحك كأننا أصدقاء منذ دهر وليس منذ ٢٤ ساعة تقريبًا.

وصلنا إلى المطعم المطلوب والذي وضع لافتة كبيرة على أبوابه من الخارج توضح التقييم الذي حصل عليه على الموقع المذكور أعلاه كنوع من الدعاية وبث الثقة لدى الزبائن العابرين بجواره وربما لم يسمعوا به من قبل، دخلنا، المكان صينيّ الأجواء بامتياز بداية من البالونات القماشية أو البلاستيكية الصينية الحمراء الشهيرة والتى تتدلى من السقف في المكان بأكمله بشكل جميل، بالإضافة إلى عصى تناول الطعام الصينية بدلاً من الشوك والملاعق كما المعتاد.

سألت النادل بعدما جلسنا إذا ما كان المطعم يقدم طعامًا إسلاميا أو كما يعرفها العاملين بالمطاعم حتى في الدول الغيرإسلامية Halal Food فأجابنى بلا، وهو ما كنت أتوقعه، فظللت أقلب في قائمة الطعام حتى وجدت بعض الأطعمة النباتية وبالتالى يمكنني تناولها، واخترت عن دون سابق معرفة بالتأكيد طبق اسمه ال Tuffuوهو عبارة عن فول صويا مطهو بطريقة ما مع بعض البهارات والتوابل والأرز، أما الرفاق فاختاروا أطباقاً تحتوى على اللحم والدجاج وكانت عادتهم أن يطلبوا أصنافًا كثيرة ويتقاسمونها وبالتالي يحصلون على وجبة متنوعة.

وسرعان ما أتى الطعام وذلك بعد أن جاء أحد الندل ووضع على الطاولة موقد كيروسين أشبه با"سبرتاية القهوة" ولكن أكبر حجماً، وأتى بالأطباق الخاصة بهم ووضع الطبق الرئيسي فوق اللهب وعليهم أن يأخذوا منه قدر حاجتهم في أطباقهم وهم يشاهدونه يغلي من الحرارة وتتصاعد أبخرة رائحته، كانوا مستمتعين بتجربة الطعام تلك، أما أنا فمسكين، أتاني (التوفو) هذا ولكني لم أجده شهياً بالدرجة التي تدفعني

لإنهاء طبقي وكالعادة خرجت من المطعم على أقرب سوبر ماركت لشراء زبادي وبسكوت كما تعودت في السفر. والمهم في كل هذا أن هذا العشاء قد تكلف مبلغ محترمًا من المال، بالطبع أقصد عشاءهم هم.

أما المرة الثانية فكانت مطعم بترشيح من ال Trip advisor نفسه مرة أخرى، ولكنه بأجواء جميلة أحببتها صراحة، ذهبنا إلى حيث الموقع إذ به يقع في بناية هي بالفعل ناطحة سحاب، والمطعم يقع في الدور الثاني والأربعين منها، ما إن خرجنا من المصعد حتى استقبلنا الندل بابتسامة واسعة – ليست حقيقية في الأغلب ولكنها متطلبات مهنة – ثم قادونا لإحدى الطاولات الكبيرة ثم أتوا بأدوات الضيافة من فوطة الأكل والملاعق والشوك والسكاكين وبالطبع قائمة الطعام، وسألت السؤال المعتاد، وكانت الإجابة المعتادة فغادرتهم رغم إعجابى بالمكان والخدمة وساعدوني في البحث عبر الإنترنت عن أقرب مطعم يقدم أكلا حلالا ولما لم نجد، تركتهم ونزلت للشارع أتجول في الجوار، ووجدت مطعماً يقدم البيتزا، فقررت الدخول وتناول واحدة من البيتزا المارجريتا فلا لحم ولا دجاج، وكان من حسن الحظ مطعمًا فخمًا وراقيًا لأن المنطقة نفسها كانت كذلك وكان غالي الثمن بعض الشيء.

المهم أنني حينها تناولت وجبة حقيقية وشهية، ثم عدت للشباب مرة أخرى فوجدتهم على وشك الانتهاء مما أسماه جيمس Brunch ويقصد دمجاً لوجبتي الإفطار Breakfast والغداء Lunch لنتمكن بعد ذلك من الاستمتاع بجولتنا دون الشعور بالجوع. وهذه المرة أيضًا دفع الثلاثة فاتورة بمبلغ وقدره.

أما المرة الثالثة والأخيرة التي سأذكرها فكانت الأفخم على الإطلاق لا في تجربة الصين فحسب ولكن في تجربة كافة المطاعم التي دخلتها في حياتي داخل أو خارج مصر وهو ما يجب أن يطلق عليه بالإنجليزية

It was the most luxurious restaurant experience I have ever had وهو مطعم للبط. فالصين مشهورة بالبط جداً لدرجة أنه متواجد هناك كهدايا بين الناس وك "Snacks" تباع في السوبر ماركت، "فتجد كيسًا يحوي ألسنة البط، وكيسًا آخر يحوي "بوز" البط، وثالث للأرجل وهكذا، فالصينيون يفعلون في البط كما نفعل نحن في العجل ولا يترك أياً منا في هذا أو ذاك إلا واستخدمه أو أكله ☺، ولأن المطعم متخصص في تقديم البط في المقام الأول فكان من الواضح أنه حقق شهرة واسعة في هذا النطاق جعلته قبلة للباحثين عن أكلة بط حلوة، استقللنا تاكسيًّا للوصول إليه، وهي من المرات النادرة التي استخدمنا فيها التاكسي حيث نتحرك دومًا باستخدام المترو الذي يربط بكين بعضها ببعض ببراعة.

وصلنا إلى هناك، ويا لهناك، مطعم كبير على مساحة كبيرة بالفعل، وما إن دخلنا حتى أخبرنا النادل أن المطعم كله مكتمل الآن وإن رغبنا فبالإمكان الانتظار والحصول على دور في لائحة المنتظرين أو ال Waiting listوهو ما فعلناه، وبعدها قادنا النادل إلى طاولة أنيقة في الهواء الطلق في حديقة المطعم التي تزدان بمجسمات للبط يمينًا ويسارًا، ثم أتانا بقائمة الطعام وهي أغرب قائمة طعام سبق ورأيتها في مطعم من قبل، حيث قائمتان كبيرتان، أو طويلتان وكبيرتان للدقة، يتجاوز طول القائمة منهما المتر كاملاً ببعض السنتيمترات، واحدة منهن للمشروبات

والتحلية وأخرى للمقبلات والطبق الرئيسي، وكالعادة لا أدع النادل يذهب حتى أسأله ما إن كان المطعم يقدم طعامًا حلالاً وكالعادة التي لا تتغير تأتيني الإجابة بلا، وكالعادة مرة "كمان" أقرر الانفصال عنهم والبحث عن مطعم في الجوار يمكنني تدبير حالي مع ما يقدمه، ولكني فضلت تأجيل الانصراف حتى يقوموا من على "دكة الاحتياطى" ويلعبوا في "الأساسي" أي يدخلوا المطعم نفسه، وهو ما حدث بالفعل بعد نصف ساعة من الانتظار تفحصت فيها قائمة الطعام والأسعار التي كانت باهظة للغاية.

ولما أتى دورنا اصطحبنا النادل وفتح لنا باب المطعم لنجد اثنين آخرين من زملائه يقفون جهة اليمين يحيوننا بانحناء واحترام، ثم يقودنا أحدهما إلى حيث الطاولة المتاحة لنا، تلك الشديدة الفخامة في المطعم المبهر. جلسنا لنجد أننا أمام مائدة مستديرة متحركة، أي بإمكانك أن تحرك القرص الزجاجي الدائري للمائدة فتصبح الأطباق البعيدة عنك في متناول يدك، فتأخذ منها قدر رغبتك ثم تلف المائدة مرة أخرى ليصل نفس الطبق إلى صديقك الجالس في الطرف الآخر منها. لا تظن أن هذا هو وجه الفخامة الوحيد في التجربة لا يا صديقي "اتقل الفخامة لسة جاية ورا☺" فبعدما غادرتهما وذهبت باحثاً عن مطعم وعندما عدت إليهما من جديد ولأن طعامي من نوعية الأكل السريع أو ال Fast food ولا يأخذ وقتاً لا لإعداده ولا حتى لتناوله، عدت سريعاً لهما لأجد أن الطبق الرئيسى لم يصل بعد فقط تم ملء المائدة بالمقبلات والأطباق الجانبية.

وبعد لحظات من انضمامي إليهم أتى الطبق الرئيسي الذي كان عبارة عن بطة كاملة يأتي بها النادل على طاولة الطعام التي يمكن جرها ونشاهدها في الأفلام القديمة كتلك التي جرتها ماجدة لعبد الحليم حافظ على خلفية أغنيته أهواك. ويصحب النادل شيفًا "طاه" ثم يقف الشيف محيياً الزبائن، ويبدأ في تقطيع البطة أمام أعينهم والبخار يتصاعد منها، ويقسم البطة إلى أجزاء ويضع في صحن كل منهما ويتمنى له طعاماً شهياً وينصرف.

كانت بالنسبة لهم وعلى حد وصفهم تجربة طعام "ملوكي" ذات خدمة مميزة بالفعل، وصراحة أعجبتني الخدمة وطريقتها تلك ف "مش ناقص غير إنه يأكلني في بقى ☺" فقررت ألا أغادر هذا المطعم إلا إذا تناولت شيئًا، لمجرد رغبتي في الاستمتاع بهذه الخدمة. ففتحت قائمة الطعام الطويلة العجيبة على الجزء الخاص بالتحلية واخترت طبقاً عبارة عن فراولة بالقرفة، ومعظم الأطباق لها صور شهية "تفتح النفس" ملونة بطبيعة الحال داخل القائمة، كان الطبق غير مكلف بالمرة فقط ١٠ يوان صيني لا غير، فأشرت للنادل بطلبي وسرعان ما أتاني بطبق يحتوي على قطعة فراولة واحدة "فرولاية!!" مقطوعة نصفان كل نصف يحتل مساحة صغيرة من الطبق تاركاً باقى الطبق كمساحة مسرح خالية لا تجد من يقف على خشبته ومرشوش على كل جزء منها بعض القرفة بنية اللون بالطبع، هذا مع شوكة وسكين يخص التحلية "متناهي الصغر" حينها ومن باب السخرية التي استغرقنا جميعًا في الضحك والتندر على هذه "الفرولاية " سجلت مقطع فيديو لأوثق ما أتاني من طعام !

ولما انتهوا من طعامهم أتت الفاتورة التي تمثل ثروة بالتأكيد لهذا لم أفهم هؤلاء الشباب، فالأموال التي دفعوها في المطاعم الثلاثة كان بالإمكان أن تجعلهم نزلاء فندق أربعة نجوم[٤٠] أو حتى ثلاثة، لا مجرد هوستل يتشاركون فيه الإقامة مع شخص غريب، ولكن أعود وأقول إن الناس فيما يعشقون مذاهب[٤١].

الحدوتة السابعة: القداس والبركة

ربما هو القدر الذي يضعني في مواقف كهذه وربما هو الفضول وربما هي العادة "وربنا ما يقطع لنا عادة- ما لم تكن مُضرّة " حقيقة لا أعرف!

كنا يوم أحد وما أزال بصحبة الرفقاء الفلبينين والذين رغبوا في حضور قداس صلاة الأحد في إحدى الكنائس، وبالفعل كانوا قد اختاروا إلى أي كنيسة سيذهبون، وعرفوا أن موعد القداس الخامسة مساء وليس في الصباح الباكر كما هو متوقع، أما عن المكان فكانت كنيسة كبيرة في الشارع الرئيسى (وان فو جينغ) وهو شارع بديع وأوروبي الطراز وهو للمشاة في أغلب أجزائه، ويحتوي على مولات متجاورة ومحال لا

[٤٠] تقييم الفنادق: يستخدم عدة أنظمة لتقييم الفنادق أهمها وأشهرها النجوم وأطلق نظام تقييم النجوم في عام ١٩٥٨، كما توجد طريقة أخرى للتقييم وهى استخدام الأحرف من A إلى F ولكنها ليست بنفس شهرة النجوم ، كما تطبق بعض الدول الأوروبية تقييمًا بالكلمات: فسائح تعنى أن الفندق نجمة واحدة، قياسى أي نجمتان، مريح ثلاثة نجوم، درجة أولى أربعة نجوم وفخم دلالة على النجوم الخمس.

[٤١] أصل المثل اجتزاء من بيت شعر شعر أبى فراس الحمداني والبيت يقول:

من مذهبي حب الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

حصر لها ومعظمها محال الماركات الشهيرة، كما يوجد به تجمع للمطاعم الأمريكية المعروفة، وكان هذا الشارع بطل أحداث خلال هذه الرحلة.

ذهبنا للشارع نحن الأربعة وظللنا ننتقل بين المحال المختلفة إلى أن اقتربت عقارب الساعة من الخامسة، فتوجه الرفقاء للذهاب إلى الصلاة فسرت معهم حتى مكان الكنيسة لمعرفة أين هي، واتفقنا على أن نلتقي مجددًا بعد نهاية القداس في السادسة مساءً واتفقنا على نقطة لقاء خاصة وأنه لن يكون معي إنترنت للتواصل معهم حينها فالراوتر معهم بالفعل وأنا لن أكون في نطاقه الجغرافى إذا ما ابتعدوا ودخلوا الكنيسة.

ذهبت أنا بعد ذلك لرفيق الرحلات وصديقها بالنسبة لي ماكدونلدز، وتناولت وجبة غداء شهية وتمشيت بعض الوقت في الشارع الجميل ثم ذهبت إلى الكنيسة فسرعان ما انقضت الساعة بل تجاوزتها بعشر دقائق، لم أجد الشباب يقفون في انتظارى، فظننت أنهم انتهوا من الصلاة وخرجوا ولم يجدوني في المكان والموعد المتفقان عليهما فتعاملوا كما الأجانب في احترامهم للمواعيد وانصرفوا، فرغبت في التأكد من أن الصلاة قد انتهت قبل أن أشرع في المغادرة بناءً على استنتاجى هذا، فدخلت إلى الحديقة الملحقة بالكنيسة من داخل أسوارها ووصلت إلى باب الكنيسة نفسها، فإذ برجل يقف على الباب يدوعوني للدخول، فدخلت ووجدت القداس ما يزال قائما ووصل إلى مرحلة الدعاء في النهاية مثل خطب الجمعة لدينا ويسمونها في المسيحية "الصلاة".

جلست على أحد المقاعد بجوار المصليين بالطبع أتأمل وأشاهد الكنيسة الكاثوليكية الكبيرة والجميلة، بالأيقونات الموجودة في كل مكان والسقف العالي للغاية وطغيان اللون الأبيض على الحوائط والسقف مع لمسات من اللون الذهبي في الأعمدة والمذبح، كما أنه كان قداساً أشبه بما أراه في الأفلام الأمريكية من حيث وجود جوقة على يمين القس الذي يقوم بمراسم الصلاة وهذه الجوقة ترنم بالغناء على أنغام موسيقية لبيانوا كبير موجود على يمين المذبح مع بعض الآلات الموسيقية الأخرى، ثم أنهى القس صلاته بالدعاء للبشرية جميعاً "ولم يخص بذلك بني ملته وديانته وحدهم" من أجل أن يحل السلام على الأرض وتنتشر المحبة وانصرف من مكانه ليذهب ويقف على باب الكنيسة الذي دخلت أنا منه قبل قليل ليسلم على واحدٍ واحدٍ من المصليين قبل مغادرته ويباركه برسم علامة الصليب عند رأسه.

كان هذا مخالفٌ لما أراه وأعرفه، حيث ما أشاهده مثلاً في القداس المذاع على التلفزيون المصري عشية عيد الميلاد المجيد مثلاً أن البابا يظل في مكانه عند المذبح والمصليين هم من يذهبون إليه لتقبيل يده.

المهم إذن ما هذه الورطة ؟!! كيف سأخرج؟!، لا مشكلة عندي في السلام على قس أو تحيته لكن ما إن كانوا يفعلون كما يفعل مسيحيوا المشرق الأرثوذكس بتقبيل يد القس ورفعها للجبين فلا مفر هنا من أن أعلن أنني لست مسيحياً وأعتذر وأغادر. وقفت أشاهد من بعيد ما الذي سيحدث فوجدت أن المصلي الذي يخرج يسلم على القس باليد

"مصافحة" ثم يرسم القس علامة الصليب على المصلى فيباركه وينصرف أو العكس يبدأ القس برسم علامة الصليب ثم يمد يده بالمصافحة ويحدث هذا والجوقة ما تزال تشدو بالترانيم الجميلة وكأنها غناء هادئ، أسرعت في التوجه لباب الخروج قبل أن يراني الرفقاء الثلاثة ويندهشوا من سبب تواجدي معهم في الكنيسة، وكان حظي أن بدأ القس برسم الصليب أمام وجهي أولًا ثم مد يده لمصافحتي فلم أستطع فعل شيء سوى مصافحة الرجل الأبيض الوسيم والخروج مسرعاً وأنا أسأل نفسي ما بال كل رحلة أو أغلب الرحلات تشهد مفارقات في الكنائس؟!

خرجت بعد ذلك مهرولاً إلى نقطة اللقاء المتفق عليها والتي أتى إليها الشباب معتذرين عن تأخرهم لأن الصلاة استغرقت وقتاً أطول مما توقعوا، ثم أكملنا اليوم.

دروسي المستفادة :

١- يقولون (الفضول قتل القطة[٤٢])، وقد يرى البعض أن ما أرويه هذا مزعج وغير مريح، أنا لم أدَّعي أنه مريح ولكنه ليس بمزعج، أنا والحمد لله مسلم وشديد الإيمان بعقيدتي ولكنني واسع الصدر مع تقبل الآخرين بثقافاتهم وعقائدهم المختلفة، بالطبع لا يعني هذا أن

[٤٢] Curiosity killed the cat: مثل إنجليزي يضرب للتحذير من الفضول الذي قد يقود لضرر وبحسب ويكيبيديا فهناك قصة تحكي عن العالم الفيزيائي شرودنجر الذي كان لديه قطة وقام بوضعها داخل صندوق ووضع معها عبوة متفجرة تكفي لقتل القطة، وأغلق الصندوق عليها. فأصبحت النظرية تقول ما لم تحاول القطة اكتشاف القنبلة والعبث بها لكانت قد نجت إذا ما فتح لها شرودنجر الصندوق.

أشاركهم فيها، ولكن المشاركة هنا كانت مشاركة رؤية ومشاهدة لا فعل، أما ما حدث في نهاية الأمر فهو شيء عابر ولا حيلة لي فيه ولم أتوقف عنده فالممثلين في عالم التمثيل يرتدون صلبانًا ويقومون برسم علامة الصليب حال قيامهم بتأدية شخصية مسيحية ولا أجد أن الأمر حدث جلل، ولكنه الفضول يا عزيزي!

ماذا عنك، لو كنت مكاني ...كيف كنت ستتصرف؟

....

....

الحدوتة الثامنة: وحدي لكن "مش" ونسان

بعكس أغنية "محمد منير" الشهيرة، أتى يوم مغادرة الرفقاء سريعًا ليعودوا إلى بلدهم مرة أخرى، ظللنا ليلتها في الشارع حتى وقت متأخر وكان يومًا طويلاً بحق حيث ذهبنا فيه لأماكن عدة ثم أنهيناه بالذهاب إلى "هايبر ماركت" كبير ليتسوقوا بعض الهدايا من الأطعمة الخاصة بالبلد لأهلهم وأصدقائهم ولأتسوق أنا أيضاً بعض الأغراض.

وبعدما انتهينا من رحلة التسوق هذه والذي كان ذلك البط المجفف أو المعبأ في "شنط" وعبوات بلاستيكية فاخرة هو البطل الرئيسى فيها عندما وصلنا بالعربات إلى "الكاشير" أو المحاسب، ذهبنا إلى مقهى فريد من نوعه، حيث مقهى و مكتبة في آن واحد. فهو عبارة عن مكتبة مليئة بالكتب من مختلف اللغات والتخصصات مع طاولات للجلوس

والقراءة مع طلب مشروب أو تناول تحلية ما، جلسنا هناك لبعض الوقت.

لأنها كانت رغبة Dane حيث سبق وجلست في مقاهي كهذا كلما سافرت إلى بلد ما وأرادت أن تضيف الصين على القائمة، وهناك سجلنا مقطع فيديو أودعهم فيه وأشكرهم على الوقت الرائع الذي قضيته بصحبتهم ووجهوا لى الشكر أيضا على صحبتي التي كانت جميلة على حد قولهم، ثم أنهينا الجلسة الممتعة وعدنا إلى الهوستل حيث كنا نصفه أنا وجيمس بالمنزل، وكنا لما نعود بعد طول خروج ومجهود ومشي نقول Home sweet home حيث رأينا أنه في الغربة وبعد يوم طويل تكون في أمس الحاجة إلى سرير وحمام، وهذان بمثابة منزل جميل حيث ستنعم بدش دافئ منعش وسرير للنوم.

ولما عدنا للهوستل شرعوا في حزم أمتعتهم لأنهم سيغادرون في السادسة صباحًا، وكنت قد اشتريت لهم على سبيل الهدية الرمزية علبًا من البسكوت فمنحتها لهم بعدما كتبت عليها رسالة شكر على الوقت الطيب الجميل منحتهم العلب ومع كل علبة جنيهاً مصريًا كتذكار وسعدوا جدا بهذه البادرة وشكروني عليها بحرارة.

وسرعان ما خلدنا للنوم وفي الصباح استيقظت لأجدهم قد غادروا الغرفة بهدوء ودون إزعاج وتركوا لي رسالة مكتوبة مفادها أنهم يتمنون لي باقي رحلة ممتعة مع ثلاثة أكياس من الشيبسي "على سبيل رد الهدية يعنى☺"

يومها خرجت بمفردي للمرة الأولى منذ وصولي إلى بكين وكنت بصحبة نفسي فقط، حينها لم يكن لي وجهة محددة خاصة وأن كثيرًا من معالم المدينة المهمة بالفعل شاهدتها مع الشباب، لهذا آثرت أن أجعل اليوم لبعض مخططات التسوق التي كانت لدي . ربما لم أكن "ونسان" وأنا بمفردي في رحلة التسوق هذه حيث تحركت من مكان لآخرومن شارع لشارع وأنا أسير على غير هدى فلا إنترنت كما في السابق بصحبتي للشباب وبالتبعية لا GPS ولا أي وسيلة للتواصل مع الأسرة سوى بعد العودة للهوستل من جديد.

أما عن خطة التسوق فضربت في مقتل بسبب ارتفاع الأسعار، صحيح أنا في الصين إلا أنه من الواضح أمراً من اثنين إما أنني "خايب" ولم أتمكن من الوصول إلى الأسواق الشعبية لأجد تلك المنتجات التي تحتل السوق المصرى وبأسعار جيدة أو أن جودة المنتجات التي تقدم من صناعة الصين للمستهلك أو المواطن الصيني تختلف جذريًا عن تلك التي "بيبلونا بيها" وبالتالي تختلف وتتضاعف أسعارها. وصراحة أنا أرجح الأمرين معًا.

عدت للهوستل مجدداً وكنت متوقعًا وصول صحبة جديدة أو على الأقل رفقة جديدة في الغرفة، فإذ بي أجد أن الغرفة خالية تمامًا وأنه لم يصل أحد ليشاركني إياها وأنها لي وحدي لهذه الليلة، حينها لم أكن "ونسان" على الإطلاق وكنت مفتقد الشباب بروحهم المرحة والونس الذي صنعوه، لكن هذه الحالة لم تستمر طويلاً .



درسي المستفاد:

١- الانفراد بصحبة النفس من وقت لآخر أمر جد مفيد ويجعلنا نقدر نعمة وجود أشخاص في حياتنا أو نعيد حساباتنا.

الحدوتة التاسعة : "خرم إبرة"

في اليوم التالي لتلك الليلة التي أمضيتها وحيداً في الغرفة دون أي وسيلة تسلية كالراديو أو التلفزيون، وبإنترنت لا يمكنّني من فعل شيء تقريباً بسبب الحجب، خرجت في النهار الباكر، وجبت أنحاء مختلفة من المدينة الكبيرة وذهبت مجددا لشارع (وان فو جينغ) وشاهدت فيلم سينما وكانت الصدفة البحتة وراء اختيار الجزء الثامن من السلسلة الشهيرة Fast & Furious والعجيب أنني كنت قد شاهدت من هذه السلسلة الجزء السابع فقط في كوالالمبور بماليزيا بتقنية ال D Box التي لم تكن متاحة حينها في مصر.

وبعدما انتهى الفيلم وانتهت الحدوتة القادمة بعد هذه عدت للهوستل ودخلت الغرفة لأجد عددًا من حقائب السفر يحتل جزءًا منها وبالتالي لم أعد وحيداً في الغرفة، بل وجدت أن السرير الذي يعلوني عليه شخص يغط في النوم حتى لم أتمكن من معرفة إن كان شابًا أم فتاة لأنه/أنها قد شد الستارة حول سريره، أما السريران الآخران فيبدو عليهما علامات الاستخدام إلا أن أصحابهما لم يأتيا بعد من الخارج، أخذت دشاً في هدوء وخرجت وصليت وجلست على سريري ثم انفتح الباب ودخل

فتاتان، إحداهما تحمل ملامح شرق آسيوية فظننت أنها ربما من إندونيسيا مثلا أو ماليزيا والثانية تحمل ملامح محيرة، لا يمكن معها تخمين جنسيتها ليست شقراء فتظن أنها أمريكية أو أوروبية ولا سوداء فتظن أنها إفريقية مثلاً، ولكنها تحمل ملامح تجعلها أقرب لأهل دول أمريكا الجنوبية أو حتى أهل إيطاليا "رغم سواد لون الشعر".

المهم أنهما لما وجداني مستيقظاً، حيوني همساً بالإنجليزية مراعاة للشخص النائم بالسرير العلوي، فرددت التحية هامساً أيضاً مع المزيد من Nice to meet you فأجابا بالمثل فسألت ذات الملامح الآسيوية Where Do you come from? من أين أنتِ؟ فأجابت بشكل لا أتوقعه من كندا "يا بنت المحظوظة☺" ثم ردت هي لي السؤال فأجبت From Egypt فإذ بي أجد الفتاة الثانية تقول بالعربية المصرية : "لأ مش معقول مصري؟!" يا للصدفة العجيبة كلانا خارج مصر ونبعد عنها ببحار وقارات وفي نهاية المطاف يستقر كلانا في نفس الغرفة في الصين !!

تبادلنا الأسماء وتعارف عابر عرفت منه أنها طالبة في السنة النهائية من الجامعة وأنها في رحلة عمل للصين على الرغم من صغر سنها أما الكندية فهي في رحلة مطولة بدأتها باليابان ثم الصين ثم ستكمل صوب كوريا الجنوبية، عرفا ماذا أعمل في مصر وأنني أكتب أدب رحلات، وهنا لمعت عين الكندية في إكبار قائلة You are an author?! أنت كاتب ولما أريتها نسخة من كتابي الأول (سفرنامة) أبدت إعجابها بشكله وعبرت عن سعادتها أنها بصحبة كاتب، وهو ما اندهشت منه المصرية ربما، للفرق الكبير في الثقافة بين الكنديين والمصريين، واطلعت المصرية على الكتاب

وأعجبت بالكلمة التلخيصية على غلافه - أو هكذا قالت - من باب المجاملة، ثم تناوبتا دخول الحمام لتبديل ملابسهما وخلدنا نحن الثلاثة إلى النوم، بعدما عرفت منهما خطتهما في الذهاب إلى سور الصين العظيم في الصباح فأخبرتهما بضرورة الاستيقاظ المبكر للحاق بالباص الأول وأخبرتهم كذلك بالطريق ومحطة المترو.

ولكن العجيب أنني في الصباح وجدت الفتاة المصرية لم تغادر وعلمت منها أنهما تحققتا من الأرصاد الجوية قبل الذهاب وعلمتا أن الطقس لن يكون مناسباً للتنزه بالسور ففضلتا التأجيل والذهاب إلى القصر أو المدينة المحرمة التي سبق وشاهدتها مع الشباب وبالتالي يعني هذا أننا لن نكون في صحبة واحدة، ولكني رافقتها إلى البنك لتبديل العملة حيث إنني بت أعرف مكان أقرب فروع البنوك من الهوستل والذي كان يبعد عنا عشرة دقائق سيراً على الأقدام. حينها تعارفنا أكثر، وسألتني نسخة (سفرنامة) مع إهداء فكان لها ما أرادت، وبعدما انتهينا من أمر البنك عدنا للهوستل مجدداً ليصبح كل واحد منا حر الحركة بحسب الخطة التي وضعها ليومه.

الحدوتة العاشرة : "نصباية"

عند الحديث عن لبنان كنت قد أشرت إلى مفهوم متكرر عند السفر بغرض السياحة وهو التعرض للخداع بشكل أو بآخر، وحجتنا في هذا أن "الغريب أعمى ولو كان بصير" وأنه يكاد يكون قاسمًا مشتركًا أن

تتعرض في كل بلد لما أسميته "ضربة القفا" الخاصة بهذا البلد، وكانت في الصين وبالتحديد في بكين على النحو التالي:

في اليوم الذي ذهبت فيه إلى شارع (وان فو جينغ) وشاهدت فيه الفيلم في السينما، يومها كانت اليوانات المتبقية معي أوشكت على النفاذ وبالتالي رغبت في الاستزادة بتحويل دولارات مرة أخرى، أسرعت في اتجاه البنك بجوار مخرج المترو ولكنه للأسف كان قد أغلق أبوابه بمجرد أن دقت الساعة الخامسة، هناك وجدت سيدة في أواخر الأربعينات أو أوائل الخمسينات من العمر تجلس على الدرج الخارجى للبنك، وبادرت هي بتحيتي ثم علقت قائلة إن البنك قد أغلق الأبواب توًّا، ثم سألت إن كنت أتحدث الإنجليزية فلما أجبتها بنعم، أسهبت هي بأنها هنا في رحلة بمفردها وأنها ترغب في الجلوس أو الكلام مع أي شخص "كلام فحسب عشان مخك ميروحش لبعيد☺" فهلا منحتها بعضا من وقتي وسايرتها في أحاديث عابرة على أن تعزمني هي على فنجان قهوة، اندهشت من الطلب وسرعان ما اعتذرت لها كاذبًا بأن أصدقائي ينتظرونني وأنني لن أتمكن من قبول دعوتها.

وبعدما انصرفت أنَّبتُ نفسي وشعرت أنني شرير إلى حد كبير، فهي سيدة تمر بأزمة نفسية وكبيرة في السن وقد ضاقت عليها الأرض بما رحبت وعدمت أن تجد ونيسًا أو شريكًا وهي في بقعة من العالم تحتوي على ما يربو عن المليار بنى آدم بمائات الملايين ! وأنني تسرعت عندما ظننت بمصريتي أن هذا قد يكون "شقطاً لى ☺" خاصة عندما عرضت دعوتى على فنجان القهوة هذا !، أنبت نفسي لأنني شعرت أني لم أكن

إنساناً بالدرجة الكافية ولم أكن رحيماً كذلك. ولكن أفكارى المتصارعة طمأنتني أنني فعلت هذا لأنني في البلد بمفردي وأنه ليس من الصواب أن أتحدث مع أغراب بهذه الطريقة، وأنه من الأفضل حال الحديث مع من لا نعرف في الغربة أن يكون زمام المبادرة وطرف الخيط في الكلام قد بدأ من عندي خاصة وأن رفقة الشارع تختلف عن الهوستل بالتأكيد، حيث يجمعنا في الأخير إقامة مشتركة وغرفة تحمل نفس الصفة أيضاً، أما هذه السيدة فلا علم لي ما إن كانت صادقة أم كاذبة وللأمر غرض آخر.

المهم أنني انصرفت إلى حال سبيلي ودخلت إلى المول وشاهدت الفيلم، ثم تناولت وجبة طعام في (ماكدونلدز) فرع (وان فو جينغ) ثم شرعت في المغادرة إلى محطة المترو للعودة إلى الهوستل مجددًا بعد يوم طويل تجاوز الاثني عشرة ساعة في الشارع منذ أن غادرت في الصباح.

وفي طريقي إلى المترو استوقفتني فتاة بملامح صينية، طلبت منى تصويرها بجانب أحد التماثيل الفنية المنحوتة التي تنتشر بطول الشارع، وهو طلب عادي عند التواجد في الأماكن السياحية بالطبع وبالتالي أجبتها لطلبها، وعندما أعدت لها هاتفها المحمول فتحت هي بإنسيابية باباً للحديث، فعرفتني بنفسها وأنها فتاة صينية من قرية كذا وأنها هنا في بكين قبل الامتحانات لأنها تريد أن تقوي نفسها في ممارسة اللغة الإنجليزية، وأن أحداً في قريتها لا يتحدث أي لغة أجنبية، لذلك سيكون من اللطيف والجيد لو أنني سمحت لها بمرافقتي سيرًا بعض الوقت لتتمكن من ممارسة اللغة التي تتعلمها، وافقت خاصة أن المسافة بين

موقعنا هذا وبين محطة المترو لن تستغرق أكثر من عشر دقائق سيراً بطيئاً.

ولكن بعد دقيقتين من السير، واستمرار الكلام، أثنت على لغتي الإنجليزية وطريقة نطقي، ثم بدلت طلبها لطلب آخر وهو أن نجلس في إحدى المقاهى ويحتسي كلٌّ منا مشروبًا على حسابه الشخصي لتكون لديها فرصة أكبر لمزيد من الكلام وممارسة اللغة خاصة أنني مرح - على حد قولها - وبالتأكيد ال"مغفل اللي هو أنا صدقتها☺ " ووافقت على طلبها، وعرضت عليها الجلوس في (ستاربكس كافيه) باعتباره الأقرب لنا في هذا الشارع، فقالت إنها لا تحب الأماكن الأمريكية، وتفضل المقاهي الصينية التقليدية، وأنه بالفعل يوجد أحد هذه المقاهي بنهاية الشارع. لم أعترض وطاوعتها خاصة وأنها قالت أن كل شخص سيحاسب لنفسه، وبالتالي لا توجد "تدبيسة".

وبنهاية الشارع انعطفنا يميناً لشارع جانبي مليء بالناس أيضاً وبالتالي لا داعي للخوف أو القلق وإن كان وقتها فأراً صغيراً قد بدأ اللهو والمرح في صدري ويحدثني أن بالأمر شيء.

صعدنا إلى حيث المقهى الذي اقترحته الحسناء الصينية ذات الشعر الأسود الفاحم، وأحمر الشفاه طاغي الحمرة والعينين الضيقين كأغلب الصينيين ! المقهى في الطابق الثاني وله شرفة مطلة على الشارع وهو ما فضلت الجلوس فيها، طلبت هي شايًا وطلبت أنا "بيبسي" من باب الحرص "عامل فيها مفتح ☺" وهي رغبتي في أن أشرب شيئًا مغلقًا فلا

يكون هناك مجال لدس مخدر ما وسرقتي وأنا نائم أو مُخَدر، وسرعان ما أتت الطلبات ومعها طبق من الكاجو وطبق آخر من الفستق.

شرعت اللعينة في صب الشاي الخاص بها من براد صغير إلى فنجانها، وتناولت بعضاً من المكسرات الموضوعة على المائدة، وفتحت أنا علبة المشروب الغازي وشرعت في الشرب منها، وأكملنا الحديث عن السينما الصينية وما تحبه الفتاة من أفلام وما إن كانت تحب السينما الأمريكية أم تأخذ منها موقفًا كما موقفها من المقهى الأمريكي.

مضى الحديث عادياً ثم لاحظت أن الوقت أوشك على النفاذ لا لشيء سوى للحاق بالمترو قبل أن يغلق أبوابه وأضطر حينها للعودة إلى الهوستل بتاكسي وهو ما لا أرغب فيه، طلبت أن ننهي الجلسة اللطيفة لأتمكن من اللحاق بالمترو خاصة وأن أصدقائي سينتظرونني بالمحطة هناك "كنوع من التأمين" فقالت لا بأس وأنها سعدت بصحبتي والوقت الذي تحدثنا به وطلبنا الحساب.

هنا أتى بورقة الحساب رجلٌ ضخم البنيان عريض المنكبين "شلولح☺[٤٣]" غير السيدة اللطيفة التي استقبلتنا وأحضرت الطلبات قبل قليل، وهنا اتضحت المكيدة، فحساب الشاي مائتى يوان وحساب البيبسي مائة وعشرون فقط لا غير ! ما هذا العبث علبة بيبسي عادية بثلاثمائة وعشرون جنيها!! "يا للهول على رأي يوسف بك وهبي" وهي

[٤٣] بالبحث لا يوجد للكلمة أصل لغوي ولكنها من الكلمات التي تحملها العامية المصرية وربما هى نتاج إحدى إيفيهات الأفلام.

نفسها التي تباع في السوبر ماركت بما لا يزيد عن ٥ يوانات، لماذا سأدفع فيها أنا كل هذا؟!

وقبل أن أفتح فمي بأي اعتراض وجدت الفتاة تخرج حافظة نقودها وتضع المبلغ المطلوب منها مقابل الشاي بأريحية تامة، ولكنني ظللت مطبقا على حافظة نقودي وأقول لها أنه بالتأكيد هناك شيء خطأ بهذه الفاتورة فمن المستحيل أن يكون حساب شاي ومياه غازية كل هذا المبلغ وأن هذا إما خطأ أو نصب فوجدتها تقول بهدوء تام دعنا نسألهم لنفهم منهم، فتحدثت مع عريض المنكبين هذا بالصينية ثم ترجمت قائلة إن هذا المقهى معه رخصة سياحية وأنه يقدم الطلبات بأسعار سياحية، لم أقبل بالتأكيد بهذا التفسير، وأجبتها في حدة، لا شأن لي أنا بهذا كله، خاصة وأنني كنت قد اخترت مكاناً معروفةٌ أسعاره وهي التي رفضته وأتت بنا إلى هنا، وأنني بالتأكيد لن أدفع هذا المبلغ، فأجابت أنني إن امتنعت عن الدفع فسأضع نفسي في مشكلة وسيتم استدعاء الشرطة وهذه تمثل جريمة أو مخالفة في القانون الصيني خاصة أن عريض المنكبين هذا كان يشير إلى لافتة موضوعة على الجدار أن أسعار المكان سياحية طبقاً للقانون ومكتوبة بالإنجليزية بالطبع، ولكني لم ألتفت لها عند دخولنا المكان.

أصبحت قلقاً فأنا لا أريد أن أتعرض لمشكلة وأنا بمفردي هنا، ولكن في نفس الوقت لا أقبل مطلقاً فكرة دفع هذا المبلغ مقابل علبة بيبيسي، ولذلك تمسكت بآخر أهداب الأمل في أن تكون الشرطة منصفة، فجمدت قلبي - كما نقول بالمصرية - وقلت لها فليطلب الشرطة أنا أرغب

في استدعاء الشرطة هذا نصب، وال"شلولح هذا" يبدو كالأبله الذي لا يفهم ما أقول ويتحدث الصينية فقط، فلما وجدتني مصرًا على عدم الدفع، أكملت دورها في المسرحية أو التمثيلية الهابطة بأنه إذا اتت الشرطة هي ستتركني وتنصرف لأنها قد دفعت حسابها، كما أنه لا يليق بها التعرض لأمور الشرطة "فتيات عائلات محترمات☺" وهي فتاة ريفية كانت في صحبة شاب أجنبي، وبالتالي ما إن أصررت على طلب الشرطة فهى ستخبر الرجل الصيني بأن يأتي بها ثم تنصرف هي، ثم أكملت كما أن الشرطة الصينية معظم أفرادها لا يجيدون الإنجليزية وبالتالي لن يفهموني وأن ما يحدث سيكون اصطحابي لقسم الشرطة لحين البحث عن ظابط يجيد اللغة هناك.

ثم كانت الضربة الأخيرة في هذه الجولة وهي أنها عرضت أن تدفع هي جزءًا وأدفع أنا الجزء الآخر وينتهي الأمر عند هذا الحد، فقلت لها أنني حتى وإن وافقت على اقتراحها هذا لا يعني هذا مطلقاً دفع ١٢٠ يوان، ولكن علينا التفاوض، فاستجابت هي وبدأت في المواء بالصينية من جديد مع الرجل ثم قالت لقد وافق الرجل على تخفيض المبلغ إلى ٨٠ يوان سأدفع أنا نصفها وأنت النصف الآخر، فوجدتني أنهض من على المقعد، فاتحاً حافظة النقود قائلاً لها ليس معي سوى ثلاثين يواناً فقط ولن أستطيع أن أدفع غيرهم، وأخرجتهم لها ووضعتهم على الطاولة وانصرفت في اتجاه السلم آملاً أن عريض المنكبين هذا لا يعترض طريقي، وهو ما لم يحدث والحمد لله، وسمعتها تقول وأنا موليها ظهري لا تقلق سأدفع أنا الباقي كانت فرصة سعيدة فأجبتها وأنا أنزل الدرج لا لم تكن كذلك.

غادرت مسرعًا إلى المترو للحاق به فأنا لست حمل المزيد من الخسائر في هذه الليلة، وبالفعل لحقته وعدت للهوستل وخلدت إلى النوم، المضحك أنني حينها كنت أشعر أن هذا قد يكون عقابًا إلهيا لأنني تخليت عن السيدة التي كانت في حاجة إنسانية لىّ حقاً.

وفي صباح اليوم التالي وبينما أنا في انتظار موظفة الاستقبال في الهوستل لتجيبني على كيفية الوصول لمكان ما، وحينها كانت هي مشغولة بتسكين نزلاء جدد، فإذ بى أتفقد لوحات معلقة في المكان، منها لوحات دعائية عن بعض الأماكن والمزارات ببكين وتكلفة زيارتها، وكذلك لافتة تحمل بعض النصائح والتي كان من ضمنها أنه يكثر في شارع (وان فو جينغ) أن تسألك سيدة عجوز تدعي الوحدة أن تمضي معها بعض الوقت ثم تدعوك لشرب فنجان قهوة ينتهي الأمر بأنها لا تملك النقود الكافية للسداد وتطلب منك أنت السداد، وفي حالات أخرى ليست متكررة تغافلك وتخدرك وتسرق حافظة نقودك وجوالك، أو أن تستوقفك فتاة حسناء تدعي تعلم الإنجليزية وتطلب منك صحبتها إلى مقهى صيني قديم وهناك يتم خداعك بفاتورة غير حقيقية. قرأت هذا وأنا فاغرًا فمي من الدهشة والغيظ، ثم انفجرت في الضحك وموظفة الاستقبال تظنني أبلهًا بالعربية و "أهبل☺" بالعامية المصرية بالتأكيد لو أنني كنت قرأت هذه اللافتة الموجودة منذ أن وصلت للهوستل ما كان حدث هذا، ولكن عزائي أن "النصباية" التي تعرضت لها - إن جاز التعبير - لم تكن مكلفة للغاية حد الألم أو الحسرة وأنني لم أستسلم للخديعة كاملة، وأنني تعلمت من تجربتي السابقة في لبنان وكنت على استعداد لطلب الشرطة هذه المرة،

صحيح أنني لم أفعل وتراجعت، ولكنه على كل الأحوال "قفا" ومر بسلام. و"الغريب أعمى ولو كان بصير".

دروسي المستفادة:

١- "يعيش المعلم ويتعلم ☺" بدلاً من المثل الشعبى المصرى "يموت المعلم ولا يتعلم".

٢- لا أخبر أحدًا أنني بمفردي ما دمنا قد تعرفنا على بعضنا البعض في الشارع .

٣- الحذر واجب.

ماذا عنك صديقي القارئ ..إن كنت مكانى كيف كنت لتتصرف ؟

....

....

الحدوتة الحادية عشر : لا يهمني دينك

تصادفت فترة إقامتي ببكين بمرور أيام الأسبوع ليكون من ضمنها يوم جمعة، رغبت في أداء الصلاة بالتأكيد وبحثت عن أقرب مسجد من مكان إقامتي، ووفقاً للبحث كانت النتيجة أحد المساجد والذي لا يحتاج الذهاب إليه سوى السير على الأقدام لبعض الوقت خاصة أنه واقع بين محطتي مترو. حاولت الاستفسار من موظفة استقبال الهوستل عن كيفية الذهاب فدلتني جزئياً ومع قدراتي وذاكرتي الجغرافية المبهرة - كما أنتم

تعرفونها- أدركت أنه سيتعين عليّ السؤال مجددا ولكن في الشارع بعد السير لبعض الوقت، وهو بالفعل ما حدث، لم أكن أسأل عن المسجد لأنه من خلال تجربتى المتواضعة في السفر اكتشفت أن الكلمة بالإنجليزية Mosque ليست معروفة أو منتشرة بقدر كبير، والمضحك أنه في بعض البلدان لم يكونوا يفهمونني عندما أسأل عن الكلمة بالإنجليزية ولكن متى سألت عن ال masjid أجدهم يفهمون قصدي ويدلونني عليه.

لم يكن الحال كذلك في بكين، ولذلك كنت أسأل على اسم الشارع الذي به المسجد لأصل هناك أولاً، ثم توقعت أنه سيمكنني تميّزه من شكله وهيئته، وبعد مدة من السير والسؤال توصلت إلى الشارع بالفعل، ولكني لم أستدل على أية مساجد في الشارع، وهو بالمناسبة كان شارعاً حيوياً ومليئًا بالأبراج السكنية الراقية والمحلات الفخمة، تفرعت بالسير في شارع جانبي لعلّي أهتدي إلى المسجد ولكنني لم أجده، ولكن وجدت شاباً أوروبي الملامح يسير بمفرده، فاستوقفته محيياً وسألته على العنوان الذي أريد وأجاب أنه يسكن هناك وأنه في طريقه إلى هناك بالفعل ويمكنني صحبته، فسألته باعتباره من سكان المنطقة أين يوجد المسجد الذي هناك؟ وأشرت له بكلمة للاستدلال وهي Muslim prayers place حتى ما إن كانت كلمة Mosque لم تمر به من قبل فيفهم قصدى من خلال الشرح، وسرعان ما أجاب أنه يسكن في هذا الشارع منذ فترة لأنه مبتعث للدراسة في بكين ولكنه لم يسبق أن رأى مسجدًا في هذا الشارع .

هنا توقف الشاب وأوقفني في الظل لارتفاع درجة الحرارة وقتها واخرج هاتفه الجوال واستخدم الإنترنت ليعرف عنوان المسجد تحديدًا. فعل هذا من تلقاء نفسه دون أن أطلب منه ذلك، وبالفعل قال وعلامات الدهشة تتضح على وجهه، ال GPS يقول أن المسجد في المكان كذا وأنا أمر على هذا المكان يوميًا ولكنني لم أرَ مسجداً. عمومًا دعنا نذهب إلى هناك ونستوضح الأمر.

سرنا لبعض الدقائق متجاورين نبادل أطراف الحديث عن بلداننا وسبب تواجدنا في الصين – وللأسف نسيت اسمه ومن أي بلد هو لأني أغفلت تدوين ذلك- وبعد دقائق وصلنا إلى المكان الذي حدده الإنترنت بخرائطه الدقيقة إلى حد كبير، فأشار الشاب إلى مبنى لا يختلف معمارياً عن المعابد البوذية فوقفنا مندهشين، ولكن دهشتى أنا زالت سريعًا بسبب لافتة صغيرة مكتوب عليها بالعربية والصينية اسم المسجد، فأخبرت الشاب الشهم أنه هو المسجد الذي أبحث عنه، فأجاب بدهشة "لعدة شهور أذهب وأعود من نفس الطريق وأمر به يوميًا وأنا أظنه معبداً للبوذين وليس مسجدًا للمسلمين، فهو لا يشبه المساجد التي أراها في بلدان أخرى أو حتى على التلفاز" فأجبته مبتسماً "لا عجب نحن في الصين"، وشكرته بشده لمساعدته الحسنة ودخلت إلى المسجد ثم تذكرت أنه كان معي علبة بسكويت في الحقيبة التي أحملها، وتمنيت لو أنني أهديته إياها كتعبير عن الامتنان، فهو لم يكن مضطراً لمساعدتي، كما أنه

لم يكن من أولئك مرضى الإسلاموفوبيا Islamophobia[٤٤]، ولم تؤثر عليه ال"ميديا" أو وسائل الإعلام التي تتفنن في تخويف العالم من الإسلام والمسلمين.

وعلى ذكر المسجد ذاته، هو من الداخل عبارة عن صحن مكشوف وعلى اليمين ميضأة جيدة، وعلى اليسار مكتب إمام المسجد والعاملين به أو القائمين عليه، وفي الواجهة باب زجاجي يفصل بين الصحن الخارجي غير المسقوف، ومكان الصلاة والمحراب ومنبر الإمام وكل هذا بالطبع مسقوف، السجاجيد كانت قديمة للغاية ومتهالكة ومفروشة فوق ألواح خشبية تصدر طقطقة عند السير فوقها، وبالتالي إجمالاً المسجد يبدو أنه متواضع إلى حد كبير وأن يد العناية الرسمية للدولة لا تتدخل فيه وأنه متروك للجهود الذاتية.

وبالرغم من أن موعد أذان الظهر قد مر منذ دقائق فإن غرفة الصلاة هذه فارغة تماماً وتخلو اللهم إلا مني واثنين آخرين ! أمعقول أن بكين لا يوجد بها مسلمون إلى هذا الحد، فخرجت من غرفة الصلاة تلك وتوجهت لغرفة الإمام وسألته بالإنجليزية لما عرفت أنه لا يجيد العربية

---

[٤٤] هو مصطلح من شقين إسلام و فوبيا أي الرهاب غير العقلاني أو مبرر من شيء ما، وبحسب ويكيبديا : دخل المصطلح إلى الاستخدام في اللغة الإنجليزية عام١٩٩٧ عندما قامت خلية تفكير بريطانية يسارية التوجه تدعى رنيميد ترست، باستخدامه لإدانة مشاعر الكراهية والخوف والحكم المسبق الموجهة ضد الإسلام أو المسلمين. رغم استخدام المصطلح على نطاق واسع حالياً، إلا أن المصطلح والمفهوم الأساسي له تعرض لانتقادات شديدة. عرف بعض الباحثون الإسلاموفوبيا بأنها شكل من أشكال العنصرية .آخرون اعتبروها ظاهرة مصاحبة لتزايد عدد المهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وربطها البعض الآخر بأحداث ١١ سبتمبر.

عن موعد صلاة الجمعة، فأجاب أنها بعد ساعة من الآن، فلما أبديت دهشتي لأن موعد الأذان قد مر فأجاب أنهم يتأخرون في بدأ خطبة الجمعة والصلاة حتى يتمكن الناس من المجيء والاستئذان من أعمالهم خاصة وأن اليوم ليس عُطلة كما في البلدان الإسلامية، حينها عدت لقاعة الصلاة مرة أخرى وانتظرت، حيث توافد بعد ذلك عدداً من الصينيين والآسيويين عمومًا ولم ألتق بعربي هناك سوى شخص يمني الجنسية .

أما الخطبة نفسها فكانت بالعربية ولكنها عربية غير تلك التي نعرفها أو نفهمها، فالإمام كان يقرأ من كتيب للخطب ومن الواضح أنه كُتب بطريقة كما ال Franco Arab[٤٥] وصراحة كانت أشبه بمواء القطط منها إلى اللغة العربية، ولكن الإمام يُشكر على أي حال أنه بذل جهداً جبارًا للنطق خاصة عندما انتهت الخطبة وقمنا إلى الصلاة وأثناء تلاوته للقرآن، ولا أعرف أين بعثات الأزهر من كل هذا ؟

[٤٥] الفرانكو آراب أو العربيزي أي دمج للعربية والإنجليزية معًا وهى طريقة كتابة مستحدثة تكتب الحروف العربية بأحرف لاتينية لم نستدل بالبحث عن متى ظهرت هذه الطريقة في كتابة اللغة العربية إلى السطح بدقة ولكنها كانت نتاج لمواقع التواصل الاجتماعي التي يكثر استخدامها من الشباب الدارسين في جامعات أجنبية أو حتى جامعات مصرية ولكن مستواهم فى كتابة اللغة العربية شديد السوء ، فبدلاً من الكتابة بأخطاء لغوية وإملائية لا تنتهي تم استحداث هذا النمط فى الكتابة وانتشر انتشار النار فى الهشيم، ولكن جدير بالذكر أنه في مشهد من فيلم القاهرة ٣٠ لصلاح أبو سيف كان هناك خطبة لسيدة المفترض أنها بحسب القصة تركية لا تجيد العربية فكتبوا لها الخطبة بالأحرف الإنجليزية كما الفرانكو حاليًا.



دروسي المستفادة:

١- البشر للبشر والناس للناس، فالشاب الأوروبي لم يتركني ويغادر لما عرف أنني مسلم أبحث عن مسجد، وإن كان قد فعل لم أكن لألومه لأنني أعرف أمرين الأول أنه يتعرض لآلة إعلامية جبارة تبث الأكاذيب وتنشر الخوف من كل ما هو مسلم، والثاني أن كثيراً من نماذج المسلمين في بلدانهم لا تمنح صورة جيدة عن ما يمثلونه ...الخلاصة أنه كثيرًا ما يكون كثير من المسلمين عبء على الإسلام ولا يجيدون تمثيله بشكل يجعلهم سفراء لقيمه في الخارج.

٢- أجمل ما في المساجد خارج مصر أنك لا تجد لافتة بجوار الباب تقول إنه في عهد الرئيس فلان والوزير علان تم افتتاح المسجد، المسجد لله ولا حاجة بهم إلى لافتات كهذه، على الرغم من أن الإسلام هناك أقلية ومن الطبيعي أن تظهر الدولة في صورة حامية الأقليات الدينية والتي توفر لهم مساحة في حي وشارع راقٍ لعمل مسجد ...ولكن يا للعجب الصينيين لم يفعلوا هذا[٤٦].

بكين...الصين حلوة

إلى هنا يتوقف شهريار (وأبحث عن شهرزاد ☺)عن حكي الحواديت، وسأحكي عن البلد ذاتها كالعادة ولكن قبل هذا لنتحدث عن الأمور الأهم في حال رغبت في زيارة الصين :

---

[٤٦] لا يعني هذا أن الصين بلد مرحب بالتواجد الإسلامي ، حيث إن هناك العديد من الانتهاكات التي ارتكبتها الحكومة الصينية تجاه مسلمي الأيغور وغيرهم أيضاً ، إلا أن المشاهدة المباشرة كانت عدم وجود لافتة رسمية للدولة إلى جوار المسجد.

١- التأشيرة: هي من التأشيرات التي يسهل الحصول عليها، ولا عجب في ذلك لكونها مركزاً تجاريًا واقتصاديًا وصناعيًا مثاليًا ويوفر للمستورد المصري أو غيره "لبن العصفور" إن أراد وبالتالي من المنطقي أن تكون إجراءات منح التأشيرة غير معقدة، حيث تحصل على تأشيرة زيارة مدتها ثلاثون يوماً بغرض السياحة من سفارة الصين بالقاهرة ويقتضي هذا تقديم أوراق كخطاب من جهة العمل أو سجل تجاري وبطاقة ضريبية إن كنت تعمل حرا، وكذلك كشف حساب بنكي بآخر ستة أشهر، ولكنني تمكنت من الحصول على التأشيرة بتكلفة مالية أكبر بعض الشيء عبر وكيل سياحي دون تقديم الورق السابق ذكره، فقط جواز سفر سارٍ وصورتان بخلفية بيضاء شريطة أن يكون جواز السفر يحمل Traveling history أي سبق السفر به والعودة لمصر عدة مرات وليس جوازًا خاليًا من التأشيرات والأختام.
ومن الجدير بالذكر معلومة "سماعي" لم أستوثق منها أن سفارة الصين في القاهرة باتت تطلب مؤخرًا لمن لم يسبق له زيارة الصين من قبل شهادة تحركات من مجمع التحرير بالقاهرة لآخر خمس سنوات.

٢- الإقامة : علّمنا تعويم الجنية المصري أن الإقامة لا داعي فيها للرفاهية ونزل بسقف طموحاتنا عند السفر للخارج إلى أنك ترغب في نهاية الأمر في سرير ومرحاض نظيفين بالتأكيد. وصدقني عندما تطول بك الجولات في الشارع ستجد نفسك تقول عن مكان الإقامة المتواضع هذا Home sweet home لمجرد أنك ستجد مأوى في نهاية اليوم، والهوستل الذي نزلت أنا به ويدعى Happy Dragon

Backpackers كان جيداً إلى حد كبير، فهو على مقربة من محطة مترو وهذا أمر ممتاز، كما أنه هادئ لا إزعاج فيه ويقدم غرفاً جماعية رباعية وبحمام خاص بالغرفة، وهو أمر غير متكرر عند الإقامة في هوستل. أو يمكنك البحث عبر موقع الاستضافة الشهير Couch surfing فإن وجدت عرضًا بالإقامة عند أحد فيها ونعم مع الأخذ في الاعتبار عناصر الأمان التي يقدمها لك الموقع من تقيمات الناس الذين تمت استضافتهم قبلك عند نفس الشخص.

٣- المصروفات: العجيب أن الصين خالفت توقعاتي في عدة أشياء كان من بينها أمر التسوق، حيث لم أجد أسواقاً في كل مكان أو عند بوابات محطات المترو كما أجد هنا في القاهرة، ولكوني لست من المهتمين بالتسوق خلال السفر فاقتصرت زيارتي للأسواق التي علمت طريقها مرتان لا ثالث لهما، وبالتالي يمكنني القول إنه بالإمكان وبميزانية محدودة ما لم تهتم بالتسوق أن تقيم بالعاصمة بكين وتتناول الطعام وتشتري المياه وتشاهد غالبية مزارات المدينة المهمة، ولنقل إن الميزانية هذه ثلاثمائة دولار وربما أقل أو أكثر بقدر بسيط.

٤- موعد الزيارة: هذا يعود إليك كما الحال في لبنان وتركيا ولما تفضله، إن كنت تفضل أجواء البرد القارس والصقيع والثلوج التي تنهمر على رأسك، إذا أشهر الشتاء هي الأنسب بدءًا من أواخر نوفمبر، أما إن كنت من مفضلي السفر بأمتعة قليلة فلا جواكت وملابس ثقيلة تجعلك تشعر أن حركتك بطيئة ومن محبي الخروج في أي وقت من الليل أو النهار، إذا فأشهر الربيع وامتدادها للصيف هو الأنسب لك، عن نفسي زرت بكين في شهر مايو وكان طقسًا ممتازاً طوال مدة

الرحلة فلا هو بالحر ولا هو بالبرد، كما لم تمطر علينا هناك طوال مدة إقامتي وهو أمر غير مضمون عند السفر لبلدان جنوب شرق آسيا.

والآن موعد الكلام عن مزارات بكين وأين يمكنك كسائح الذهاب؟ ولهذا إليك الأماكن التي توجهت لها خلال إقامتي هناك.

فضلاً عن شارع (وان فو جينغ)[٤٧] الذي سبق وحدثتك عنه عدة مرات، وهو شارع أوروبي الطراز والطابع ومليء بالبنوك والمحال التي تتخصص في بيع أشهر الماركات العالمية وكذلك المولات ودور السينما التي ستذهب إليها في المساء ما لم تكن تفضل الجلوس في الحانات والملاهي الليلية كما أسلفت، سيكون أول المزارات الهامة هو (سور الصين العظيم)[٤٨] والذي يمكنك الذهاب إليه عبر حافلات موجودة داخل موقف

[٤٧] يقع شارع وانغ فو جينغ للمشي في شمال شارع دونغتشانآن الشرقي، يتميز بالتاريخ العريق، ويعد أشهر الشوارع التجارية ببكين، حيث يستقبل حوالي ٦٠٠ ألف زائر يوميا، ومليون زائر يوميا أثناء ذروة العُطلة.

[٤٨] هو سور يمتد على الحدود الشمالية والشمالية الغربية للصينK واختلفت المصادر حول طوله فالبعض يقول ٨٨٠٠ كيلو متر ولكن موقع ويكيبديا يذكر أنه بطول ٢٤٠٠كم فقط ويعود تاريخ بنائه إلى ٢٢١ ق .م ويبلغ ارتفاع الأبراج ١٢ متر وبين كل برج وآخر ١٥٠ متر، وسور الصين العظيم هو أحد أهم مواقع التراث العالمي، ويعتبر سور الصين العظيم مشروعا دفاعيًا عسكريًا قديمًا بارزًا ونادرًا في التاريخ المعماري البشري. وبحسب ويكيبديا إنه رمز للأمة الصينية، بدأ بناء سور الصين العظيم خلال عهد الربيع والخريف وعهد الممالك المتحاربة قبل أكثر من ٢٠٠٠ عام. ويتكون من الحيطان الدفاعية وأبراج المراقبة والممرات الاستراتيجية وثكنات الجنود وأبراج الإنذار وغيرها من المنشآت الدفاعية.

لها ببكين، تذهب بك وتنتظرك لتعود إلى وسط العاصمة من جديد، وصراحة السور هو تجربة سياحية جميلة وفريدة، ففضلاً عن كونه من عجائب الدنيا السبع الجديدة[٤٩] وضخامته المفرطة والمنظر الساحر للجبل من فوق السور، هو حالة لا تتكرر من الجمال والسحر الذي كالعادة شهدت البشرية تعب وغصب أحيانًا لإكمال بناؤه.

ولكنه على أية حال يقتضي منك المهارة في المشي وبالأحرى في الصعود، حيث إن صعوده يستغرق وقتاً ويتطلب جهدًا لأنه يتم عبر درج غير مستوٍ ومباشر بل درج صخري وغير متصل في بعض الأحيان، ولكن تعب الصعود هذا سينسيه لك نسمات الهواء الباردة عند وصولك لبوابة دخول السور، وبمجرد رؤيتك للمنظر الخلاب الذي يقدمه لك السور، لذا استمتع متى صعدت لهناك بالبقاء أطول فترة ممكنة، ومتع نظرك بمنظر الخضرة الجميلة التي تحيط بك من كل حدب وصوب، وامنح الفرصة لرئتيك في استنشاق هواء منعشٍ ونظيفٍ بحق.

---

[٤٩] هو مشروع استثماري أطلقه منتج أفلام كندي من أصل سويسري يدعى برنارد فيبر وذلك من خلال شركة ربحية أنشأها باسم مؤسسة العالم المفتوح الجديد وهي شركة تهدف إلى الحصول على الأرباح من خلال إشراك الأفراد من مختلف أنحاء العالم للتصويت على قائمة عجائب سبع جديدة. وقد أشترك بالتصويت أكثر من ٢٠ مليون شخص.

والعجائب التى فازت هى : هرم تشيتشن إيتزا المكسيك - تمثال المسيح الفادي ريو دى جانيرو البرازيل- سور الصين العظيم- مدينة ماتشو بيتشو القديمة بيرو – البتراء بالأردن- الكولوسيوم بروما إيطاليا- تاج محل بآجرا الهند.

والجدير بالذكر أن مصر كان لها بالقائمة القديمة عجيبتان وهما الهرم الأكبر بالجيزة ومنارة الإسكندرية ، إلا أن الأخيرة دمرها زلازال كما تم تدمير خمس من العجائب القديمة ولم يتبق سوى الهرم الأكبر مع عجيبة أخرى وهو ما دفع الكندي إلى صناعة قائمة جديدة من العجائب وبالتصويت.

وعلى ذكر الهواء هناك، ستجده يفسد عليك أية مقاطع فيديو تريد تسجيلها حيث يغطي على الصوت ووضوحه. ومن الجدير بالذكر أن زيارة سور الصين العظيم متاحة من عدة نقاط ومنها واحدة تحتوي على تلفريك يجوب بك بمنظر بانورامي بين نقتطين من السور، كما أنه عند نقطة أخرى متاحة للزيارة تجد قطارًا يشبه ذلك الموجود في مدن الملاهي يمكنك استخدامه لمشاهدة السور في بعض أجزائه، ولكن هاتان النقطتان تشهدان تواجدًا كثيفًا من السياح ولذلك آثر الفلبينين الثلاثة زيارة السور عند النقطة التي تشهد أقل عدد ممكن من السياح ليتمكنوا من الاستمتاع بالمكان دون زحام وكذلك التقاط بعض الصور الجميلة دون ظهور الكثير من البشر في الخلفية، يا لهم من " فلبينين صيع يابا ☺"

من المزارات المهمة الأخرى ساحة أو ميدان (تيان آن من) أو (ميدان السماء)[٥٠]، تسمع وربما شاهدت أو زرت ساحة متحف اللوفر أو تلك الموجودة أمام برج إيفيل أو حتى ساحة الميدان الأحمر بالعاصمة الروسية موسكو ولكنها بالنسبة لي كانت المرة الأولى التي أسمع بها بهذه الساحة أو ذلك الميدان الكبير بحق، وهو متاح للمشاه بمساحة جيدة وله بوابات عليها علم الصين وصورة الزعيم الصيني الشهير "ماو تسي تونغ"

[٥٠] بني لأول مرة في 1417 وسُمّي بـ (تشينتيان مَن) وتعنى بوابة التعاقب السماوي، واعتبر بوابة الدخول الرئيسية للمدينة وكان المقر الرسمى للأعمال الحكومية ومقر سكن الإمبراطور والمسئولين الرئيسيين بالحكومة وحاشيتهم. تصل مساحته إلى ٤٤٠ ألف متر مربع، يُعد أكبر ميدان من حيث المساحة في العالم، يحتوي منتصف الميدان علي النصب التذكاري لأبطال الشعب، أما في شرق الميدان فيقبع متحف الثورة، وفي غربه يقع المتحف التاريخي، وقاعة الشعب الكبري.

الذي وقف في الأول من أكتوبر عام ١٩٤٩ معلناً قيام جمهورية الصين الشعبية.

وبعبورك البوابات تصبح داخل الساحة المفضية إلى (المدينة المحرمة)، باختصار هي واحدة من أهم المعالم التي من الضروري مشاهدتها في العاصمة بكين، وصدقني ستدهشك المساحة والأجواء ولكن ما إن كنت قد سمعت بمظاهرات[٥١] ساحة (تيان آن من) وسمعت ما حدث بها حينها سيتكدر صفو وجودك في المكان الذي شهد أنهاراً من الدماء على مرأى ومسمع من العالم دون أن يحرك ساكنا.

والجدير بالذكر أن الساحة والميدان الآن في قمة البهجة حيث يشهد عروض نافورة راقصة على أنغام الأغاني الصينية أو حتى مقطوعات من الموسيقى العالمية نهاراً وليلاً.

[٥١] فى منتصف إبريل ١٩٨٩، أطلق الطلاب الصينيون حركة احتجاج للمطالبة بإصلاح ديمقراطي وبوضع حد للمحسوبية والفساد في البلد. وقد دعم الحركة مثقفون وعمال واستقرت الاحتجاجات في ساحة تيانانمن، في قلب العاصمة. وبعد شهرين تقريبا من المظاهرات، أرسل النظام الجيش الصيني إلى الساحة لكسر الاحتجاج في ٤ يونيو ١٩٨٩. وخلال عدة ساعات، جرت معارك بين المتظاهرين الذين أقاموا حواجز على المحاور الكبيرة المؤدية إلى الساحة والجنود الذين حاولوا التقدم للسيطرة على المكان.وفى ليلة ٥ يونيو دخلت الدبابات إلى الميدان ودكت السيارات وكذلك المتظاهرين وكانت حصيلة "مجزرة ساحة تيانانمين" نحو مئات القتلى – من بينهم جنود – حسب الحكومة الصينية، عشرة آلاف وأربعمائة و أربعة وخمسون حسب عدة منظمات حقوقية، وتعد عملية فض الميدان هى الأكثر دموية وبشاعة فى العصر الحديث.

يمكنك بعد ذلك زيارة (المدينة المحرمة) أو Forbidden city[52] وهي على اليسار من ميدان (تيانامان) وهو عبارة عن القصر الإمبراطوري الذي استغرق تشيده ١٤ سنة، والذي يحتوي على عدد ضخم من المعروضات التاريخية الخاصة بالحضارة الصينية على مدى تاريخها الطويل، وهو الآن بمثابة متحف شامل للتاريخ الصينى، وبالطبع من حيث المعمار هو مبني على الطراز الصيني وهو طراز يفهمه المعماريون بالتأكيد أفضل مني، ولكنه لغير المتخصص تجد أنه طراز متكرر في دول جنوب شرق آسيا، فهو نفس الطراز الذي وجدته في تايلاند - على سبيل المثال - في قصر الملك هناك أو King palace لدرجة أنك إن التقط صورًا فوتوغرافية لك في كلٍّ من المكانين ربما بعد عدة سنوات وضياع التفاصيل من ذاكرتك بفعل الزمن لن تتمكن من تحديد أيهما كان في بكين وأيهما في بانكوك.

ولكن الشاهد في الطراز المعماري لديهم أنه مختلف وخاص بهم ومميز للغاية كما أنه بديع الشكل والهيئة.

كما يمكنك زيارة (القصر الصيفي) أو Summer Palace وهو لا يختلف معمارياً كثيراً عن قصر المدينة المحرمة وربما الاختلاف المعمارى هوموقعه الجغرافي الذي يجعله صيفيًا، ولكنه يمنحك مجالًا وفرصة

---

[52] والتي تعني المدينة القرمزية المحرّمة صنفته منظمة اليونيسكو ضمن التراث الثقافي العالمي . يعتبر من أهم الأماكن السياحية في الصين. لم تدرك أسرتا منغ وشينغ اللتان حكمتا الصين في القرن الـ١٥ الميلادي أن قصورهم الفخمة المعروفة بالمدينة المحرمة وسط بكين ستكون يوما من الأيام مستباحة للسياح بعد أن كانت محرمة على الشعب الصيني حتى إن ما في داخلها ظل مجهولاً بل مادة للخرافات والقصص والتأويلات إلى العام ١٩٢٥ عندما فتحت أمام الجمهور لأول مرة.

أخرى لتستمتع بالسير في الحدائق المليكة والقصور الإمبراطورية ومشاهدتها عن كثب وتخيل كيف كان يحيا الإمبراطور وحاشيته وسط هذه المساحات الشاسعة بل والمرهقة في التنقل من طابق لآخر أو من مكان لغيره داخل نفس القصر. المهم أنك ستجد أن زيارة هذه القصور مبهجة وستحصل على كمية صور فوتوغرافية لك هناك كثيرة، وإجمالاً" هتنبسط☺"

وعلى الرغم من أنني لست من هواة الذهاب إلى حدائق الحيوان بصفة عامة، ولا أحب فكرة حبس الحيوانات وتقييد حريتها لا لشيء سوى لاستمتاع بنى آدم والذين تصدر منهم تصرفات دموية ودنيئة في كثير من الأحيان، فإنني لم أستطع التخلي عن الفضول عندما علمت أن بحديقة حيوان بكين يوجد "نادر الوجود" أو "دب الباندا"، ولكون الحديقة وسط العاصمة ويسهل الوصول إليها عبر المترو ولكوني بمفردي بعد مغادرة الفرسان الثلاثة كما يحلو لى تلقيبهم، فقررت الذهاب.

وهي بجدارة تستحق لقب ووصف حديقة حيوان، هي حديقة جميلة وأنيقة، وكبيرة للغاية، شديدة النظافة فلا تجد قاذورات أو مخلفات من الزائرين ملقاة على الأرض ولا رائحة سيئة للحيوانات، كما أن أقفاص الحيوانات نفسها كبيرة المساحة وتُتيح لها قدرًا جيدًا من الحركة خاصة بيت الأسد ولن أقول قفص الأسد، حيث إنه بيت كبير بالفعل، جزء منه مسقفوف ليحميه من المطر أو الشمس بحسب الطقس.

والخلاصة أن الحديقة هي نموذج لمفهوم الإحسان في معاملة الحيوانات وهو ما نفتقده هنا في مصر للأسف وربما يكون هو سبب عدم حماسي لفكرة حدائق الحيوان إجمالاً.

وبعد السير في الحديقة لبعض الوقت ومشاهدة الحيوانات النظيفة، لم يتبق لي سوى الباندا، والتي هي في بيت خاص بها وبتذكرة منفصلة عن تذكرة دخول الحديقة، وهناك وجدت أربعة حيوانات باندا يسيطر الكسل عليهم جميعاً أو ربما كانت زيارتي وقت "تقييله العصاري". فكانوا في حالة خمول ولا يستجيبون أو يعبأون بأولئك من الكبار والصغار الواقفين لتصويرهم.

ومن الجدير بالذكر أن الحديقة شاسعة الاتساع، وأنه لولا اللافتات الإرشادية ستضل الطريق في الأغلب، كما أنها بمثابة جنة وارفة الظلال ممتدة الأشجار "إذا ما وصفنا بالعربية التي اعتدنا عليها في الكتب المدرسية" هي باختصار ما سجلته في مقطع فيديو وقتها، نموذج لذلك المكان الجميل الذي كان يسير فيه الممثلان :أحمد عز وماجد الكدواني في إحدى حملات الدعاية والإعلان لمجمع سكني يعزل الأغنياء عن الفقراء كما أصبحت العادة حالياً.

في الإعلان إياه المفترض أنهما يسيران وسط حدائق ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية والمكان ينال رضا وإعجاب كلاً منهما ويتمنى أحدهما أن لو في مصر مثل هذا المكان فيخبره الآخر أنه موجود ومتاح بالفعل في ذلك المجمع السكني الجديد والراقي بالطبع.

والمحزن في الإعلان أن حدائق كاليفورنيا هذه هي حدائق عامة ومفتوحة أمام الجميع، الغني منهم والفقير كلاهما يستطيعان الاستمتاع بجمال الحديقة وأشجارها وخضرتها وبحيراتها، وكذلك هي حديقة حيوان بكين لأنها بتذكرة عادية وليست مقتصرة على فئة معينة كما المجمع السكني المُعلن عنه.

يتبقى أمرًا واحدًا في الرحلة وهو المجمعات التجارية أو المولات كما بتنا نعرّبها، فعلى الرغم من كون الصين دولة شيوعية من الطراز الأول وأن شيوعيتها هذه كان يُفترض فيها الاشتراكية وهي التي تتنافى والرأسمالية الصارخة التي نراها في كثرة المجمعات التجارية التي تعتمد على الطابع الاستهلاكي في الأساس، فإن بكين تحتوي على عدد لا بأس به من هذه المولات، بل إن المولات التي احتلت المركز الأول والثاني عالميًا من حيث المساحة كانت في الصين، فالمركز الثاني كان من نصيب مول Golden resources في بكين والمركز الأول حصل عليه مول دنجوان ويا للعجب ! أظن أن لو ماوسى تونج بعث من جديد لاندهش من الصين التي لن يعرفها بالتأكيد!.

كان ما سبق عن المشاهدات والأماكن التي أرشحها للزيارة بقى الانطباع عن البلد والناس، وهو ما يمكن اختصاره بكلمة واحدة وحيدة وهي "مفاجأة". كانت بكين مفاجأة حقيقية بالنسبة لي بكل المقاييس فأولاً توقعي أنني في دولة المليار والثلاثمائة مليون بحسب إحصاء عام ٢٠١٦ وبالتالي التوقع الأول هو المعاناة من الزحام الرهيب، والعجيب في الأمر أن الزحام الوحيد الذي قد أكون قد عانيت منه هو الزحام في المطار

وشبابيك الجوازات نظراً لكثرة زائري الصين بالطبع، أما دون ذلك فلم أشعر أنني في مدينة مزدحمة، ولا يعني هذا بالتأكيد أنها خاوية على عروشها، لا ليس الأمر كذلك ولكن يمكنني القول إنها ليست مزدحمة كما تشعر بالزحام في القاهرة مثلاً، وتفسيري للأمر - وهو مجرد تخمين لا معلومة - يتعلق بالمساحة الجغرافية التي يتوزع عليها السكان، ونحن في مصر نفعل كما إيفيه المسرحية الشهيرة "سايبين الشقة كلها وقاعدين في أوضة ☺"، على الرغم من اتساع مساحة جمهورية مصر العربية فإن توزيع التواجد السكاني يجعلنا في شريط ضيق من المساحة.

وعلى ذكر وسيرة الزحام فحتى مترو بكين والذي لا تنتهي حكاياته فهو على زحامه لم يسبق لي أن ركبته واستخدمته وكان كما بعض محطات مترو القاهرة كما المرج أو حلوان أو التحرير أو الشهداء حيث أحياناً ما تجد نفسك مضطرًا للوقوف على قدم واحدة متفادياً إنزال الأخرى على قدم أحدهم بجوارك، ربما أكون مخطئًا وربما تكون المحطات التي نزلت فيها أو ركبت منها ليست محطات مركزية كتلك التي ذكرتها في مصر خاصة وأننا لا نتحدث عن مترو بخط واحد أو اثنان أو حتى ثلاث خطوط ولكننا نتحدث عن شبكة مترو بستة عشر خطاً مختلفاً، الأمر الذي لن أقول لك أنه أشبه بمتاهة بل هو متاهة بالفعل ما لم تكن تعرف في أي محطة تنزل وعند أي محطة تبدل الخط، وهذا دلالة في حد ذاتها على كبر مساحة العاصمة الصينية للدرجة التي يحسن معها توزيع التواجد السكاني فلا تشعر بزحام خانق.

وما زلت أتذكر وقوفي أمام الخريطة التي هي أشبه بأفعوانية كبيرة متداخلة ومتشابكة ومتعددة الألوان، وأمر بأصبعي على الخط الذي أريد لأحدد المحطات التي يتقاطع فيها هذا الخط مع خط آخر بمحطات أخرى أرغب في النزول بإحداها، وأحياناً ما كنت أبدل الخطوط ثلاث مرات أو يزيد، وصراحة كنت لا أحمل عبء استخدام المترو طوال مدة تواجد الفلبينين الثلاث وصحبتي لهم لأنهم كانوا يعرفون الخطوط وأي المحطات ننزل وأيهم نبدل بفضل الإنترنت دون الحاجة لاستخدام الخرائط المعلقة بالمحطات، ودون الحاجة لسؤال أحد الركاب أو الموظفين هناك.

والمترو هناك نظيف وأنيق رغم كثرة عدد مرتاديه، وتناول الطعام والشراب به ممنوع ويعتبر مخالفة تستوجب الغرامة، ليست بكل المحطات هناك بوابات أمان على الأرصفة كما في دول أخرى، ولكن كل المحطات كانت بها شرطيات أو شرطيين يقفون على درج مرتفع متحرك كل عدة أمتار من الرصيف ومعهم صفارة يستخدمونها للتنبية إذا ما اقترب القطار من دخول المحطة حتى ينتبه الناس ويعودون إلى حيث النقاط المرسومة على الأرض ولا يتجاوزونها حفاظاً على سلامتهم، وهو ما يفعله الناس من تلقاء أنفسهم في أغلب الأحيان.

أما عن المسافات داخل المحطة الواحدة فحدث عنها ولا حرج، لذلك تحرص كل الجهات أو الأشخاص عندما يدلونك على عنوان ما أن يخبروك ما هو ال Nearest Exit أو المخرج الأقرب لك لأنك إن خرجت من مخرج آخر غير ذلك الذي حددوه لك ستكون كمن يمشي عبر خط رأس الرجاء الصالح.

ومن الطريف أنني اذكر أنه عندما أعود بمفردى ليلاً والمحطة تخلو من الناس وأثناء سيرى تحت الأرض لمسافات كبيرة للخروج من المخرج القريب من الهوستل كنت أغني أو أدندن أغنية قديمة لنادية مصطفى وهي أغنية "مسافات بينى وبينك مسافات".

والجميل الذي شاهدته هناك أن أنفاق المترو التي هي تحت الأرض ليست معتمة سوداء أو رمادية المنظر كما هي العادة ولكنها تمتلئ بالإعلانات ذات الإضاءات المبهرة تحت الأرض، "وهذا جزء من الثقافة الاستهلاكية للكوكب حالياً، وهو عدم ترك أي فرصة أو مكان حتى وإن كان نفقًا تحت الأرض إلا وحاصروك بالإعلانات" ولكنه أمر على كل الأحوال جديد وجميل وجذاب للعين.

آخر حكايات المترو - لأنني أطلت في الكلام عنه - يتعلق بطبيعة الدولة نفسها، نظام شمولي بوليسي بامتياز، ولذلك كانت الصين من الدول القليلة التي نُصحت فيها بالسير بجواز السفر طوال الوقت وعدم تركه في الهوستل، والسير بصورة ضوئية منه كما أفعل في أي بلد أزورها، وبالتالي عند السفر للصين يصبح السير بجواز السفر نصيحة حتمية، أو كما يقول الإنجليز It's a must وذلك لأنك ستجد في لمح البصر عند مخارج المترو أو حتى عند البوابات الإلكترونية التي تقرأ الكارت لخصم تكلفة الرحلة، ستجد الكثير من اللجان الشرطية بزي مدني "مباحث" يستوقفون الركاب لتجد أن المحطة أصبحت مزدحمة للغاية في صفوف طويلة تنتهي عند عربة المترو، ويختارون البعض عشوائياً لفحص هوياتهم، وكثيراً ما شاهدتهم يستوقفون بعض الشباب في غرف جانبية

ويفتشونهم ذاتياً "وهكذا هي الدول البوليسية لا شك"، وفي بعض المرات سألني الضابط أو "المخبر☺ " عن جواز السفر وبمجرد إخراجي له الجواز من الحقيبة يدعني أمر دون النظر فيه من الأساس، وفي بعض المرات كان يطلب النظر على الصفحة التي بها تأشيرة الدخول فيراها ويتركني أغادر في سلام.

أما عن جواز السفر، فهو ضروري لأنه وسيلتك الوحيدة لتبديل العملة من البنوك كما أسلفت في الحواديت، وليس هذا فحسب بل لن تتمكن من حجز المزارات السياحية إلا به، وأذكر أننا كنا نحجز تذاكر (المدينة المحرمة) وكنت واقفاً في طابور أمام شباك الحجز وبجواري "جيمس" يتحدث معي ولكنه خارج الطابور وتركنا الفتاتان تجلسان بعيداً في الظل والمفترض أنني سأحجز أربعة تذاكر فلما أتى دوري وقلت للموظف أربعة تذاكر من فضلك، طلب مني جواز السفر فلما أخرجت له جوازي طلب الثلاثة الآخرين فذهب "جيمس" مسرعاً ليأتي بجوازه وجوازات الفتيات منهن. ولهذا يصبح السير هناك بجواز السفر أمرًا حتميًا، ولكن نصيحتي هو وضعه داخل حافظة بلاستيكية لتحمية من أية مخاطر قد يتعرض لها.

فيما يخص الطعام، فإن كنت سبق وقرأت لي من قبل فبت تعرف أنه لا طاقة لي على تجريب ما لا أعرف خاصة أنني لا أعرف المكونات وما إن كانت مناسبة لي من الناحية الدينية أم لا. ولكن الجدير بالذكر مثلاً ما رأيناه أنا والشباب الفلبينيين في شارع جانبي متفرع من شارع (وان فو جينغ) حيث وجدنا باعة متجاورين يبيعون الصراصير

المشوية وكذلك العقارب والنمل المشوي أو المقلي والجراد وربما الأبراص كذلك – لست متأكدًا- الأمر كان جنونيًّا في هذا الشارع بالنسبة لي، بل مقرف ومقزز حد الغثيان، وعلى الرغم من هذا فلا يمكنني أن أصف لك زحام هذا الشارع، فهو يعج بالبشر الآكليين لهذا الطعام في نهم وبشهية مفتوحة، هذا طبعا وسط رائحة قوية للبهارات التي تضاف لهذا الطعام الذي منه ما يُعد طازجاً بل "صاحي وبيلعب".

كان موقف الشباب كموقفي من هذا الطعام وأخبروني أنهم لا يتناولون هذه المأكولات في الفلبين ويعدونها حشرات لا طعام، صحيح أنها لم تكن مرتي الأولى التي أشاهد فيها هذا المشهد حيث كانت المرة الأولى في تايلند وفي العاصمة بانكوك التي هي مركز عجيب لما يعرف بال street foodأو طعام الشارع، حيث شاهدت فتاة تعرض على صديقتها مشاركتها في تناول عصا من الصراصير إلا أن صديقتها لم توافق ورفضت عرضها ولا نعلم أرفضته قرفاً أم شبعاً "يعنى كانت لسة واكلة صراصير أوعقارب هي الأخرى☺" .

وعلى ذكرهذا الطعام دعني أخبرك أنه طعام موفرحيث إنه متاح أن تتناول وجبة من هذه الحشرات من أول ٢ يوان وحتى عشرة يوانات وهو مبلغ ليس بالكبير بالطبع.

أما عن مسألة تناولهم للكلاب في الصين، فهذه لم أرها بعيني ولم أستوثق منها وما تزال محض معلومة سماعية نعرفها عنهم هناك.

وبالمناسبة هذا الشارع الجانبي والذى أسميته "أبو صراصير" يتفرع منه شارع جانبي طويل آخر يكثر فيه ويتجاور بائعي الهدايا والتذكارات الصينية، وكان من العجيب بالنسبة لي أن ينتهي المقام بجورج د.بوش الابن وأسامة بن لادن ومعمر القذافى متجاورين بعضهم إلى بعض ليس في الحقيقة بالطبع ولكن عبر صورهم المطبوعة على أوراق اللعب "الكوتشينة"، وأعتقد أن كلاً منهم وخاصة ابن لادن لم يكن ليتوقع أن صورته ستكون متاحة على "كوتشينة" في يوم من الأيام فوق فراشة بائع صيني، هذا بالإضافة إلى صور فتيات عاريات تماماً دون حتى ورقة التوت على أوراق لعب أخرى، وأظن أنه لن يوجد أحمق ربما سيريد أن يلعب الورق بصورة ابن لادن تاركاً الجميلات العرايا.

أما عن المرور كالعادة في أغلب أو كل البلدان التي زرتها حتى الآن هو مضبوط كالساعة، لا عبور عشوائي للطرق، والطرق ذاتها بأسفلت جيد للغاية ولا تعرف معنى المطبات الصناعية، وبحارات مرورية واسعة ولذلك لن تتمكن من العبور إلا عندما تتحول الإشارة للضوء الأخضر للمشاة والأحمر للسيارات والمركبات، كما أنه توجد حارة خاصة بامتداد وطول العاصمة تقريباً لقيادة الدراجات التي هي هناك وسيلة مواصلات حقيقية ذات رواج، فالكثير من الشباب والرجال والفتتيات والسيدات من مختلف الأعمار يستخدمونها، حيث تتيح لهم المدينة قيادة آمنة للغاية ما دامت هناك حارة خاصة بهم، وهم في مأمن من السيارات المسرعة، كما أنها رياضة في ذات الوقت وتقلل الضغط على المواصلات العامة، ولا يعني هذا أن الجميع يملك دراجات هوائية، ولكن الجميع يستطيع استخدامها في أي وقت حيث توفر الدولة دراجات بمواقف خاصة بها

يمكنك استخدام أيٍّ منها بمجرد إتمام عملية إلكترونية بسيطة، عبر تطبيق على جهاز التليفون المحمول، حيث يتم خصم مبلغ بسيط – تقريبا ١٠ يوان- عند فك الدراجة من مكانها، وبمجرد تركها بأي موقف آخر خاص بالدراجات، تعود اليوانات العشرة إلى حسابك من جديد وبالتالي تكون تحركت مجانًا.

بالطبع رغبت أنا والشباب في تجربة قيادة الدراجات هناك ولكننا لم نتمكن من تحميل التطبيق على هواتفنا، وعلى ذكر التطبيقات، لك أن تعرف أن تطبيق ال we chat هذا الذي تحدثت عنه في بداية الكلام عن الصين ليس فقط تطبيقاً بديلاً عن تطبيقات التواصل الاجتماعي ولكنه محفظة مالية إن جاز القول، حيث يمكنك أن تدفع من خلاله كافة فواتيرك كاستهلاك الماء والكهرباء والاتصالات، كما أنه يمكنك أن تشتري من خلاله أي شيء من أي مكان، فبالإمكان شراء بدلة من محل مثل Concrete مثلاً دون الدفع النقدي أو حتى باستخدام الكروت البنكية، كما يمكنك - وهو ما رأيته بأم عيني - أن تشتري جوارب "شرابات" من بائع متجول يقف بفراش في الشارع عبر هذا التطبيق، حيث اشترى رجل أمامي من بائع ولم يدفع له أية نقود واكتفى أن أخرج كلاً منهما هاتفه وأتمم عملية التحويل عبر التطبيق. وهكذا تخلت الصين أو في طريقها إلى التخلي إن شئنا الدقة عن المعاملات المالية النقدية المباشرة واستبدلتها بالإلكترونية.

وعلى ذكر المعاملات المالية، لك أن تعرف أن الصين هي واحدة من أكثر البلاد التي يكثر فيها قرصنة الحسابات البنكية لذلك لم يوافق موظف البنك الذي أنا من عملائه عندما تحدثت إليه هاتفياً طالباً تفعيل البطاقات البنكية التي معي للسفر إلى الخارج ما إن علم أن وجهتي هي الصين، وأخبرني أنه إن شئت سيكون هذا الأمر على مسئوليتي الشخصية؛ أي لو حدثت أية قرصنة وتمت سرقة المبلغ المتاح في البطاقة سيكون البنك غير مسئولاً بالمرة عن هذا، لذلك لم أتحمل المخاطرة ولم أقم بتفعيل البطاقات البنكية التي كانت معي قبل السفر واعتمدت على المال النقدي الذي كان معي فقط لا غير، هذا بالإضافة إلى أن الصديق والرفيق أحمد فوزي منحني مشكورًا إحدى كروته البنكية والذي كان يحتوي على مبلغ ليس كبيرًا حتى ألجأ إليه إذا ما تعرضت لأي طارئ ولن نخسر كثيراً إذا ما تعرض الكارت نفسه للقرصنة.

أما عن الناس أنفسهم فما سأقوله مجرد ملاحظات عامة، وليست دراسة اجتماعية بطبيعة الحال. هم في عجلة من أمرهم ترى هذا واضحاً في طريقة سيرهم في الشارع، كل واحد منهم في حاله وشأنه الخاص ولا يعيرون الناس اهتماماً. كثيراً ما يمشون واضعين كمامات طبية على وجوههم وقد فعلنا مثلهم أنا والشباب في بعض الأحيان خاصة عند ركوب المترو، وهذا يدل على أن الوعي الصحي لديهم جيد، وعلى الرغم من هذا فإنني لا يمكنني أن أقول أن ال personal Hygiene أو معدل النظافة الشخصية لديهم عال، صحيح أنهم لا رائحة لهم كما بعض شعوب جنوب شرق آسيا ولا داعي لتسميتهم هم معروفون وسمعتهم سبقاهم☺" إلا أن في الصينيين عيبًا مزعجًا للغاية وهو أنهم

كثيروا البصق في الطرقات والأماكن العامة، ويا ريت الأمر اقتصر على البصق فحسب ولكنه تعدى ذلك إلى إخراج ما في أنوفهم كذلك دون استخدام محارم أو مناديل ورقية أو حتى من القماش، ويبدو أن اختراع ال"كلينكس" لم يسمعوا به للآن ولتتخيل فداحة الأمر، أن هذا لا يقتصر على الشارع فقط ولكن داخل المولات الراقية وحتى داخل المطار الأنيق، حيث تجد أحدهم مشى إلى أقرب صندوق قمامة "كتر خيره الراجل يعنى☺" ومسك أنفه وأفرغ ما فيه عند الصندوق وشكرًا له أنه لم يفعلها دون التقيد بمكان صندوق القمامة وهو ما يفعلونه عند البصق، حيث وجدت شخصاً ونحن في انتظار صعود طائرة العودة إلى القاهرة، يبصق في أرضية المطار الأنيق بالفعل ولسان حالي يقول له "يا معفن".

وبعيداً عن كل هذا القرف، ستندهش عندما تعلم أنهم في المتنزهات والحدائق العامة، وهي كثيرة ببكين على الرغم من تصنيفها كواحدة من المدن الأكثر تلوثا، تجد مجموعة من الناس يرقصون على أنغام أغنية أو موسيقى راقصة عبر سماعات محمولة مكبرة للصوت أو يمارسون بعض تمرينات الأيروبكس في بهجة وسعادة.

ومن اللافت للنظر أيضاً، أن الصدفة التي قادتني إلى أحد الأحياء المفترض أنها فقيرة هناك، كانت البيوت المتجاورة ذات الطابق الواحد، لا تشعرك بأيٍ من سمات الفقرعلى الإطلاق بل صراحة كانت أشبه ببعض شوارع حى المعادي في القاهرة من حيث النظافة والتشجير، لا يعنى هذا أن الصين مدينة فاضلة والفقر لا يعرف لها سبيلاً، لا ليس الأمر كذلك

حديثي هنا فقط عن العاصمة بكين والتى من الوارد جداً أن يكون بها أحياء فقيرة وتظهر عليها سمات الفقر وبؤس الحال ولكنني لم أرها.

وحيث أننى قد قلت فى أول الفصل أنني سأعقد مقارنة بين السفر المنفرد والسفر بصحبة فها هى باختصار شديد مع التأكيد على أن كليهما جميل ولكل مذاقه الخاص:

١. فى الأولى أنت ملك زمام الرحلة ، أنت من يقرر متى تستيقظ ومتى تغادر الفندق وأين تذهب وماذا تفعل ، فى الثانية أنت واحد من المجموع وعليكم أن تتفقوا ويقتضى الأمر فى كثير من الأحيان تقديم بعض التنازلات كأن تستيقظ وأنت ترغب فى المزيد من النوم أو الذهاب إلى معلم لا تجد نفسك متحمس لمشاهدته بدرجة كافية.

٢. فى الأولى لديك مساحة أكبر فى التعارف على أناس جدد وتكوين صداقات أو معارف جديدة والاطلاع على ثقافات مغايرة لما اعتدت عليه وفى الثانية أنت ستستغنى بصحبتك وأصدقائك عن التعارف على أناس جدد وبالتالى يقل ثراء الرحلة الإنساني.

٣. فى الأولى في أغلب الأحيان ستنتهى المعرفة بينك وبين من قابلت بسفرك وعودتك لبلدك أو سفره هو أيهما أقرب صحيح قد يبقى بعض التواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي ولكن فى أغلب الأحوال ستنتهى الأحداث عند هذا الحد أما فى الثانية ستجد

أنك تصنع تاريخًا مشتركًا بينك وبين أصدقائك لا يُنسى ولا يُقدر بثمن.

وبالعودة للصين هناك حكايات ووثائقيات عن الوجه الآخر للبلد غير هذا الذي رأيته، وجهاً بشعاً في تشغيل العمال دون حقوق ودون مراعاة لأبسط قواعد الإنسانية، وعن قرى صينية مليئة بالاعتداء على النساء ويغيب عنها الأمن، ما مدى دقة هذا الكلام لا أعلم صراحة ؟ والعهدة فيه على من رواه أو أذاعه في قنوات تلفزيونية وثائقية، أما ما رويته أنا فهو ما شاهدته أنا ....حيث كنت كما غنى عبد الوهاب قديما "يا مسافر وحدك" .



البوابة الرابعة

يا مسافر وحدك

"كلاكيت تاني مرة"

HOLLYWOOD
PRODUCTION
DIRECTOR
CAMERA
DATE SCENE TAKE



الحدوتة الأولى : "بعد شوقة"

كان قرار سفري هذه المرة بعد طول غياب نسبي عن السفر لأسباب مختلفة، وما إن توافرت بين يدي بعض النقود وأمسكت أصابعي بتلابيبها حتى أسرعت في اتخاذ القرار بالسفر والتنفيذ دون فترة طويلة من الترتيب أو الإعداد كما بعض مرات السفر السابقة...فهذه السفرة جاءت كما نقول بالعامية المصرية "بعد شوقة".

ولكن يبقى السؤال أين تكون وجهتي هذه المرة؟ ومن هي رفقتي أو صحبتي ؟!

أما عن السؤال الأول، فإجابته أن الوجهة هذه المرة لبلدٍ لا تحتاج لمجهود للحصول على تأشيرتها حيث لا طاقة لي على إنهاء الأمور الورقية ولا حسابي في البنك يمنح السفارات بعض الثقة في قدراتي المالية، وبالتالي كان الخيار بين عدة دول فاضلت بينها واستقررت على هونج كونج، أعلم أن البعض سيظن أن بالأمر تكراراً وأنها الصين كما الرحلة السابقة ولكن صدقوني هذا ليس صحيحًا على الإطلاق والحواديت القادمة ستكشف هذا.

أما عن الصحبة، فهذه المرة هي المرة الأولى التي أخطط فيها للسفر دون صحبة، صحيح سبق وفعلتها وسافرت دون رفقاء ولكنهم كانوا موجودين في التخطيط ثم انسحبوا مثلاً في الوقت بدل الضائع كما حدث في رحلة الصين، أما هذه المرة فكانت المرة الأولى تمامًا في اتخاذ القرار والعزم والتنفيذ منفرداً، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى لعام ١٤٣٩

هـ /٢٠١٨م بأيام واستمرت حتى نهاية العيد أي منذ عدة أشهر.وكما التلفزيون المصري قديماً عند نقل حدث ما على الهواء مباشرة ....فإلى هناك.

الحدوتة الثانية: تحقيق

حتى كتابة هذه السطور – ولا أعلم كيف سيكون الحال عند نشرها أو قراءتك لها- يمنحك جواز السفر المصري بالتنسيق مع هونج كونج حق السفر مباشرة لها والحصول على التصريح بالدخول هناك دون الحاجة إلى تأشيرة مسبقة، ويكون هذا التصريح لمدة طويلة نسبياً، ثلاثة أشهر بالتمام والكمال، وبالتالي هي تأشيرة نطلق عليها معشر المسافرين Hassel free أي خالية من "وجع الدماغ".

بالفعل وصلت إلى مطار القاهرة الدولي ووقفت أمام ضابط الجوازات الذي كان على وشك طرح عدد من الأسئلة عن سبب السفر وتوابع تلك الأسئلة لأنه وجد أن جواز سفري فارغ تمامًا يخلو من التأشيرات والأختام حيث كان جوازًا جديدًا وهذا هو استخدامه الأول ولكن ما جعله يتراجع عن هذه الأسئلة ويختم لي بالمغادرة في صمت هو أنه وجد جوازي السابق ملتصق بالجديد ففحصه ووجد عليه عدد لا بأس به من التأشيرات والأختام المختلفة فاطمئن أنني مسافر بشكل طبيعي وانتهى الأمر عند هذا الحد.

ولكن الحال لم يكن هكذا عند الوصول إلى هونج كونج، فبعد رحلة طويلة نسبياً بسبب الترانزيت في دبي وصلنا إلى مطار هونج كونج الدولي في العاشرة مساءً، ذهبت في اتجاه الجوازات ووقفت في الطابور ووجدت أن الأمر لا يستغرق سوى ثوان معدودة مع كل زائر وينتهي من الحصول على التصريح بدخول البلد، ولكن لما أتى دوري وجدت الضابط يتفحص الجواز ثم يضغط على زر استدعاء فأتى ضابط آخر، فمنحه الجواز وقال لي رافقه، ففهمت أن الأمر سيحمل بعض التعقيد، رافقته طبعًا مضطراً ولا خيار لي ولا حيلة وأنا اسأل الله السلامة وأن ينتهي الأمر على خير، حيث سبق وقرأت عن أناس يتم ترحيلهم من هونج كونج بعد الوصول إليها عندما لا يقتنع ضابط التحقيقات أو ال Investigations في المطار بأجوبة المسافر.جلست في غرفة منفردًا بعض الوقت ثم أتت لي ضابطة هذه المرة، وهي تمسك بجواز سفري وبدأ التحقيق التالي وهذه ترجمته دون الحاجة لترجمة أنيس عبيد[٥٣] كما اعتدنا في الأفلام الأمريكية قديماً :

هي : سيد حموده "النداء عند أغلب الأجانب باسم الأب او اسم العائلة " ما سبب زيارتك؟

أنا: للسياحة.

---

[٥٣] أنيس عبيد :ولد عام ١٩٠٩ وتوفى عام ١٩٨٨وهو خريج كلية الهندسة، سافر إلى فرنسا لدراسة الماجستر لكنه هناك قرأ إعلاناً عن دورة تدريبية لتعليم كيفية دمج ترجمة على مادة فيليمة ، الأمر كان يخص المحتويات العلمية ولكن أنيس كان لماحاً وقرر تنفيذ التجربة على الأفلام الروائية التى تصل إلى المصريين ، ليتمكن المصريين بعد ذلك من متابعة الأفلام الإنجليزية بشغف دون الوقوف أمام حائل اللغة ، استمر الرجل فى عمله كمترجم لمدة أربعين عاماً بعدما تخلى عن الهندسة وصار صاحب أشهر معامل الترجمة في الوطن العربي



هي: كم يوماً تنوي البقاء هنا ؟

أنا : عشرة أيام.

هي: هل حجزت فندقاً؟

أنا : نعم بالطبع حجزت الإقامة في هوستل

هي : هل لي أن أرى الحجز، وهل هو مدفوع ؟

أنا : هذه هي ورقة تأكيد الحجز وليس مدفوعاً سأدفع عندما أصل هناك.

هي : كم دولاراً تحمل معك ؟

أنا : مبلغ ....

هي : هل لي أن أراه؟

أنا : بالتأكيد – ممسكًا بحافظة نقودي ومخرجًا المبلغ لها وتناولته هي وعدَّته ووجدت أنني أخبرتها بالرقم الذي معي بالفعل.

هي : هل تحمل كروتًا بنكية ؟

أنا: نعم ....

هي : أتسمح لي برؤيتها؟

أنا : تفضلي

هي : قلت لي كم تنوي الإقامة بهونج كونج؟



أنا : عشرة أيام.

هي : إذا ما هو تاريخ مغادرتك؟

أنا : ٢٦ أغسطس ......

هي : هل لي أن أرى تذكرة العودة ؟

أنا : بالطبع

هي : ما هي الأماكن التي تنوي زيارتها هنا ؟

أنا : بالتأكيد أنوي زيارة ديزني لاند، وفيكتوريا بيك، وقرية نييجونج بينج.

هي : أنت تنوي الإقامة عشرة أيام وهذه أماكن قليلة مقارنة مع فترة الإقامة الطويلة.

أنا : أنوي بالتأكيد زيارة أماكن أكثر ولكن إرهاق الطائرة وقلة النوم، وبالفعل أنا صنعت خطة مبدئية لأماكن أنوي زيارتها – وأخرجت بعض الورقات من حقيبتي كانت بالتأكيد مكتوبة بالعربية ولكن أسماء الأماكن وعناوينها كانت بالإنجليزية، فمنحتها الورق لتتطلع عليه.

أتراها اكتفت من الأسئلة ؟ لا والله لم تكتف بل أزادتني، وما هو عملك في بلدك مصر؟

أنا : أخصائى بحث وتطوير بإحدى الشركات هناك.

هي : هل معك Business Card؟

أنا : لا ولكن معي ال Business ID– وهو الكارت الذي يحمل بياناتي بالشركة كالرقم الوظيفي والإدارة التي أعمل بها وبالطبع كل هذا مكتوب بالعربية ولكن لحسن الحظ كان اسم الشركة مكتوب عليه بالإنجليزية.

وبينما هي تتفحص الكارنية الخاص بالشركة إذ بي أستلم زمام المبادرة وأفيق من سطوة التحقيق الذي يحدث معي منذ دقائق وأقول لها، : بالمناسبة أنا كاتب أدب رحلات، أسافر إلى البلدان المختلفة وأعود لأكتب عنها وبالفعل نُشر لي كتابان أحدهما عن سنغافورة وماليزيا والآخر عن روسيا وجورجيا ومعي نسخة من كتابي الأخير يمكنك الإطلاع عليها، وبالفعل مددت يدي وأخرجت لها نسخة (تذكرتين سفر) وقلت : الكتاب باللغة العربية بالتأكيد – ولكن الغلاف كان يثبت لها أنه كتاب سياحي كما أن تصميمه كان يحمل اسمي بالإنجليزية أيضاً هذا بالإضافة لاحتوائه على بعض الصور لي في نهايته وأنا في أماكن سياحية هناك .

وبينما هي تتفحص الكتاب وجدتني أنهي الجولة بالضربة القاضية كما الملاكمة فقلت : وبالمناسبة أنا خبير إلى حد ما في السفر وبالفعل استضافني التلفزيون الحكومي للدولة منذ أيام للحديث عن أماكن قضاء شهر العسل في الخارج وبالفعل كنت أحتفظ على هاتفي المحمول بتسجيل اللقاء فأريتها منه مقتطفات وكان الحديث بصور يتزامن عرضها على الشاشة و تعقيبي عليها، وكانت صورًا لأماكن سياحية من دول مختلفة .

هنا أدركت أنني فزت في هذه الجولة وأن الأمر سينتهي على خير، حيث وجدتها تبتسم وتقول لي : أتمنى لك إقامة جيدة في هونج كونج وأن تعجبك وتكتب عنها وأعادتني لضابط الجوازات ليمنحني تصريح الدخول.

جدير بالذكر أن مصريًا آخر كان قد انضم لي ليخضع لتحقيق مماثل.

والحمد لله أن أجوبتي وقدرتي اللغوية جعلتنى قادرًا على خوض هذا التحقيق والخروج منه منتصرًا دون خسائر حيث إن أدنى شك سيصيب المحقق كان لا يعني سوى الترحيل والبقاء في المطار منتظرًا توافر مكان للعودة إلى القاهرة من جديد ....ولكن ربنا ستر.

الحدوتة الثالثة: ناسرطيين

بعد نهاية التحقيق إياه والحصول على الحقائب التي لم تته أو تضيع حمداً لله، كانت الساعة الحادية عشر والنصف مساءً، وبعد يوم طويل من السفر كنت حرفياً أحلم بالسرير، سألت موظفة الاستعلامات بالمطار عن أفضل طريقة للوصول إلى حيث الهوستل الذي به حجزي، فقالت إنه بالإمكان استخدام التاكسي، ويالها من طريقة لم تكن لتخطر على بالي ☺ فلما رفضتها قالت إنه يمكنني استخدام المترو ولكن تذكرته ستكون بمائة وعشرة دولارات ولكن قبل أن "تشهق أو تتخض أو تلطم " دعني أخبرك أنها تقصد ١١٠ دولاراً هونج كونجي إن جاز إضافة النسب للكلمة وليس أمريكيًا بالطبع، وحينها كان الدولار الذي ينتمى لهونج كونج يعادل جنيهان وثلاثون قرشًا وبالتأكيد هذا أفضل بكثير من ذلك الآخر الذي يقترب من الثمانية عشر جنيهًا، ولكن تبقى تكلفة كبيرة أيضاً فمعنى

هذا أنني سأدفع ما قيمته ٢٥٣جنيهًا، وفي نهاية الأمر سأركب مترو لا تاكسي أو سيارة خاصة فارهة مثلاً، فلما سألتها ألا توجد وسيلة أخرى أجابت يمكن استخدام الباص وتكلفته ٤٠ دولارًا ولكن ليكن معك أموال سائلة حيث لا توجد لديه فكة ليمنحك أي باقي لك فإن منحته مائة دولار سيتبقى لك ستين دولارًا لن تحصل منها على أي شيء، فذهبت لسوبر ماركت بالمطار واشتريت بعض الأطعمة وحصلت على المال اللازم لاستخدام الباص هذا بالطبع بعدما حولت العملة من الدولار الأمريكي الذي كان معي إلى نظيره الهونج كونجي.

خرجت من المطار متبعًا الإرشادات المعلقة ووصلت إلى موقف الحافلات منتظراً اتوبيس A11 الذي أتى في تمام الثانية عشر من منتصف الليل كما أخبرتني الموظفة قبل قليل، ولو كان فاتني كان سيتعين علي الانتظار حتى الواحدة صباحًا للحاق بالذي بعده.

صعدت للباص الفخم المكون من طابقين، وبه مكان لتخزين الحقائب والأمتعة داخله، وجلست بجوار شابٍ، وبدأت معه حديثاً بقصد التعارف، وكان لحسن الحظ ودوداً وعرفت منه أنه يعمل مهندسًا وأنه أتى لمصر عام ٢٠٠٧ في مشروع عمل، وأنه أقام في القاهرة حينها، وظللنا طوال الطريق الذي استغرق ساعة تقريباً نتحدث في أمور مختلفة كالسياحة والمعيشة في هونج كونج وكذلك تيوان حيث يعمل بها وكان عائداً لقضاء بعض الأيام كإجازة، ودلني على المحطة التي يتوجب عليّ النزول بها وبالفعل كنت دونت اسمها من موظفة المطار، وتبادلنا أرقام

الهاتف التي لديها تطبيق الواتس اب حتى نتواصل إن احتجت شيئاً خلال إقامتي فشكرته وسعدت بأن أول القصيدة يبدو حسناً حيث قابلت Fung

وصلت إلى حيث محطة Wan Chai Fire station وغادرت الباص، والحمد لله كان سيل المطر الذي انهمر عندما صعدت للحافلة من المطار قد توقف قبيل نزولي منها بدقائق، وإن لم يكن قد حدث كنت سأغرق لا محالة، فلا مظلة أو شمسية معي كما أنه حتى وإن كانت معي كانت يدى ستبقى مشغولة بجر حقيبتين .

أنا الآن في الشارع، لا إنترنت معي فأتمكن من معرفة اتجاهاتي، صحيح أنه أثناء وجودي في الباص واستغلالاً للإنترنت المجاني به طمأنت عائلتي على وصولي لهونج كونج ومغادرتي المطار وأنني في الطريق إلى الهوستل كما ساعدنى Fung في تحميل خرائط جوجل بخاصية offline حتى أتمكن من استخدامها حتى وإن لم يكن معي إنترنت، والرجل لا يعرف أن عقلي لا يستوعب الخرائط مطلقاً وكأن بينه وبينها "تار بايت☹".

كانت الساعة حينها تجاوزت الواحدة صباحًا بدقائق، ولكن بالشارع مارة، ليس الحال كما شوارع سنغافورة التي تكاد تخلو من البشر في التاسعة مساءً، وليس كما القاهرة التي لا تعني في بعض شوارعها الساهرة الواحدة تلك إلا رقم على عقارب الساعة، استوقفت مجموعة من الشباب وسألتهم عن العنوان فدلوني على اتجاه المسير بعدما استخدموا هاتفهم وخرائطه، ثم لم أصل لشيء، فاستوقفت مجموعة أخرى لأتأكد من أنني على الأقل أسير في الاتجاه السليم فكان الأمر كذلك،

ولكني أيضاً لم أصل إلى الشارع Patrson st وبالتحديد رقم ٤٧ منه، فسألت ضابطي شرطة يسيران ليلاً مترجلين، فحيوني بود ظاهر وأرشدوني على ما بقى من الطريق، فسرت ولمّا لم أصل لشيء واستبد بي التعب، استوقفت امرأة أربعينية وأريتها العنوان، فما كان منها إلا أن أخرجت هاتفها واتصلت بالرقم المدون على الورقة وتحدثت إليهم باللغة الخاصة بهونج كونج لتعرف مِن الذي تلقى المكالمة كيفية الوصول للعنوان، فلما عرفت منه أو منها، أخذتني وسارت بي في اتجاه معاكس للذي كنت أسير فيه، وقالت "امشى هذا الشارع لنهايته ثم انعطف يساراً ستجد المكان، للأسف لن أستطيع صحبتك لأنني سأنتظر الباص الذي يمر لأعود منزلي بعد يوم عمل طويل لولا هذا لكنت صحبتك لهناك".

أنهت جملتها وأنا في قمة الدهشة من كل هذا الذوق وهذه الأخلاق في التعامل مع مجرد غريب وعابر سبيل، فشكرتها بحرارة على حسن صنيعها، وانصرف كل منا في اتجاهه. وبعد المسير كما وصفت وجدتني أخيراً في شارع باترسون كما المطلوب ولكنى وجدت أرقامًا مختلفة للبنايات ولم أجد هذا ال ٤٧، أين اختفيت ؟! "مش نقصك أنا عاوز أنااااام؟☺ " فاستوقفت شاباً وسألته على رقم ٤٧ ولمّا كان لا يعرفه، ولمّا كانت الساعة الواحدة والنصف مساءً إذ به لا يعتذر ويتركني وينصرف بل يقول لي أنت تجر حقيبتي سفر، قف هنا سأذهب للبحث عنه والعودة لأخبرك بمكانه، ولم يمنحني فرصة لشكره وعبر الطريق مسرعاً يتفحص البنايات وأرقامها، ثم عاد ليقودني إلى مكان البناية بعدما وجدها وهو يسألني ما إن كنت في حاجة لمساعدته في جر إحدى الحقيبتين !! شكرته على شهامته المفرطة واندهشت من الاستهلالة الرائعة للتعامل مع الناس

هنا بدءًا من ذلك الذي قابلته في الباص مروراً بكل من سألتهم على الطريق حتى وصلت للعقار رقم ٤٧، وصلت للهوستل أو هكذا كنت أظن !

الحدوتة الثالثة: الدار والجار

وصلت إلى حيث رقم ٤٧ في شارع باترسون أخيرًا، وصعدت للطابق الثالث حيث الهوستل الذي حجزت به بالفعل، وجدت رجلاً متجهماً، أتممنا إجراءات التسكين وطلب المال، فأخبرته أنني سأدفع نصفه فقط نقدًا والنصف الآخر بالبطاقة البنكية ولكنه رفض إما كله نقدًا أو كله بالكريدت كارد، فما كان مني إلا أن دفعت له مستخدماً البطاقة البنكية، منحني كارتًا ممغنطًا لدخول الغرفة، ولكنه قال "اتبع السيدة وستأخذك إلى غرفتك".

فتبعتها، ووجدتنا نغادر الهوستل من الأساس ونستخدم المصعد ونصل للطابق الأرضى بل ونغادر البناية بأكملها، وأنا مندهش فسألتها فأجابت أن الهوستل به عدد محدود من الغرف وكلها مشغولة وأنه له مكان آخر في بناية قريبة وهناك يوجد سرير شاغر، وهو ذلك المحجوز لي، فتبعتها في صمت.

ووصلنا بعد خمسة دقائق من السير إلى حيث البناية الأخرى، وصعدنا للطابق السابع عشر، ودخلنا إلى غرفة كبيرة نسبياً يمكن تصنيفها بأنها شقة ستوديو مثلاً، وبها عشرة أسرّة، وكانت الساعة قد قاربت على الثانية بعد منتصف الليل، فكان الجميع نيام، فدخلنا بهمس، وبإضاءة خافتة، أشارت لي المرأة على مكان سريري وتركتني لتنصرف،

فأمسكت بها سائلاً عن مكان المرحاض فأعتذرت وأخبرتني أنهم أربعة وأرتني أماكنهم، وسألتها على كلمة سر استخدام الإنترنت فأشارت على لافتة معلقة تحمل الرمز، ثم تركتني وغادرت.

فكرة أنني في مهجع للنوم مكون من عشرة أسرّة ليست هي ما أضجرني، ولكن ربما أنني أسير بعد هذا اليوم الطويل وسط الظلام وبحذر لأتجنب إحداث أية أصوات تزعج رفقائي النائمين هي ما أزعجتني، وجدت فقط شابًا ملتحيًا يسير عاري الصدر ذاهباً إلى حيث الثلاجة الكبيرة ليشرب، فبادلني التحية وظننته عربيًا بسبب ملامحه.

وأخيراً حصلت على دش ساخن منعش وسرير وليكن كما نقول في مصر "الصباح رباح".

وفي الصباح استيقظت مع دقات العاشرة، وتعرفت على أركان المكان حيث الجميع قد استيقظ بل وجاءت فتاة للتنظيف، هو مكان ليس بضيق، ويحتوي على ثلاجة كبيرة وغلاية مياه لإعداد المشروبات الساخنة، وكذلك جهازًا للتسخين ولكنه يختلف عن الميكرويف المعروف، والأهم بدأت معرفتي ببعض رفقاء المكان، فتعرفت على رفاييل وصديقته وهما سويسريان يجوبان أنحاء جنوب شرق آسيا، مرحان ومتعاونان ولكنهما مكتفيان ببعضهما البعض أي ليسوا في حاجة إلى صحبة تكون في حكم العزول بينهم، ولكن وعلى مدار عدة أيام أشهد أنهما كانا رفقاء لطفاء للغاية، فلا عنصرية في التعامل لمستها مع آخرين بسبب كوني عربيًا مسلمًا ولا أي شيء يحمل من قلة الذوق ما يحمل كما فعلت فتاة إيطالية كانت جارة السرير الذي هو أسفل مني حيث ما إن عرفت أنني عربي حتى

تجاهلت وجودي، أدركت هذا بوضوح عندما حييتها في مرة قائلاً (صباح الخير) بوضوح فلم ترد، فتركتها وشأنها تماماً ولم أعرها انتباها بل بدلت السرير عندما سنحت الفرصة وغادر أحد النزلاء.

أما هذا الذي قابلته في المساء وظننته عربياً كان إيطالي الجنسية هو أيضاً ولكنه كان عكس الفتاة تماماً، كان ودودًا وكنا نتبادل الحديث في أمور عديدة عند عودة كلٍّ منا في المساء بعد قضاء يومه، وكان في صحبته فتاته ولكنها من فنلندا وكانا هما الآخران مكتفيان ببعضهما البعض ولا حاجة بهما لرفيق ثالث لن يكون سوى عزولا كما نقول في مصر يعيق الحب "اللى مولع في الدرة ☺".

وكان هناك شاب صامت لا يتحدث مع أحد كان بالنسبة لى Mr X أو الكائن المجهول، ولكنني حادثته لأعرف من هو فعرفت منه أنه كوريًّا ويدرس في إيطاليا، وبالفعل كان معه كمًّا هائلا من الكتب، وكان يستذكر فيها أغلب الوقت، وأنه بهونج كونج للسياحة ثم عاد إلى صمته من جديد.

والعجيب أنه أثناء إقامتي طويلة المدة هناك حيث أغلب السياح الذين يذهبون لهونج كونج لا يمضون أكثر من أربعة أو خمسة أيام على أفضل التقديرات، إلا أن الكائن الصامت والفتاة الإيطالية التي لا تحب العرب كانا الأطول إقامة في الهوستل، وعلى الرغم من مغادرة أناس وظهور غيرهم فإنهما بقيا، أما الفتاة فظلت في المكان إلى أن رحلت أنا، وأما الصامت فغادر بعد سبعة أيام من البقاء صامتًا وفي حاله، بالتأكيد هذا محض خياره ورغبته "هو حر" ولكن جرى العرف أو المنطق أن السكن الجماعي يقتضي أن تكون أكثر قبولاً للآخر والتفاعل مع البشر

والناس، واعتبار هذه الإقامة فرصة رائعة لاكتساب وتبادل الخبرات المختلفة من شتى البقاع.

كان أفضل ما في إقامتي في هذا الهوستل هو الناس، حيث تعرفت في اليوم التالي على Michael van den Berg وهو بملامحه الأوروبية يبدو كأوروبي أصيل ولكن المفارقة أنه إفريقي من جنوب إفريقيا، وكان شابًا ودوداً للغاية، وبالمصري يمكن وصفه بال "عشري، وبياخد ع الناس بسرعة" وكنا رفقاء ليومين تقريبًا، حيث خرجنا ليلتنا الأولى لنستكشف مكان السكن والمحيط المجاور له، حيث كنا نسكن في Causwaybay وهو أرقى أحياء هونج كونج وأكثرها فخامة، مليء عن آخره بالمولات والمحال التجارية لأشهر الماركات العالمية، مثال حي للعولمة وما تفعله بالبشر، وعرفت منه أنه قرر مغادرة جنوب إفريقيا لأن الأوضاع بها ليست على ما يرام، وأنه بالفعل حصل على عرض عمل كمدرس للغة الإنجليزية بمعهد تعليمي بهونج كونج، وأنه ينتظر الحصول على تأشيرة العمل على جواز سفره المتروك يإدارة الجوازات والجنسية والهجرة هناك.

رافقته في اليوم التالي إلى حيث معرض للطعام Food Expo حيث قضينا نصف النهار بقاعة مؤتمرات هونج كونج، وهي عبارة عن مبنى كامل مكون من ثلاثة طوابق ضخمة، تتسع لعقد مؤتمرات عديدة، والطوابق الثلاثة خلال معرض الطعام هذا كانت تمتلئ بالعارضين والجمهور على حد سواء حيث تذكرة بعشرين دولار جعلتنا من زائري المعرض والحاصلين على دفتر ضخم من كوبونات الخصومات عند الشراء من العارضين الذين يحاولون جذبك بطرق شتى منها تجربة الطعام نفسه.

ولأن الشيء بالشيء يذكر لك أن تعرف أن أفضل ما جربته في هذا المعرض هو الأجبان المختلفة، حيث يتمتع بعضها بمذاق رائع أتذكره وأنا أكتب هذه الكلمات فأجدني مبتسمًا.

ولمايكل حكايات أخرى سأرويها لاحقاً، ولكن إجمالاً هو كان من مكاسب الرحلة الجميلة ومن مكاسب الإقامة في هذا الهوستل.

كما تعرفت هناك على ثلاثة شباب من فرنسا، اثنان منهم كانا أصدقاء وأتيا من فرنسا مع بعضهم البعض، أما الثالث فكان مثلي جاء منفرداً، أما الشابان فكانا في حالهما ولم يمكثا سوى ثلاثة أيام ولم نتقابل في الغرفة كثيراً بسبب تجوال كلٍّ منا في ربوع وأنحاء هونج كونج، وأما الثالث "ليو" وهو فرنسي أنيق، جمعتنا جلسات الحديث مساءً وصباحاً يومياً تقريباً، كان يسمع مني عن مصر وأسمع منه عن فرنسا، ونتبادل الحديث عن البلاد التي زارها كلٌّ منا.

كان "ليو" طالبًا يدرس الهندسة وكان يمضى إجازته مسافرًا، وكان معجبًا بفكرة أنني أكتب أدب رحلات، وأعجبه شكل كتاب (تذكرتين سفر) جدا وهذا صراحة ما حدث مع رفاييل وصديقته والشاب الإيطالي وصديقته، ومايكل وآخرين، حيث عادة ما يكون جزءًا أساسيًّا من الحديث والتعارف المهنة وماذا تعمل، ويكون جوابي بالأمران وظيفة النهار، وهواية الليل التي تحولت إلى كيان يسعدني ويحقق ذاتي بالفعل "الكتابة".

وكان من المفترض أن أكون أنا وليو رفقاء السفر إلى جزيرة (ماكاو) ولكنني لم أفعل لعدة أسباب أهمها المال، حيث كانت لتكلفني هذه الرحلة مبلغًا لا بأس به، وعندما خطط "ليو" للذهاب كنت أوشكت على العودة للقاهرة وبالتالي أوشكت أموالي على الانتهاء فلم أرغب في المغامرة.

ولكن في العموم كان "ليو" شخصًا لطيفًا وأتمنى لو أنني كنت احتفظت بوسيلة اتصال معه كالفيسبوك أو ما شابه ولكن للأسف لم يحدث هذا، كما لم يحدث مع Josh من Liverpool أو هكذا عرفني بنفسه، شاب إنجليزي من الطراز الراقي الجميل، جمعني به فقط الإقامة في الهوستل، كان قد أتى لهونج كونج مثله مثل "مايكل" للعمل كمدرس للغة الإنجليزية ومدرس موسيقى أيضاً، حيث يجيد العزف على آلة الجيتار وكان معه جيتاره الخاص بالفعل. وعلى الرغم من أن الجيتار كان ينقصه وتر مما لا يجعله يعزف بأريحية كما هو معتاد فإنه استجاب لطلبي عندما سألته أن يعزف أي مقطوعة موسيقية يحبها، ولحُمقي لم أصوره فيديو للأسف كما لم ألتقط صورة لي معه أو مع ليو ربما لأننا لم نكن رفقاء خروج وتنزه كما حدث مع مايكل.

وبالعودة لجوش كان هذا صاحب نصيب الأسد في الأحاديث الليلية، حيث نتحدث عن الفن والسينما والموسيقى ونرشح لبعضنا أفلامًا تستحق المشاهدة أو أغاني تستحق السماع. وعلى ذكر الأفلام تفاجأت عندما عرفت أنه شاهد بالصدفة الفيلم المصرى (اشتباك) حيث كان مترجمًا للإنجليزية واندهشت عندما قال لي "لقد شاهدته أنا وأبي وبكينا مما رأيناه" فما باله لو علم بالواقع!

وهناك تعرفت على اثنين وكانا رفقاء حركة، الأول Jim وهو حدوتة في حد ذاته، والثاني Guestavo أما الأول فأمريكي الجنسية سابقاً وباراجوي الجنسية حالياً ! والثاني من البرازيل.

الخلاصة أن الدار كان مقبولاً والجار كان رائعاً في أغلب الأحيان، فحتى أولئك الذين لم أخرج معهم وفقط تبادلنا الأحاديث والسمر في المساء والسهرة اعتقد أنني لن أنساهم بسهولة .

دروسي المستفادة:

١- ابحث جيداً عن معلومات مكان الإقامة، حيث وجدت أن أكثر من شخص قد علقوا على موضوع كون مكان الإقامة في بناية ومكتب الاستقبال والحجز في بناية أخرى، ربما تسألني وهل كان هناك فرق؟ والإجابة أنه إلى حد ما نعم، حيث كان هذا الوضع حائلا لي دون السؤال عند الخروج عن كيفية الذهاب إلى الأماكن وكنت استبدله إما بسؤال رفقاء الهوستل أو بخطة أحدهم إن كنت في صحبته.

٢- انفتح على العالم والناس، فالبشر كنز ورغم اختلاف الألسن وجوازات السفر يمكن أن يحدث تقارب وتفاهم وهذا من أمتع ما في السفر.

الحدوتة الرابعة : Jim – رجل المبادئ

كم مرة في حياتك بالإمكان أن تقابل شخصاً مثله؟ صراحة لا أدري، لأنه كان شخصاً فريدًا بالفعل ومن طراز خاص، ربما تكون لاحظت اسمه في الإهداء وأنني أسميته رجل المبادئ، وهو فعلًا كذلك إن صحت

روايته، وفي الأغلب هي صحيحة لأن الأجانب بهم طبع ليته بنا وهو أنهم لا يحبون الكذب ولا حاجة لهم به "مادموا لا يعملون في السياسة بطبيعة الحال"

هو رجل خمسيني وأمريكي سابقاً ومن باراجوي حالياً. ما الذي أقصده؟ أقصد أنه من أب وأم أمريكيّن ولكن من جذور لاتينية من باراجوي. كان "جيم" يتمتع بالجنسية الأمريكية كأي مواطن أمريكي "مرتاح ومحظوظ بالتأكيد" ولكنه وبمحض إرادته تخلى عن الجنسية الأمريكية عقب حرب أمريكا على العراق في ٢٠٠٣ حيث رفض أن يكون دافع ضرائب تُستخدم في صنع أسلحة وقتل أبرياء لا ذنب لهم ! فتخلى عن الجنسية الأمريكية بورق رسمي وغادر أمريكا ليعيش في باراجوى موطن أبائه وأجداده مكتفياً بجنسيتها !

أدهشني "جيم" بموقفه في الحياة، الموقف الإنساني للغاية، في الوقت الذي نسعى نحن ونتمنى - ونحن معذورون بالطبع – في الحصول على باسبور وجنسية أمريكية بأي طريق، ها هو يتخلى عنها بمحض إرادته "ويرميها بطول ذراعه كما نقول في مصر".

صحيح أن جنسيته كمواطن من باراجوي أفضل حالاً من جنسية عدة بلدان عربية، ولكنه يبقى تخليه عن الجنسية الأمريكية مدعاة دهشة ربما وشعور بالخزي من موقف العرب أو بالأحرى الحكومات العربية مما حدث في العراق ومن موقف الكثيرين من الفلسطينين وما يحدث معهم، فها هو الرجل فعّل إنسانيته التي لم ترضى بهذا وصراحة هو ليس مطالب بموقف ضخم وكبير وقوى كالتنازل عن الجنسية

وبإمكانه أن يتعايش مع فكرة أن ضرائبه تُصرف على التعليم والصحة والبحث العلمي والثقافة، ولكنه للعجب لم يفعل.

سألته ما موقف عائلتك منك ؟ فأجاب أنه لم يتزوج وليس لديه أبناء ولكن إخوته وأبناء عمومته وأصدقاءه نهروه عن فعله هذا، لم يعتبروها خيانة عظمى أو حتى صغرى بالتأكيد ولكنهم نهروه لمصلحته "لأنه لن يجد جنسية وباسبور قوي يحميه كما الباسبور الأمريكي بالطبع".

وسألته هل ندمت منذ أن اتخذت قرارك هذا ؟ أجاب أنه ربما شعر بالحنين لأمريكا كبلد عاش فيه معظم عمره وكون فيه أصدقاء و Careerأو مجال عمل ولكنه لم يندم على قراره مطلقاً، ولكن لأن الحياة صعبة في باراجوي وجد نفسه يقبل فرصة عمل كمدرس للكيمياء واللغة الإنجليزية بمدرسة صينية، وكان في هونج كونج لأنه ينتظر الحصول على تأشيرة عمل داخل الصين.

وحكايتي مع جيم في غاية الغرابة، كان "جيم" نزيلا من نزلاء الهوستل الذي سكنت به ولكنه وصل بعد منتصف الليل وكنت قد عدت من الخارج ونمت بالفعل، وتعرف على رفاييل وصديقته وأخبرهما أنه لا يوجد مكان شاغر بهذا الهوستل سوى لهذه الليلة فحسب وأنه في النهار سيكون عليه البحث عن مكان آخر، لم أشهد أنا بالطبع أياً من هذا ولكن جيم ورفاييل حكيا لي هذا في الصباح عندما وجدت الأول يقف مع الأخير أمام المصعد في الطابق الأرضي ثم دعاه رفاييل للصعود ريثما يتمكن من استخدام الإنترنت وتدبير حجز له في هوستل آخر، وصعدا

وصعدت معهما ولم أنبس ببنت شفة – كما في اللغة العربية – كنت حينها أشتري خبزاً للإفطار وعدت.

وبينما أنا أعد وجبتي كنت أرى رفاييل والفتاة تبحثان عبر الإنترنت عن هوستل بديل وبالفعل وجدا مكانًا له في واحدًا على مقربة من ذلك الذي نحن فيه، ثم سألهم "جيم" عن تبديل العملة، هنا تدخلت أنا في الحديث موضحًا أنه عليه السؤال في عدد من المكاتب حيث إن كل مكتب صرافة يمنح سعراً مختلفاً، وأخبرته أنني وجدت مكتبًا يمنح أفضل سعر وهو ٧٨٠ دولار هونج كونج لكل مائة دولار أمريكي، ففغر فاه قائلاً إنه بدل العملة بخداع ونصب حيث بدل ال ١٠٠ دولار بالأمس ب ٧٠٦ فقط !! أخبرته أن هذا نصب بالفعل وأن معي كارتًا مدونًا عليه عنوان المكتب إياه، ومنحته الكارت وإذ برفاييل يحاول مساعدته على الخريطة في الوصول إلى مكتب الصرافة فوجدتني أقول "بإمكاني صحبتك إلى هناك إن رغبت "، فشكرني على عرضي هذا ووافق بالطبع ومن هنا بدأت معرفتي به والتي استمرت حتى يومه الأخير بهونج كونج.

غادرنا حينها الهوستل، وصحبته إلى مكتب الصرافة الذي سبق وعثرت عليه كمقدم أفضل عرض مالي بعد عناء قبل عدة أيام، وأثناء الطريق تبادلنا التعارف، فعرف أنني من مصر و ماذا أعمل وأنى أكتب عن البلاد والسفر وأثنى على لغتي وقال إنه يبدو أنني حصلت على تعليم جيد، واندهش عندما علم أنني تعلمت باللغة العربية في بلدي وليس بالإنجليزية – كان يظن أن من يتحدث الإنجليزية من الضروري أن يكون نال تعليمه باللغة الإنجليزية- وبعدما انتهى من تبديل العملة دعاني

للذهاب إلى حيث الهوستل الذي حجزه له رفاييل لتأكيد الحجز ودفع المال، فوافقت وذهبنا سوياً وأكد حجزه وعاد ليأخذ حقيبته ثم غادر إلى مكانه الجديد.

توقعت أن تكون حكايتي مع "جيم" انتهت إلى هذا الحد ولكنني وجدته في صباح اليوم التالي قد جاء إلى حيث الهوستل وأيقظني من النوم سائلاً ما إن كانت لدي أي خطط لقضاء اليوم أو بإمكاني الانضمام له، فرحبت بالطبع بالانضمام له في يومه وسعدت صراحة أنه أتى خصيصًا لي.

تناولت الإفطار سريعًا وبدلت ملابسي وغادرت معه، ذهبنا إلى حيث مكان الشئون القنصلية للصين بهونج كونج لينتهي من أمر التأشيرة. ومقر القنصلية عبارة عن طابق كامل في ناطحة سحاب، صعدنا سوياً وانتظرته على مقاعد الانتظار ريثما ينتهي من الإجراءات مع الموظفة ثم غادرنا ولا ينوي أيٌّ منا على شيء.

ذهبنا إلى الهوستل الخاص به والذي هو بالمناسبة أفضل من ذلك الذي سكنت به من حيث الخدمة والجو العام وخزائن الغرف، وكنت أمازحه قائلاً إنني أحسده على اختيار رفاييل له لهذا الهوستل.

عدنا إلى هناك ليضع أوراقه في خزانته الخاصة وسألني ما خطتك فأخبرته أنني أرغب في زيارة Victoria Peak أي قمة فيكتوريا، وهي من أهم مزارات هونج كونج، فقال إذن لنذهب، أوتعرف الطريق؟ فقلت لا فذهب ليسأل موظفة استقبال الهوستل، فدلته الفتاة على أن الطريق

سهل فقط نستقل المترو وننزل بمحطة HK Centeral ونتبع اللافتات من هناك، حينها كان إلى جوار "جيم" شابًا يسمع الحوار فسأل "جيم" إذا ما كان سيذهب إلى فيكتوريا بيك فأجابه بنعم فسأله "هل بالإمكان صحبتك لأنني أرغب في الذهاب إلى هناك " فوافق جيم بعدما أخبره أنه بالفعل في صحبة شخص آخر "اللي هو أنا " وأتى لي به وعرفنا على بعض هو Mat من كندا وسألني بلطف إذا ما كان لدي مانع لصحبته لنا فأجبت بالنفي طبعًا، وتحركنا ثلاثتنا.

مصري وأمريكي/باراجويي/ وكندي منذ ساعات أو سويعات لم يكن أحدهم يعرف الآخر، وها نحن الثلاثة الآن نسير وكأننا رفقاء منذ دهر، تبادلت التعارف مع الكندي بشكل أكبر من تعارف الأسماء وحينها أخبره "جيم" أنني كاتب أدب رحلات وعرفت منه أنه أيضاً يدرس الهندسة في كندا وأنه في إجازة وأنه يقضي يومين في هونج كونج وأنه سيغادر عائداً لكندا في صباح اليوم التالي.

أتذكر سيرنا معاً ووقوفنا في طابور طويل لركوب تلفريك القضبان وليس ذلك المعلق بالكابل، ليصعد بنا مخترقاً الجبل، ليصل بنا إلى القمة، لنشاهد منها هونج كونج بأكملها من أعلى نقطة بها، ثم صعدنا إلى حيث Victorea Terrace وهي مرحلة أعلى في المشاهدة والاستمتاع بالمنظر الخلاب من علٍ، حينها مر بنا الغروب واستمتعنا بمنظر ولا أروع وانتظرنا هبوط الليل لنتمكن من رؤية هونج كونج بشكل بانورامي كامل في ضوء النهار وقت صعودنا وليلاً كذلك "ما احنا مش بنيجى هونج كونج وفيكتوريا بيك كل يوم ولا حتى كل weekendمثلا☺"، حينها أذكر أننا

كنا بالفعل كثلاثة أصدقاء منذ زمن نتبادل الحديث حول أشياء عديدة منها أننا استغللنا كوننا - ربما أو من المنطقي - أننا لن نلتقي مرة أخرى فأفصح كل منا للآخرين عن أمنيته التي يرغب في تحقيقها وسيكون سعيدًا إن تحققت، ثم تحدثنا بشكل فلسفي ربما عن حجم رضا كلٌّ منا عن حياته بشكل عام، وما زلت أذكر تعبيرات وجه جيم ونحن يداعبنا نسيم الجبل وهو يقول I had had a good life ...its was ok ..it was fine

وبعدما أنهينا زيارة فكتوريا بيك الساحرة، نزلنا من جديد للأرض مرة أخرى وذهبنا لتناول الطعام، ولكون الطعام مشكلة في الخارج، ذهبا هما لمطعم ولما لم أجد فيه طعامًا يناسبني تركتهما وانصرفت إلى ماكدونلدز لتناول السمك الذي تناولته هناك طيلة العشرة أيام تقريباً وعدت لهما من جديد، وأكملنا اليوم بالمسير في الشوارع دون هدف إلى أن وصلنا إلى محطة المترو التي منها افترق الجميع هما إلى الهوستل الخاص بهما وأنا كذلك، وودعت "مات" متمنياً له السعادة ورحلة آمنة في الغد، وودعني وكأننا أصدقاء منذ زمن.

لم تنته حكاياتى مع "جيم" عند هذا الحد حيث تنزهنا لاحقا وذهبت معه لحجز تذكرة قطاره السريع للصين، وشاهدته وهو يبدأ الحديث مع الفتيات الجميلات ربما ليثبت لنفسه أنه ما زال جذاباً وبالفعل لم يكن قد فقد سحره القديم، وفي يومه الأخير في هونج كونج كنا نتناول الطعام سوياً في ماك وتعرف هو على فتاة إيطالية "مارتينا" الجميلة وطلب منها أن تجلس على نفس الطاولة وهي لم تعترض، والصدفة أو القدر أنها كانت تدرس في الصين رسالة الدكتوراه عن

المسلمين كأقلية في الصين ! فاندهش هو من كونها تعيش في الصين وأنها في هونج كونج على سبيل الإجازة فقط لا غير، أما أنا فاندهشت من كونها باحثة إيطالية مهتمة بموضوع كالأقليات المسلمة في الصين.

تبادلنا التعارف والحديث عن أوضاع المسلمين في الصين، والفرق بين هذه الأوضاع هناك وبينها في هونج كونج، وكنا يوم الجمعة وكنت أرغب في الصلاة في مسجد لم يسبق لي الصلاة فيه هناك وهو مسجد عمار فحاولت مساعدتي في معرفة كيفية الوصول إليه سيرًا لأنه لم يكن ببعيد عنا، وتبادلت هي وجيم أرقام الهاتف لاستخدام تطبيق we chat لمساعدته إذا ما احتاج السؤال عن شيء في الصين خاصة وأنها تتحدث الإنجليزية والإيطالية بطبيعة الحال والصينية وتتحدث ثلاثتهم بطلاقة.

وبسيرة الأكل والطعام، لما عرف أنني مسلم – وهي معلومة عرفها منذ لقائنا الأول أثناء المسير لمكتب الصرافة- وأنه توجد لي متطلبات خاصة في تناول الطعام بحث ثم دلني على مطعم يقدم وجبات حلال وبالفعل صحبني إلى هناك في مرة وكانت المرة الأولى والأخيرة التي تناولت فيها الدجاج هناك. صحيح أن المطعم لم تكن أسعاره غالية وكانت مقبولة رغم مشكلة الأسعار في هونج كونج - والتى سأتحدث عنها لاحقاً- إلا أنه لا يوفر وجبات كبقية المطاعم "الشاطر والمشطور وبينهما الطازج☺" أي لا يقدم الدجاج لا في سندوتشات كبقية المطاعم الأمريكية ولا حتى ومعه أرز، فقط دجاج وبطاطاس مقلية.

آخر حكاياتي مع "جيم" هي ما عكر صفو رحلة جميلة بالفعل بكل تفاصيلها، حدث أن كنا في الهوستل الخاص به وكان يبحث عن بعض الأمور عبر الإنترنت مستخدماً جهاز كمبيوتر يوفره الهوستل هناك مجاناً، فأتى شابٌ وسأل عن شيء فأجبناه، ثم فتح باب الحديث بأسئلة منذ كم يومٍ أنتم هنا؟ وكم يومًا تنوون البقاء؟ حينها بادرت بسؤاله الذي أخاف من إجابته كلما سألته لأحدهم وهو : من أين أنت؟ بعدما عرف أنني من مصر فأجاب من إسرائيل، يا للحظ كانت الرحلة تمضي على أحسن ما يرام ولم ألتق بأحدٍ منهم كما كنت محظوظاً ولم يكن أيًا من رفقاء الهوستل الذي أسكن به من هناك ولكن للأسف تأبى الرحلة أن تختم ختامًا سعيدًا بعدم مقابلتهم، حينها كان "جيم" قد غادر ودخل الغرفة للبحث عن شيء في خزانته، وللأسف لما قال هذا الشاب بلده كان بالفعل وهو يقولها وقد اقترب مني ومد يده مصافحًا وكنوع من رد الفعل اللاواعي المباشر كنت مددت يدي لإكمال المصافحة، فلما سمعتها "وخرقت ودني...أنا من اسرائيل" شعرت فعلاً بالقرف من يدي بل ونهضت لغسلها بالماء.

ذهب هو ليشرب ثم عاد من جديد واقترب مني وفتح بابًا للحديث وسألني بعض الأسئلة عن هونج كونج لأنه كان قد وصل منذ يوم واحد، وجدتني أجيبه باقتضاب دون النظر له وملامح وجهي تفضح ما بي تجاهه، انتظرت أن يقول إنه يرغب في صحبتنا اليوم وكنت أنوي حينها الرفض الواضح والمسبب بأنه لا يسعدني أو يشرفني أن أكون في صحبته إطلاقاً لأنه ينتمى لجنسية دموية وعنصرية ولكنه لم يطلب وفهم من ملامحي وطريقة ردي عليه أنني ضجر منه، والعجيب أنه بعدما غادر تمنيت عودته

لأقول له ما أردت قوله منذ أن عرفت بجنسيته دونما انتظار لسؤاله الصحبة من عدمه، ولكنه لم يظهر لي مجدداً إلى أن عاد "جيم" وغادرنا.

لاحظ "جيم" أنني ممتعض ولست على سجيتي فسألني ذلك السؤال الذي طالما سمعناه في الأفلام الأمريكية "Are you ok?" – وأخيرًا سألني هذا السؤال شخصُ ما ...عقبال ما تسألهونى بنت في يوم من الأيام بقى☺" فأخبرته بالأمر، قائلاً له ربما ترى أن هذه عنصرية مني ولكنني لا أستطيع التعامل مع هؤلاء نهائيًا، فوجدته يجيب لا ليست عنصرية هم العنصريون والدمويون ولو أنني كنت موجودًا لرفضت السلام عليه ومصافحته وكثيرًا من الناس في أمريكا اللاتينية لا يرحبون بهم ولا يصافحونهم حتى، وعدد لي أمثلة صادفها حتى في حانات رفض فيها البعض وجود إسرائيليين معهم بسبب أفعالهم. اندهشت مما قاله ولكنني لم أندهش من موقفه أو كلامه المتضامن معي لأنه يتماشى وموقفه الذي دفعه للتخلي عن جنسيته الأمريكية في السابق.

المهم انتهت حكياتي مع "جيم" لأنه غادر هونج كونج إلى حيث عمله وحياته الجديدة في الصين، ولكنه قبل أن يغادر ولما أدرك من خلال صحبته لي بأنني "بتوه بسرعة" وذهني لا يستوعب الجغرافيا بسهولة سألني ما إن كنت أريد معرفة كيفية الذهاب لمكان ما، فأخبرته أنني أرغب في معرفة المكان الذي سأستقل من الحافلة التي ستأخذني مرة أخرى للمطار، حيث إنها لن تمر عند المكان الذي أنزلتني عنده لما وصلت هونج كونج، فسأل هو الفتاة التي تعمل في الهوستل، ولما عرف الطريق، أصر على صحبتي إلى هناك ليتأكد من أنني عرفت الطريق بالفعل ولا مجال للتعرض للتيه.

وعلى ذكر هذا كنا إذا انتهينا من يومنا وتركته عند الهوستل الذي يقيم به كان يسألني ليطمئن "هل ستعرف كيف تصل إلى الهوستل الخاص بك أم آتي معك لأوصلك؟!" صراحة كان يتعامل معي بصداقة يشوبها الأبوة، ربما لأنه لم يجربها من قبل وربما هذا طبيعي لمن هو في سنه ...لا أعرف، ولكن ما أعرفه بحق أن جيم هذا كان من هدايا السماء لي في هونج كونج واستمتعت برفقته جدا وأتمنى له السعادة في حياته.

الحدوتة الخامسة : مايكل وتابعه روي

كان القدر سخياً معي إلى أقصى درجة خلال هذه الرحلة، فعلى الرغم من كوني مسافرًا منفردًا و"بطولي (من كلمة الطول لا البطولة بالتأكيد)" كما نقول في مصر، إلا أنه تقريباً لم يمض يوماً من العشرة أيام دون صحبة، كان من ضمن هدايا القدر حينها مايكل ذلك ال"عشري" الذي تعرفت عليه في الهوستل وبقينا في صحبة بعض لمدة ثلاثة أيام.

في اليوم الأول اكتفينا بالتجوال في محيط كوزاوي باي الكبير بالفعل، وفي مساء اليوم الثاني ذهبنا لمشاهدة Simphony of Lights[٥٤] أو سيمفونية الأضواء كما يسمونها، وهو عرض مسائي يومي تقريباً ما إن كان الطقس مناسباً، يتم في منطقة Victoria Harbour وهي جزء محدد أمام الخليج، وهو عبارة عن عرض موسيقي يتزامن مع أضواء راقصة

---

[٥٤] رابط مشاهدة سيمفونية الأضواء بخليج فيكتوريا فى هونج كونج.
https://www.youtube.com/watch?v=FeyX2oWis1U
أو يمكنك البحث بالكلمات المفتاحية : A Symphony of Lights - Hong Kong | New Version 2018

تنعكس على المياه وناطحات السحاب الواقعة على البر الآخر من مياه الخليج، هو عرض مختلف عن عروض النوافير الراقصة كتلك الموجودة في دبي أو كوالالمبور، أو حتى البسيطة الموجود في التجمع الخامس هنا بمصر؛ حيث يعتمد هذا العرض على تناغم الموسيقى والضوء المنعكس على الأبراج.

العرض مجاني بطبيعة الحال ويشهد إقبال الكثيرين يومياً في الثامنة مساءً والتاسعة كذلك، وهذه المنطقة التي تشهد هذا العرض هي ذاتها التي تشهد الاحتفال برأس السنة الميلادية ولكن بعرض مماثل ويضاف إليه الألعاب النارية المبهرة [٥٥] التي تحاول هونج كونج سنوياً التفوق فيها على نظرائها كسيدني ولندن ودبي.

أما في اليوم الذي كنا فيه في معرض الطعام، انتهينا من جولتنا حينها في المعرض ثم جاء مايكل اتصالا من زميل له في عمله المستقبلي، لم يكن قد التقاه من قبل، فقط كان يراسله عبر الفيسبوك ليسأله عن كيفية العمل والحياة هناك، حينها اتصل زميله هذا عارضًا عليه مقابلته ليطلعه على بعض تفاصيل العمل وكذلك ليصحبه في جولة في المدينة، وافق مايكل بالطبع وأخبرني بالأمر وترك لي حرية القرار إن رغبت انضممت لهما وإن لم أرغب فأنا حر أذهب حيث أشاء وأقضي باقي اليوم بالطريقة التي تحلو لي، بالقطع رحبت بفكرة انضمامي لهما إن لم يكن في هذا أي

---

[٥٥] رابط مشاهدة الألعاب النارية احتفالاً ب ٢٠١٨ فى هونج كونج.

https://www.youtube.com/watch?v=m15eDI1u5Bg

أو يمكنك البحث بالكلمات المفتاحية عبر اليوتيوب : New Year 2018: Hong Kong's celebration- BBC News

إزعاج لهما، ولم يكن لدى مايكل أي مانع. وعموماً الأجانب لا يشعرون بالحرج الذي ربما نشعر به نحن العرب في مواقف مماثلة، بمعنى أنه إن لم يكن يرغب في حضوري معهما كان سيقول دون مواربة أو كسوف.

انتظرنا زميله هذا في إحدى الكافيهات الأمريكية الشهيرة بل بالفعل هي تستحوذ على سوق المقاهي ربما في هونج كونج هناك وهي سلسلة (ستارباكس) المعروفة، حيث لن يخلو شارع أو حي هناك تقريباً من فرع لهذا المقهى وكذلك لماكدونلدز، أما باقي المطاعم فهى متواجدة ولكن ليس بنفس قوة انتشار هذين المكانين.

نعود للزميل المنتظر، الذي أتى دون تأخير كما هي عادة الأجانب، وتعرفنا، هي المرة الأولى التي يلتقي فيها بمايكل وكذلك بي، تم التعارف إنه Roy من نيوزيلندا ويعمل مدرساً للغة الإنجليزية في هونج كونج منذ عدة أشهر فقط، شاب عشريني أوروبي الملامح نوعاً ما. جلسنا في المقهى لدقائق تحدث فيها إلى مايكل وأخبره بالعمل وكيفيته وأنه سيجد نفسه سعيدًا هناك ولن يندم بسبب انتقاله من بلده جنوب إفريقيا.

ثم بدأنا جولتنا، حيث صحبنا إلى محطة مترو سنترال وهي محطة مركزية كما يبدو من اسمها، وتتوسط هونج كونج، ومنها سرنا إلى حيث الميناء التي تطل على منظر جميل للغاية للبحر وعجلة دوارة كبيرة كتلك المشهورة في العاصمة البريطانية لندن وفي سنغافورة كذلك، ومن هناك انتظرنا مرور باص ال HOP on /Hop off وهو عبارة عن حافلة من طابقين – وبالمناسبة كل الحافلات لديهم بطابقين- إلا أن ما يميز هذه أن الطابق العلوي دون سقف ومفتوح ويمكنك من مشاهدة المدينة بوضوح

والاستمتاع بالطقس ما إن كان صحواً وجميلاً، دفعنا ثمن استخدامه ٦٠ دولار.

وبدأت الرحلة التي جابت بنا الكثير من أنحاء هونج كونج، حيث تجولنا في منطقة جزيزة كولون Kawloon وهي المنطقة الثانية في التقسيم الجغرافي لهونج كونج، جبنا شوارع ساحرة ونظيفة وجميلة، نستمتع بمنظر المباني وناطحات السحاب المختلفة والكثيرة بطبيعة الحال، استمرت الجولة لساعة في الحافلة ونحن مستمتعون للغاية، خاصة مايكل وأنا لأنها مرتنا الأولى، تبادلنا التقاط الصور والحديث وقتها في أمور كثيرة عن الحياة في أوروبا باعتباره نيوزيلنديًّا.

ولما انتهت الجولة، صحبنا إلى المركز الثقافى لهونج كونج أو دار الأوبرا لديهم، ولكننا لم ندخل واكتفينا بالتقاط بعض الصور أمامها وأمام متحف الفضاء المتاخم لها، وصراحة كان الشاب ودوداً للغاية لأنه كان يصورنا صوراً منفردة بهاتفه الجوال لأنه كان صاحب أفضل كاميرا هاتف فينا نحن الثلاثة، وكان يستوقفنا هو ويطلب منا أن نأخذ صورًا في أماكن محددة يرى أنها ستكون جميلة في التصوير، ثم صحبنا إلى حيث أشهر الأسواق الشعبية هناك وهو Ladies market والسوق غير مرتبط باسمه الذي يعني سوق السيدات، حيث هو عبارة عن ثلاثة شوارع بثلاثة تقاطعات ممتلئة عن آخرها بالمحال أو الأكشاك يميناً ويساراً والتي تبيع ما يخص ولا يخص السيدات.

تجولنا في السوق وعرفنا بعض الأسعار أو بالمصري " أخدنا فكرة لنشتري بكرة "، بمعنى أن جولتنا هذه كانت في يومي الثالث من التواجد بالمدينة وما يزال أمامي سبعة أيام متبقية وبالتالي فضلت أن يكون الشراء قرب نهاية الرحلة حتى أضمن أنني on budget وأن الميزانية تحتمل التسوق.

ثم ذهبنا لتناول الطعام ووافق الشابان على الأكل في ماكدونلدز مراعاة لأمور ضوابط الطعام لدي، ثم جلسنا أمام الخليج أو المياه، ثم انتهى اليوم وعاد روي إلى مكان سكنه وكذلك فعلت أنا ومايكل.

إلى هنا والأمر عادي وطبيعي خاصة للمسافرين المنفتحين على الآخر، شباب تقابلوا دون سابق معرفة أمضوا بعض الوقت سوياً ثم افترقوا.

أما غير العادي فهو ما حدث صباح اليوم التالي، غادر "مايكل" مبكراً ليلحق بإدارة الجوازات والهجرة والجنسية ليحصل على جواز سفره بتأشيره العمل في هونج كونج، حينها كنت قد قررت تأجيل الخروج الصباحي لأنني كنت صائماً احتفالاً بوقفة عرفات، ولأن الرطوبة وقت زيارتي كانت في قمة مجدها في البلد وكانت تصل إلى حدود ال ٨٨ أو ٩٠ % وهذا يعني الشعور بالعطش بسهولة جدا، فآثرت البقاء في الهوستل والخروج متأخراً للتجول في مولات كوزواي باي المكيفة بالطبع إلى أن يقترب موعد أذان المغرب ومن ثم الإفطار، ولما عاد مايكل سعيداً فرحاً لأنه حصل على تأشيرة العمل بالفعل دون "فوت علينا بكرة يا سيد – أو

مدام عواطف غايبة النهاردة عشان ولادة بنتها ☺" قرر مغادرة الهوستل والرحيل إلى حيث السكن الخاص الذي يوفره له محل عمله.

ودَّعت مايكل بحرارة آملاً أن نلتقي مجدداً ما دام كلٌّ منا ما يزال في المدينة. وقبل الغروب نفذت ما خططت له ومع أذان المغرب الذي لم أسمعه بالتأكيد ولكن فقط عرفت موعده تناولت وجبة الإفطار، وبعدها ولأنني كنت وحيداً لم أخطط للذهاب إلى أي مكان بعد، فخطر على بالي أن أذهب إلى المسجد الموجود في كولون والذي يحمل اسمها لصلاة العشاء هناك ومعرفة مكانه حتى أتمكن من الذهاب إليه في الصباح الباكر لأداء صلاة عيد الأضحى دون أن أضل الطريق أو اضطر إلى السؤال الكثير، وبالفعل مستخدماً الإنترنت والتطبيقات الذكية دلني تطبيق Rome 2 Rio عن كيفية الوصول التي كانت بالفعل سهلة للغاية، فالمسجد يقع مباشرة إلى جوار محطة مترو "تسيم شا تسوى" بعدما نكون قد بدلنا الخط في محطة "ادميرالتى" ولكن عليك بالتأكيد اتخاذ المخرج المناسب حيث إن كل مخرج سيأخذك إلى شارع مختلف.

بالفعل ذهبت إلى هناك وصليت العشاء ولم أقابل عربياً واحداً هناك، وخرجت أسير في الشارع الذي كان على مقربة من مكان عرض سيمفونية الأضواء سالف الذكر، فإذ بي أجد يداً تلمس كتفي التفت لأجده روي قائلاً " يا لها من صدفة، يا له من أمر غير معقول " تبادلنا التحية والدهشة من الصدفة التي قال عنها " أقابلك مرتين في خلال أربع وعشرين ساعة في بلد تعدادها ملايين البشر...يا لها من مصادفة عجيبة "، ثم سألني ما إن كان لدي خطط محددة أم لا ؟ فلما أجبته بلا سألني

إن كان لدي مانع من أن يكون في صحبتي، بالطبع رحبت بعرضه الجميل وأنا أصلاً في قمة الدهشة حيث كنت أتمنى بعد مغادرة مايكل أن يرزقني الله بصحبة - حينها لم أكن قد تعرفت على "جيم" بعد –.

سرنا مع بعض كأصدقاء يعرف أحدنا الآخر منذ مدة، أخذني في جولة في مياه الخليج بمركب صغير أو عبارة لا تتكلف سوى اثنين ونصف دولار، وكانت جولة جميلة بالفعل، حيث استمتعنا بمنظر المياه المتلألئة بأضواء ناطحات السحاب، ثم عدنا من جديد إلى حيث موقعنا الأصلي وتناولنا وجبة العشاء سوياً، حينها فتح روي لي قلبه وحكى بعدما سألته قائلاً "أستطيع أن أتفهم أن يغادر مايكل بلده جنوب إفريقيا بحثا عن عمل وحياة في بلد آخر أفضل، ولكن ما لا أفهمه كيف لمواطن أوروبي نيوزيلندي أن يفعل المثل، صحيح هونج كونج لا تقل في أي شيء عن أوروبا ما لم تكن تزيد فيما يخص معدل الأمان وقلة الجرائم ولكنها تبقى هجرة غير اضطرارية " فأجاب أنه ترك نيوزيلندا لأنه لم يكن سعيدًا بها بسبب مشكلات أسرية، لم يفصح أكثر من هذا وأنا لم أرغب في أن أبدو سخيفاً "بيحشر مناخيره في اللى ملوش فيه" وأكمل هو أنه خرج من سكنه هائماً ضجراً بعد شجار مع صديقته أو ال Girl Friend وكان يرغب في ألا يبقى بمفرده وها أنا أتيته دون تخطيط، أنهينا الجولة بمشاهدة أحد عروض الشارع التي يكثر تواجدها في هونج كونج في كل مكان، ثم غادرنا بعدما اتفقنا على أن نبقى على اتصال ربما نتمكن من اللقاء مرة أخرى قبل سفري.

وهذا ما حدث بالفعل، حيث اتصل بي عشية السبت يومي الأخير في المدينة، واتفقنا أن نلتقي بعدما ينهي عمله في السادسة مساءً، فشاهدت عرضاً مسرحياً نهارياً مجانياً كنت قد حصلت على تذكرته من دار الأوبرا من قبل وبعدما انتهيت من العرض الذي لم أفهم منه شيئاً لكونه بالكانتونية لهجتهم أو لغتهم الخاصة [٥٦] ذهبت إلى حيث اتفقنا أن نلتقي في سوق السيدات، لأكمل ما كنت قد بدأته اليوم الماضي من رحلة التسوق، فصحبني مشكوراً بعد يوم عمل طويل، بل دلني على سوق آخر لم أكن قد سمعت به من قبل.

وذهبنا إلى هناك سوياً وتجولنا ووجدنا أن المعروضات في سوق السيدات أفضل من حيث الجودة والسعر، فعدنا من جديد إلى السوق وظل يصورني ويوثق الرحلة لأنه علم أنني أكتب عن الرحلات وسألني ما إن كانت هونج كونج ستكون في كتابي القادم أم لا؟ وقتها لم أكن متأكداً إن كنت سأتمكن من الكتابة عنها أم لا؟ ولكن ها هي هونج كونج تفرض نفسها على الحواديت، ولأنه يومنا الأخير سوياً رغبت أن أهديه هدية بسيطة أعبر له فيها عن امتناني لصحبته الممتعة في كل مرة، فاشتريت له

---

[٥٦] الكانتونية بحسب ويكيبيديا هناك خلاف كبير حول اعتبار الكانتونية لهجة من اللهجات اللغة الصينية أو اعتبارها لغة مستقلة وتحتل المرتبة ٢١ من حيث عدد المتحدثين للغات في العالم K ينتشر متحدثوا هذه اللغة بشكل رئيسي في مقاطعات قوانغدونغ، و قوانغشي في جنوب بر الصين الرئيسي، وفي هونغ كونغ، و ماكاو بالإضافة إلى أقليات في جنوب شرق آسيا، كندا، والولايات المتحدة ومن الجدير بالذكر أنني لما كنت فى دار الأوبرا لحجز عرض أوبرا لحضوره قالت الموظفة the show will be in Cantonese not Chinese أي العرض سيكون بالكانتونية وليست الصينية وهذا يعني وجود اختلاف بينهما

تيشرتاً كما فعلت لنفسي، وكان في قمة سعادته بهديتي، ربما لأن الأجانب أو الغرب ليسوا معتادين على تصرفات كهذه !

الطريف أنه أثناء حديثنا تطرقنا لمواضيع اقتصادية، ولما سألني عن دخلي في مصر وكم يساوي بالدولار الهونج كونجي وكنا وقتها نسير، فتوقف عن السير فاغراً فاه ظناً أنني نطقت الرقم بشكل خاطئ فلما طلب مني كتابته على التليفون وتأكد أنني نطقته بشكل صحيح قال لي كيف هذا !! وكيف أنت تسافر بلدان مختلفة حينها شرحت له الطريقة المصرية الأشهر في الإدخار وهي عمل جمعية ☺ وأخبرته أننا في مصر نحيا بهذه الطريقة وإلا لا سبيل لتحقيق أي حلم من هذا الدخل العجيب ! وشعرت أنه قد أشفق علي أو "بالبلدي صعبت عليه".

دروسي المستفادة :

١- علمتني صحبة كلٍّ من مايكل وروي أن البشر منفتحين على غيرهم وأنهم يقبلون الآخر وأن هواجس كراهية العرب والمسلمين موجودة بالفعل نعم ولكن لا داعي لأن تُعيق حركتنا في أرجاء العالم.

٢- كل يوم ويأتي برزقه، والرزق ليس مال وحسب، في السفر الرزق هو الأمان والصحبة الحلوة وقد رزقني الله منهما يومياً خلال هذه الرحلة.



الحدوتة السادسة : Guestavo "غلباوي بنص لسان"

الرفيق "جيستافو"، لا أقول الرفيق لأنه شيوعي - لا سمح الله- ولكن لأنه كان رفيقاً بالفعل ليوم كامل، كان الشاب العشريني قد أتى إلى الهوستل الذي أقيم فيه ليستقر لمدة ثلاثة أيام، لما وصل كنت أنا الموجود والمستيقظ في المكان فأحسنت استقباله بمنحه قطعة شيكولاته -وبطرق بسيطة كهذه عموما ما تكسب الناس وتفتح لنفسك مجالاً للحديث معهم- عرفت منه أنه من البرازيل ولكنه وللأسف لا يتحدث الإنجليزية بشكل جيد، فكنت أتكلم ببطء شديد محاولاً العثور على أكثر من مرادف للمعنى نفسه حتى يفهمني، ولما كنا نصل إلى طريق مسدود كان يمنحني هاتفه لأكتب عليه ما أقوله بالإنجليزية ويترجمه هو إلى الإسبانية، وعند السفر يكون المسافر الذي يعتمد على لغته الأم فقط عملياً بنصف لسان ولكن هذا لا يمنع من السفر ولا يعيقه.

مر يوم وصوله دون الكثير من الكلام بسبب حاجز اللغة، ولكن في صباح اليوم التالي استيقظت مبكراً في السادسة صباحاً للحاق بصلاة العيد في المسجد، فإذ به مستيقظاً أمام جهاز اللاب توب الخاص به، فسألني عن سبب الاستيقاظ المبكر فأخبرته، فرغب أن يحضر ويشاهد الصلاة، فسألني إن كان هذا بالإمكان فأجبته بنعم ولكن عليه أن يرتدي بنطالا وليس شورتًا، ففعل وتحركنا سوياً وذهبنا إلى مسجد كولون، وخلع نعليه كما رآني أفعل، وطلبت منه الجلوس في آخر المسجد وعدم إصدار أي صوت إلى أن انتهي من الصلاة، وسأل إن كان من الممكن التصوير فأجبته بنعم، فجلس يصور من بعيد تكبيرات العيد الجماعية ذات

الأصوات المنضبطة دون صراخ في الميكرفون كما نعتاد من الأطفال هنا، ثم كانت الصلاة التي اختلفت في هيئتها ولا أعلم هل هذا يعود لاختلاف المذاهب أم أنهم لا يعرفون الكيفية الصحيحة وليُفتني في هذا من لديه العلم حيث كانت هيئة الصلاة أن الإمام في الركعة الثانية بدأ بالفاتحة والسورة القصيرة ثم كبر خمسٍ وركع وهذا ما لا نفعله هنا في مصر حيث نبدأ بالتكبير أولاً.

المهم انتهت الصلاة دون مشكلات يسببها الأخ جستافو والحمد لله، وغادرنا المسجد ودخلنا إلى Kawloon park أو منتزه كولون ومكثنا فيه بضع دقائق والتقطنا مجموعة من الصور، وغادرنا عائدين للهوستل من جديد لنبدل ثيابنا أو لنتخفف من الثياب للدقة؛ حيث إن الطقس لا يحتاج للبس البنطلون، فشورت سيفى بالغرض.

اعتقدت أن صحبة جستافو لي انتهت بعدما فعل ما أراده وهو حضور ومشاهدة صلاة المسلمين لعيدهم، إلا أنه سألني ما إن كان لدي خطط لليوم، وتوافقت خططنا حيث أراد كلٌّ منا قضاء اليوم في قرية Ngong Pingحيث تعد معلمّا هامّا من معالم المدينة وهو Big Budda أو تمثال بوذا الكبير.

رحبت بالصحبة بالرغم من إدراكي أننا سنعاني مع بعضنا البعض بسبب اللغة، تولى هو عناء البحث عن كيفية الوصول واكتشفنا أننا سنستخدم المترو عدة مرات، وستستغرق رحلة المترو ساعة كاملة لأن القرية تقع على مشارف المدينة حتى بعد ملاهي ديزني لاند الشهيرة، كانت هذه المرة هي أغلى تذكرة مترو استخدمتها منذ الوصول وكانت ب ٢٦

دولار، كما أن جزءاً من الطريق كان محطات فوق الأرض وليست نفقية وكانت مطلة على البحر والجبل مباشرة.

وصلنا إلى حيث مكان شراء التذاكر، وللعلم المترو لا يصل بك للقرية ولكن يصل بك إلى التلفريك الذي يأخذك إلى القرية، وقفنا في الصف ولما أتى الدور علينا لحجز التذاكر علمنا أن التذكرة ذهاباً وإياباً ب ٢٠٠ دولار وهو مبلغ ليس قليلا بالتأكيد، فلما سألنا ألا توجد وسيلة أخرى للذهاب أو حتى العودة قالت الموظفة إن وسيلة العودة الوحيدة ستكون المشي سيرًا على الأقدام ونزول الجبل في طريق للمشاه ويستغرق هذا خمس ساعات على الأقل، فلما سمعنا هذا لم نتردد في حجز التذاكر، وحقيقة يا زين ما فعلنا، حيث إن رحلة التلفريك هذه صعوداً أو هبوطاً هي سحر وروعة وربما أو حتى بالتأكيد لن تمكنني الكلمات من إيجاد وصف أفضل من السحر والروعة، هي رحلة طويلة حيث تستغرق قرابة خمس وأربعين دقيقة، وهذا في عالم النقل بالتلفريك أو ما يُعرف بال Cable cars زمن طويل، وهو عبارة عن سبع محطات جبلية، كلما انتهيت من محطة وظننت أنك وصلت اكتشفت أن هناك جبلا أعلى ستستحبك الأحبال وأنت داخل كابينة التلفريك لتصل إليه، اللون الأخضر طاغ ومسيطر، والبحر أسفل منا، المنظر خلاب وبديع، ربما مخيف بعض الشيء خاصة لأولئك الذين يخافون من المرتفعات.

وصلنا إلى حيث القرية الجبلية أخيراً، لنجد أنفسنا في مكان فسيح، ليس قرية بالمعنى المعروف ولكن مكان سياحي يأخذ طابع القرية، حيث تجد طرق ممهدة بعناية وأناقة على الرغم من وجود عدد من الأبقار

التي ترعى وتسير بحرية في المكان تأكل من الحشائش المنتشرة في ربوع المنطقة، كان البقر الذي قابلنا آمن مطمئن من الذبح على الرغم من أن نظيره في مصر وغيرها كان يُذبح إكمالاً لشعيرة عيد الأضحى، لا داعي لأن أقول كم كان البقر نظيفًا بالفعل "وشكله يشرح القلب ☺"

أكملنا المسير وسط بنايات وبوابات تحمل الطابع الصيني في البناء، ثم وجدنا درج نسخة طبق الأصل ربما أو أكبر قليلاً من تلك الموجود في (باتو كيفز) في ماليزيا[٥٧]، ويقبع في الأعلى بنهاية الصعود تمثال ضخم لبوذا، صراحة في بادئ الأمر كنت لا أرغب في الصعود، من سويعات قليلة كنت في المسجد لصلاة عيد الأضحى والآن في ساحة بوذا ويقتضي الصعود له مجهود وعناء لأن الدرج طويل، هذا في الوقت الذي فيه الحجيج يتكبدون المشقة في سبيل الله، ولكن ولأن "جستافو" رغب في الصعود لالتقاط الصور من أعلى نقطة في المكان، ولأنني أخذت الأمر من محمل آخر وهو أنني صعدت (باتو كيفز) حتى النهاية وأنا حينها كنت ما أزال في العشرينات من العمر، ماذا عن لياقتي الآن وأنا في أوائل الثلاثينات، تُراني هل سأتمكن من الصعود أم كما عزت العلايلى ونبيل الحلفاوى في فيلم الطريق إلى إيلات " أنت ولا سنك ولا ليقاتك يسمحوا بكده ☺".

فأخذت الأمر على محمل من التحدي وصعدت بالفعل حتى النهاية. وبعيدًا عن بوذا والبوذيين الذين قابلتهم يتعبدون عند التمثال، المنظر من علٍ إذا ما أعطيت ظهرك لبوذا ونظرت أمامك ستجد سحرًا

[٥٧] سبق وأسهبت فى وصف باتو كيفز فى كتابي الأول (سفرنامة) فما لم تكن قرأته لسوء حظي فأمامك البحث عبر جوجل بنفسك هذه المرة.

وسيظل لسانك وقلبك كما لساني وقلبي يحمدان الله على جميل صنعه في الكون وعلى نعمه التي جعلتني أرى كل هذا السحر.

أنهينا جولتنا في القرية بعد وقت، وأذكر أننا جلسنا على منضدة تحت ظل شجرة كبيرة، وكنا نتحدث في أمور معقدة لن تُسعف إنجليزية جستافو في الكلام بها، فكنا نستخدم الإنترنت في الترجمة. وحتى لا تسأل عن هذه الأمور المعقدة أو تظنها النانو تكنولوجي - على سبيل المثال- لك أن تعرف أننا كنا نعقد المقارنات بين مصر والبرازيل من النواحي السياحية خاصة وأنني أتمنى زيارة البرازيل يوماً ما كما أن "جستافو" كان في خضم جولة مطولة تنتهيبالقاهرة لمدة ٣٦ ساعة قبل العودة إلى (ريو ديجانيرو) من جديد، وقتها عرفت منه أنه قد جاب تايلاند واليابان وهونج كونج التي سيغادرها إلى تركيا ومنها إلى القاهرة ...يا له من مسافر رائع لم يخش حتى من عامل اللغة ويقول لنفسه "أنا مش بعرف أتكلم إنجليزي هسافر إزاى".

عدنا من جديد إلى داخل هونج كونج بعدما استمتعنا مرة أخرى بجمال وسحر التلفريك الفريد، والذي أعتبره أفضل تلفريك استخدمته إذا ما قارنته بتلفريك كلٍّ من لبنان وسنغافورة وجورجيا.

وبالعودة إلى قلب هونج كونج لم ننه اليوم، بل رغب "جستافو" في مشاهدة عرض سيمفونية الأضواء، ولمَّا لم يكن هناك من خطة محددة لدي وافقت على صحبته لهناك، وبالفعل ذهبنا، ولكنها كانت تمطر للأسف، ولا يوجد عرض، ثم غادرنا بعدما وقفت لدقائق تحت المطر، أمنح خلاصة خبرتي وتجربتي الهونج كونجيه☺ إلى رجلٍ أربعيني وزوجته من الإمارات العربية المتحدة، وكان هذا يومهما الأول في المدينة.

غادرنا لأكون لجستافو مثلما كان "روي" لي، حيث أرشدته إلى مكان ركوب العبارة في مياة الخليج، وبالفعل ركبناها ولكن غادرنا في المحطة التالية ولم نعد لنفس المرفأ، حينها كان السيد "جستافو" قد شعر بالتعب فرغب في العودة للهوستل وحينها رغبت أنا في مشاهدة فيلمَا سينمائيًا، فافترقنا، بعدما أمضينا مع بعض يوماً لن أنساه، خاصة أن جستافو هذا كان ممن يقال عنهم Influncer أو المؤثرون، ولديه متابعون كُثر على حسابه على انستجرام وبالتالي كنت في صحبة مهوس تصوير بالمعنى الحرفي للكلمة، ففضلاً عن كونه يحمل كاميرا للتصوير الاحترافي كان يحمل كاميرا صغيرة معروفة تُدعى Gopro بالإضافة إلى كاميرا هاتفه المحمول، وكان كل عشرة أمتار تقريباً يتوقف للتصوير وكان يطلب مني تصويره، ولأنني لست مجيدًا للتصوير وأيضاً لا أحبه، كانت الصور التي التقطها له لا تٌعجبه فيطلب مني بأدب جم أن أعيد التصوير ويمنحني توجيهات للحصول على أفضل صورة ممكنة، وذكرني هذا بصديق ورفيق الرحلات **أحمد فوزي** حيث كثيراً ما يحدث بيننا مواقف جمة تخص التصوير الذي يحبه هو ولا أجيده أنا.

العجيب أنه وبالرغم من اندامجنا أنا وجستافو في هذه الصحبة، إلا أنه في صباح اليوم التالي كان قد انتقل باهتمامه إلى الفرنسى ليو، وأمضيا سوياً اليوم الأخير لجستافو في هونج كونج، والأعجب أنه وعلى الرغم من الزحام الموجود في المدينة وأنها تُصنف ضمن المدن الأعلى في الكثافة السكانية، فإنني قابلتهما بالصدفة وأنا واقف في طابور منتظرًا دوري لأحجز تذكرة دخول لمتحف الفضاء.

وبسيرة المتحف وبشكل سريع ومختصر دعني أخبرك أنه متحف جميل وتعليمي في المقام الأول لذلك سيكثر تواجد الأطفال هناك سواء عن طريق رحلات المدارس أو حتى باهتمام شخصي من الأهل، حيث تجد بالداخل مجسمات عن الكواكب والكرة الأرضية والمجموعة الشمسية والنجوم والقمر وما إلى ذلك بشكل شيق وجذاب للكبار والصغار معاً.

وبسيرة الصدف التي لم يكن لها نهاية في (هونج كونج) والتي جعلتني أشعر أن (هونج كونج) كما نقول بالعامية المصرية " أوضة وصالة" أنني لمَّا كان يوم الجمعة وبعد الانتهاء من أداء الصلاة خصصت اليوم لشراء الهدايا للأهل وبعض الأصدقاء، فلما كنت في سوق السيدات قابلت أسرة عربية من الخليج، رجلاً وثلاث سيدات ولم نتبادل أنا والرجل سوى التحية العابرة عندما وقفنا سوياً أمام بائعة نفاصلها في الشراء "الخلايجة طلعوا بيفاصلوا يا جماعة زينا ☺"، ولما انتهيت من التسوق وعدت للهوستل وتركت المشتريات التي أرهقت يدي وجيبي أيضاً، قررت الخروج والذهاب إلى ميدان ومول يحمل نفس الاسم Times Square وهو يبعد كل البعد عن مكان سوق السيدات، ولكن للصدفة العجيبة قابلت الأسرة الخليجية مرة أخرى !

دروسي المستفادة :

١- ربما يكون الدرس الأهم هنا بالنسبة لي أنه حتى اللسان لا يقف حائلاً بين الناس.



الحدوتة السابعة : سمر

هذه المرة هذا ليس اسم فتاة التقيتها هناك وكانت عربية أو مصرية مثلاً، على الرغم من كون الاسم من أسمائى المفضلة، إلا أن "سمر" تلك التي أقصدها هي جلسات السمر " كما جلسات وناسة في الخليج ☺". وأتحدث هنا عن تلك الجلسات التي جمعتني برفقاء السكن أي الهوستل، حيث كنا نجلس يومياً مساءً نتبادل الحديث في أمور متنوعة كما سبق أن أوضحت، أذكر مثلا أحاديثي مع جوش الإنجليزي من ليفربول، بالتأكيد أتى ذكر "محمد صلاح" لاعب الكرة الأشهر وأتى ذكره من "جوش" ليس مني عندما علم أنني مصريّ فقال "مثل مو صلاح !" فقلت نعم " لكن هو فين وأنا فين طبعا".

وكان يدفعني الفضول لمعرفة ما الذي يدفع ابن بريطانيا العظمى وليفربول إلى مغادرتها والاغتراب في بلاد الله مع خلق الله المختلفين عنه وعن ثقافته وطباعه مثلاً، ولما سألته وجدت عجباً - ويا للعجب - أن البريطاني لا تعجبه الأوضاع في المملكة التي كان لا يغرب عنها الشمس[٥٨]، وأنه ليس معجب بفكرة وجود أسرة مالكة وقصر يقتطع من موازنة الدولة لتلبية رغباتهم. ليس هذا بالتأكيد سبب مغادرته لبلده، ولا تظن أو يشطح بك الخيال أنه مهاجر رغم أنفه أو إرادته بسبب انتقاداته التي يجأر بها أمام من يعرفه ولا يعرفه، فالأمور هناك لا تسير على هذا النحو

[٥٨] هو وصف للملكة المتحدة كان قد أطلق قديماً نظراً لتوسعها الاستعماري الذي جعلها تستحوذ على بلدان تُمثل ٢٤% من مساحة الكرة الأرضية وتحكم قرابة ال ٤١٢ مليون نسمة فى هذه البقاع المختلفة ، والوصف كان للتدليل على أن الشمس موجودة فى مكان ما يتبع بريطانيا وبالتالي لا تشهد غروباً للشمس.

بالتأكيد، والرجل إن بقي في المملكة المتحدة سيظل آمناً لا يخشى شيئًا بل ويحظى بكافة الحقوق الرائعة التي توفرها الحكومة البريطانية لمواطنيها من رعاية صحية وتعليم وثقافة وحرية وخلافه، ولكن كلامه هذا كان من باب وجهة النظر والدردشة.

أما سبب مغادرته هو حجم الرواتب في (هونج كونج)، وأن العرض المالي الذي قُدم له كان مغريًا ولا يمكن رفضه خاصة وأنه لن يحقق مثله إن ظل في بريطانيا، كما أن العائد المالي هذا سيمكنه من أن يحقق حلمه بأن يجوب العالم ويعزف الموسيقى في معظم بقاع الأرض.

ومما أذكره عنه، أنني في مرة عدت للغرفة من الخارج فوجدته هو وشاب ياباني لم أحفظ اسمه لأننا لم نتزامل في الغرفة سوى ليلتي الأخيرة فقط، يجلسان يشاهدان سوياً مبارة كرة قدم، ويا للعصبية التي كان عليها "جوش" كلما أضاع فريقه فرصة لإحراز هدف "اخفى من وشة الساعة دى ☺" هذا هو التعبير الأمثل لما رأيته عند مشاهدته لكرة القدم، كما أنه ظل في "مود" أو حالة مزاجية سيئة لأن المبارة انتهت بالتعادل الإيجابي، هدف لكل فريق، لم يعتدل مزاجه سوى في الصباح.

أما "ليو"، فكنت أحب الكلام معه بسبب لهجته في نطق الإنجليزية، طريقته المشوبة بالطريقة الفرنسية في النطق كانت جميلة، وهو أيضاً كان شخصاً وسيماً شكلاً وجميلاً مضموناً. تبادلنا المعلومات حول الأماكن التي زارها كلٌّ منا وكان من الممكن أن نكون رفقة في رحلة جزيرة (ماكاو) ولكن لم تحدث للأسف وأبدلتها برحلة الشراء والتسوق.

من جلسات السمر أيضاً جلسة كانت مع فتاة من البرتغال، رائعة شكلاً وموضوعاً، مرحة إلى أبعد الحدود بمجرد ما وصلت الهوستل في الحادية عشر مساءً ودخلت ووجدت أناسًا لا تعرفهم ولم يسبق أن رأت أحداً منهم في حياتها ولكنها مع ذلك كانت ودودة مع الجميع، شاركتنا قصتها في كونها آتية تواً من اليابان وسبقتها تايلاند وأنها ستلحقها بالصين بعد زيارة لقريب لها يعيش في جزيرة ماكاو، قضينا حينها ليلة من الضحك والكلام عن الثقافة في بلاد أمريكا اللاتينة، وما ندمت عليه حقاً أنني لم أدون اسمها لأتذكره خاصة وأننا لم نلتق سوى هذه الليلة، كما ندمت أنني لم أطلب من رفقاء الهوستل جميعاً صوراً تذكارية أو حتى تبادل بعض وسائل الاتصال بهم كما فعلت مع الفلبينين رفقاء رحلة الصين.

الساحرة هونج كونج

إلى هنا ربما انتهت حواديت البشر معي في (هونج كونج) لكن الكلام عنها لم ينته بالتأكيد لنبدأ أولا بالأمور الأساسية وبعدها الكلام عن المعالم والأماكن.

١- أما عن التأشيرة: فكما أسلفت حتى وقت سفري كانت الأمور يسيره فقط احجز تذكرة طيرانك واذهب بحقيبتك إلى المطار، لا تأشيرة مطلوبة. وربما لاحظت أنني عند الكلام عنها في أول الأمر كنت أقول تصريح الدخول وليس ختم الدخول، حيث للأسف لا تمنح (هونج كونج) ختماً خاصاً على جواز السفر كما هو معتاد في مطارات دول العالم المختلفة، وما يحدث كالتالي: تُمنح على الطائرة ورقتان أحدهما تعمل عمل الكربون القديم وتطبع ما

تدونه على الورقة الأولى على الثانية، في المطار وأمام ضابط الجوازات تمنحه الورقتان، فيأخذ الأولى ويترك معك الثانية ثم يمنحك ورقة أخرى، وهي عبارة عن تصريح دخول (هونج كونج) وصالح للإقامة في البلد دون العمل بها لمدة تسعين يوماً، هذا طبعا إن لم تتعرض لمرحلة التحقيقات كالتي جرت معي أو تعرضت لها واجتزتها بنجاح.

وجدير بالذكر أن الورقة التي هي صورة لأصل أصبحت الآن في عهدة الجوازات، ومكتوب على ظهرها أنها ذات أهمية وأنه ينبغي عليك عدم إضاعتها لإعادة تسليمها عند السفر ومغادرة (هونج كونج)، وفي حال ضياعها يتوجب عليك الذهاب إلى إدارة الهجرة والجنسية لتحصل على ورقة بديلة لها مجاناً ولكنك لن تغادر (هونج كونج) حتى تعيد إليهم هذه الورقة.

فيما يخص ما إن كانت (هونج كونج) تحتاج إلى تصريح أمني للسفر من مجمع التحرير أم لا، حتى وقت كتابة هذه الأسطر المفترض أنه لا يحتاج السفر إلى هناك لتصريح على الرغم من أن معظم الدول الموجودة بلائحة التصريح الأمني هي من الدول التي لا تحتاج إلى تأشيرة مسبقة وبالتالي تقنن الدولة السفر لها دون إخطار مسبق.

٢- الإقامة : كما بت تعرف الآن أنني أصبحت من المقيمين بالهوستلات عموماً، أما الذي نزلت فيه فدعني أقول إنه لا بأس به "يمشى حاله" هو نظيف بالفعل وفكرة وجود أربعة حمامات في غرفة يسكنها عشرة أشخاص هي فكرة جيدة بالتأكيد، ولم

يحدث في مرة أن احتجت لاستخدام مرحاض ولم أجد أحدهم شاغراً، اسم الهوستل سهل وبسيط Hong Kong Hostel وموقعه ممتاز ومثالي في قلب Causway bay النابض بالحياة والحركة والقريب من كل شيء المترو ومحطات الأتوبيس وكل أغراض التسوق " الغالي" وأيضاً الترفية ودور السينما المختلفة، عيبه الجوهري بالنسبة لي أنه كان به أجهزة تكييف قديمة "شباك" فلما كانت تمطر في الخارج كان يبدأ سيمفونية من الازعاج غير المنتهي إلا بانتهاء المطر حيث صوت ارتطام المطر المنهمر على الجزء الخارجي من التكييف.

ذكر أنني في مرة استيقظت من النوم بمجرد ما بدأ المطر في الهطول، ولمّا لم أستطع العودة للنوم مجدداً، بدلت ملابسي واصطحبت مظلتي وخرجت أمشي تحت المطر المنهمر بغزارة في الخامسة فجراً. هذا وقد وجدت أن الهوستل الذي أقام به "جيم" أفضل في بعض الخدمات، كتوفيره مساحة خاصة كـ لوبي أو بهو يمكن النزلاء البقاء فيه والحديث حتى الصباح - إن أرادوا - وبالتالي لا يزعجون النزلاء الآخرين الذين يرغبون في النوم، وللأسف هذه ميزة لم تكن موجودة في الهوستل الذي أقمت به، كما يوجد به مطبخ متكامل يمكن استخدامه إذا ما أردت إعداد وجبات ساخنة بنفسك، كما يوجد به جهازي كمبيوتر مجانيين للنزلاء، هذا بالإضافة لكون طاقم العمل متعاون ويجيب على كل الاستفسارات بأريحية وود، ربما يكون عيبه هو وجود غرف بها ٢١ نزيل وربما تكون كلمة نزيل هنا هي الأنسب، ويوحي العدد أنهم نزلاء زنزانة في سجن أو حتى مهجع جنود في كتيبة بالجيش وليس في بيت شباب، ولكنني

دخلت مع "جيم" لمهجع النوم هذا، ووجدته نظيفاً تماماً ولا رائحة غير مرغوبة أو سيئة فيه، كما يوجد به مرحاضان غاية في النظافة، ولأن الجميع يدخل المكان على النوم فقط ستجد أنه هادئ رغم ازدحامه، كما أن بجوار كل سرير ستارة خاصة تمنحه قدراً من الخصوصية. بقى أن تعرف اسمه وهو Yesinn. وعلى كل الأحوال إذا ما نويت السفر إلى (هونج كونج) خذ فكرة عن المكانيين وابحث بنفسك ربما تعثر على ما هو أفضل.

٣- المصروفات: آسف أن أخبرك أنه من الممكن تصنيف (هونج كونج) كواحدة من أغلى وجهات السفر، ففضلاً عن تذكرة الطيران ذات السعر المرتفع والتي ربما يكون بإمكانك تجنب السعر الباهظ إذا ما حجزت تذكرتك قبل السفر بثلاثة أشهر مثلاً، لك أن تعرف أنها "بلد غالية" صحيح كان من حسن الحظ أن الجنية المصري لم يكن متضعضعاً في حاله أمام الدولار الهونج كونجي؛ حيث سبق وأوضحت أن الأخير يساوى ٢.٣٠ جنيها تقريباً إلا أن هذا لم يكن يعني أن الأسعار جيدة، فعلى سبيل المثال إليك بعض الأسعار التي واجهتها هناك :

١) تذكرة المترو : إذا ما اشتريت تذكرة منفردة ستكون أغلى من تلك التي تدفع ثمنها عن طريق كارت إلكتروني يُدعى Octpus card - وهو يمكّنك من دفع قيمة كافة المواصلات وكذلك الشراء من السوبر ماركت ودفع قيمة الوجبات في المطاعم المختلفة وشراء الملابس أو أي شيء. باختصار هو كارت يمكنك من الشراء بصفه عامة ويمنحك بعض التخفيضات عند الدفع به بدلاً من الدفع النقدي المباشر،

أقل سعر تذكرة مترو صادفني كان ٥ $HK وأعلاها ٢٦ إذا استثنيا تلك التذكرة من المطار إلى وسط المدينة التي تكلفتها ١١٠.

٢) في السوبر ماركت مثلاً ستجد أن علبة الزبادي الكبيرة والتي عادة ما أحيا عليها في الخارج كانت بحوالي ٤٧ $HK وبالتالي وجدت "عبد المنعم مدبولي" - رحمه الله - يقول في عقلي" ان شا الله ما عن حد اتعزم ولا حد طفح☺" وبالتالي تخليت عن علبة الزبادي الكبيرة واكتفيت بالبحث عن تلك الصغيرة التي عليها عرض "اشتري واحدة واحصل على الثانية مجاناً مقابل ١٥ $HK"، أما المياه والتي لا غنى عنها فالزجاجة الصغيرة في أفرع 711 المنتشرة هناك كما معظم دول جنوب شرق آسيا لا تقل عن ٨ $HK والكبيرة ١٣ في حين أنه في السوبر ماركت الكبيرة تجد زجاجات مياه كبيرة عليها عروض "اثنان بسعر ١٣ حتى HK$٢٨ "وأنت وحظك يا تلحق تشترى يا متلحقش"، قطعة الكيك ١٥ $HK، طبق الفاكهة ٢٠٠جرام ٣٨ $HK.

٣) الفاكهة مثلاً ستجد أن قطعة المانجو الواحدة تصل إلى ٤٠ $HK وبالتالي يقفز إلى ذهنك وأنت تودع زمن "الكيلوات" الجميل الذي نعرفه هنا في مصر نفس ما قاله "عبد المنعم مدبولي" في فيلم الحفيد، أما الأربع أصابع من الموز الشهي بحق والفاخر كانت والحمد لله في متناول يدي حيث سعرهم HK$١٠ فقط لا غير.

٤) الملابس والحقائب وما شابه، هذا يعتمد على مكان الشراء فإن كان من (كوزواي باي) فهذا يعني ثروة حيث أعجبني قميص في أحد المحال فوجدته يتجاوز ال HK$١٢٠٠ فأعدته إلى مكانه بهدوء، أما إن كان تسوقك من سوق السيدات مثلاً فلا مجال لمقارنة الأسعار

ولكن لا يعني هذا أنها رخيصة ! على الإطلاق ولكن لنقل مقبولة إلى حد ما.

٥) الطعام، أما وجبات ماكدونلدز فكانت مقبولة حيث تترواح بين ال ٣٥ وال ٥٠ دولار على حسب الوجبة، أما المطاعم الإسلامية والتي هي موجودة ولكن ليست منتشرة ومعظمها تركي فكانت تستغل فكرة الاحتياج والعرض والطلب وأسعارها مبالغ فيها.

ولا يعني حديثي هذا أن البلد جحيم، أو أنك إذا سافرت ستجوع وتعرى، لا هذا ليس صحيحًا، ولكن هذا يعني أنه سيكون عليك الاقتصاد وعدم إطالة فترة بقائك هناك.

٤- أفضل أوقات الزيارة: لم يكن توقيت زيارتي هو التوقيت الأفضل، حيث كانت زيارتي من ١٦ وحتى ٢٦ أغسطس ٢٠١٨، كانت الرطوبة في أوجها في هذا التوقيت، والمطر ينهمر دون سابق إنذار ووقتما يحلو له، وبالتالي كان لا غنى عن الخروج بالشمسية أو المظلة طوال الوقت، ولكن هذا لم يمنع أو يعق استمتاعي لعدة أسباب، هو أنني أقضي أجازة العيد خارج مصر، كما أن البلد بها بنية تحتية مثالية، فلا أثر للمطر ولا برك من الطين أو المياه مهما كان حجم الأمطار وبالتالي هي أجواء حلوة لمحبي المطر والنظافة في آن واحد. ومما عرفته أنها من شهر يونيو وحتى شهر سبتمبر تكون في فصل الصيف بالطبع ولكنها معرضة للرطوبة مع الأمطار الكثيفة والأعاصير. وبالفعل بعد أسبوعين تقريباً من عودتي تعرضت (هونج كونج) لإعصار تسبب ببعض الدمار والتلفيات. أما

أفضل أوقات الزيارة فربما من أكتوبر وحتى ديسمبر حيث الطقس أفضل بكثير كما أنها تشهد زحاماً رهيباً في احتفالات رأس السنة الميلادية، كما يُعتبر شهري إبريل ومايو من أشهر الطقس الجيد كذلك.

إذا لنبدأ في الكلام عن هونج كونج[٥٩] ذاتها، ربما لاحظت حيرتي في الوصف هل هي مدينة، هل هي بلد أم ماذا؟ دعني أقول إنني أراها "اثنين في واحد" بمعنى أنها من الناحية الرسمية هي مدينة ذات حكم ذاتي ويُطلق عليها بالإنجليزية:

Hong Kong Special Administrative Region of the People's Republic of China

أي منطقة هونغ كونغ الإداريَّة الخاصَّة التابعة لجمهوريَّة الصّين الشعبيَّة، وبالتالي نفهم من هذا أنها جزء من الصين، ولكن الأمر أكثر عمقاً وربما تعقيداً من هذا، كما أسلفت هي تتمتع بالحكم الذاتي المستقل مما يعني أنها لها حكومة مستقلة، وعملة مستقلة عن الصين

[٥٩] هي إحدى المنطقتين الإداريّتين الخاصّتين التابعتين لجمهورية الصين الشعبية إلى جانب منطقة مكاو، تقع مدينة هونغ كونغ على ساحل الصين الجنوبيّ، محصورةً ما بين بحر الصين الجنوبي ودلتا نهر اللؤلؤة، وأصل تسميتها أي الميناء العطرة نسبة إلى رائحة البخور التي كانت تنتشر قرب الميناء بسبب مصانعه ،تُعَدُّ هونغ كونغ واحدةً من المراكز الاقتصادية الرّائدة في العالم، إذ تمتاز باقتصادٍ رأس ماليٍّ مزدهر يقوم على الضرائب المنخفضة والتجارة الحرّة، وتعتبر عملة المدينة - دولار هونغ كونغ - العملة الثامنة الأكثر تداولاً على مستوى العالم بسبب صغر مساحة المدينة وكثرة السكّان. تتميّز هونغ كونغ كذلك بمراتب دولية متقدِّمة في مجالاتٍ عديدةٍ أخرى، مثل الحرية الاقتصادية وجودة الحياة ومكافحة الفساد والتنمية البشرية وغيرها، ووفق تقديرات الأمم المتحدة ومنظمة الزراعة والأغذية العالمية فإنّ متوسّط عمر الإنسان في هونغ كونغ أعلى من أيّ منطقةٍ أخرى على وجه الأرض.

وكذلك نظام قضائي مستقل، وتخضع للتبعية الصينية فيما يخص العلاقات الدبلوماسية والحماية العسكرية.

ما السبب في هذا الوضع؟ للأمر تاريخ، كانت تخضع (هونج كونج) في السابق لسيطرة وتبعية الإمبراطورية البريطانية وقت كان لا يغيب عنها الشمس ثم تعرضت للاحتلال الياباني أثناء حرب المحيط الهادىء[٦٠] ثم استعادتها بريطانيا وظلت تحت تبعيتها حتى عام ١٩٩٧ وأصبحت تحت التبعية الصينية ولكن بوثيقة منحتها استقلالاً جزئياً وحكماً ذاتياً، ومبدأها "بلد واحد ونظامان مختلفان" وهو ما ستدركه بسهولة إن سبق لك زيارة الصين ثم أتبعتها بهونج كونج أو العكس، فإذا ما أردنا عقد مقارنة سريعة بين كلٍّ منهما حينها سنخلص بالنتيجة غير الرسمية "هذه بلد وتلك بلد أخرى".

وعلى سبيل المقارنة السريعة:

م	وجه المقارنة	الصين	هونج كونج
١	الشعور بالزحام	لن تشعر به بصورة واضحة خاصة في بكين	ستشعر به بسهولة وبالذات في مترو الأنفاق والمحطات

[٦٠] تشير إلى الحرب التي دارت على نطاق واسع لأجزاء من المحيط الهادئ والجزر الموجودة فيه، والشرق الأقصى لآسيا خلال الحرب العالمية الثانية .وتعتبر حرب المحيط الهادئ بدأت يوم 7 ديسمبر 1941 م مع غزو ملايا البريطانية والهجوم على بيرل هاربور في الولايات المتحدة من قِبل قوات الامبراطورية اليابانية.

			المركزية
٢	السهر	لن تشعر أن بكين تسهر، إلا في أماكن محدودة، ومنذ التاسعة مساءً ستجد قلة من البشر في العديد من الشوارع	لا تنام مبكراً، على الأقل ليس قبل منتصف الليل ودوماً ستجد أناسًا في الشارع مهما تأخر الوقت
٣	اللغة	الصينية	الكانتونية
٤	العملة	اليوان الصينى	هونج كونج دولار
٥	التعامل المالي	لا يوجد تداول عملة خارج البنوك	توجد مكاتب صرافة "عادي جدا"
٦	التعامل الأمني	نظام شمولي يقتضى السير بالهوية أو جواز السفر باستمرار	لا تجد أحداً يسألك عن أوراقك الثبوتية وتسير بحرية كاملة
٧	الانطباع العام	منظمة بدقة وجميلة	جميلة وصاخبة ومليئة بالحياة

فيما يخص المشاهدات، فقد سبق وذكرت بعضها خلال سرد الحواديت، فكان منها سيمفونية الأضواء ومعرض الطعام بأرض المعارض لديهم الأكثر تميزاً وإبهاراً وربما اتساعاً أيضاً، كما كان من بينها Victoria peak[٦١] حيث السير وسط الطبيعة والجبل الشاهق الأخضر والأشجار فارعة الطول. السير الذي يشعرك أنك تسير في جنة أرضية، حيث تتعانق الطبيعة المتمثلة في الجبل مع المنظر الجميل والبانورامي للمدينة بأكملها والذي تشاهده من ال Victoria Terrace أو شرفة قمة فيكتوريا.

وأيضاً كان من ضمن المزارات قرية (تيان تان بودا) والموجود فيها التمثال الأكبر لبوذا في الصين وهونج كونج عامة.

أما عن المزارات الأخرى فكان منها (دار الأوبرا) في (هونج كونج٩، وشاهدت عرضًا أوبراليًّا وبعدما انتهى حصلت على تذكرة مجانية لعرض مسرحي آخر في يوم مختلف ولكن نهاراً. ودار الأوبرا لديهم حكاية في حد ذاتها، ففضلاً عن مساحتها الكبيرة للغاية، وروعة المسرح بها، وتنوعها، بل لنتحدث عن فخامة وجمال السجاد المفروش فيها على الأرض بأكملها في كل الطوابق، على الرغم من كون البلد ممطرة معظم الوقت ولكنهم على ثقة أن المطرة لن تُخلف سوءًا يُفسد السجاجيد. أما العروض التي

---

[٦١] يقع جبل فيكتوريا في النصف الغربي من جزيرة هونغ كونغ، ويُعرف أيضا باسم جبل أوستن ومحلياً باسم القمة "ذا بيك"، يبلغ ارتفاع قمته ٥٥٢ متراً وهو أعلى جبل في الجزيرة ولكنه في المرتبة ٣١ في كامل منطقة هونغ كونغ الإدارية الخاصة حيث تُعتبر تاي مو شان النقطة الأعلى بارتفاع ٩٥٧ متر ، كانت القمة خلال فترة بداية الاستعمار البريطاني تضم الحي الأغنى والأكثر تميزاً في الإقليم، وقد كان مخصصًا للأوروبيين فقط لأنه ذو طقسٍ لطيف بالمقارنة مع بقية المناطق، ولم يكن يُسمح لأهل المنطقة من الصينيين بالعيش هناك حتى بعد الحرب العالمية الثانية.

حضرتها والتي طبعا لم أفهم شيئًا منها بسبب حاجز اللغة إلا أنني أستطيع أن أقول إنهم أناس مهرة في عروضهم الأوبرالية أو المسرحية، فبراعة ألوان الديكور وروعة الملابس ذات الطابع الصيني القديم وأناقتها كل هذه عناصر يمكنك إدراكها حتى وإن غابت اللغة واختفت، والعجيب أن مدة العرض المجاني ثلاث ساعات ونصف الساعة، يعرض الفنانون مسرحيتهم لجمهور عريض متواجد في الصالة صحيح ولكن دون أن يدفع دولاراً واحداً في التذاكر، يبدو أن مبدأ "أبوبلاش كتر منه موجود عند أهل هونج كونج☺".

ومن المزارات تجد (متحف الفضاء) الذي سبق وتكلمت عنه، وكذلك متحف التاريخ الخاص بهونج كونج، وهذا زرته قبيل موعد الطائرة بساعات، وصراحة كان متحف يستحق الزيارة، حيث تصميمه المختلف، فهناك ستشعر أنك في ديكور لفيلم سينما، يأخذك في رحلة من الخيال ليجوب بك وسط تاريخ هونج كونج القديم والحديث.

وبالحديث عن المساجد، فكانت زيارتي هناك لمسجدين الأول هو (مسجد كولون) والواقع بشبه جزيرة كولون، وهو من المفترض أنه يتسع لنحو خمسة آلاف مصلي ومكون من طابقين، لن أقول فخم في البناء أو مهمل كما المسجد الذي صليت الجمعة به في بكين. ومن الطريف أنني كنت قد اتصلت بإدارة المسجد لمعرفة موعد صلاة العيد فقالت لي فتاة ردت على المكالمة أنها متاحة في السابعة صباحًا والثامنة والنصف، والتاسعة والنصف والعاشرة والنصف !! فظننت أنها لم تفهمني، فأنا لم أسألها عن موعد فيلم سينما مثلاً فتقول لي مواعيد ال"ماتينه والسوارية"

، فلما أعدت عليها السؤال بعبارات مختلفة أجابت بنفس الإجابات فلما أبديت دهشتي من وجود عدة مواعيد مختلفة للصلاة فعلمت منها أنهم يفعلون هذا حتى يتمكن أكبر عدد من مسلمي هونج كونج من الحضور، أولاً من أجل الزحام ووجود أماكن نظراً لقلة عدد المساجد هناك، وثانياً حتى يتمكن الناس من ترك أشغالهم بالاستئذان مثلاً أو الانصراف المبكر حيث إن أيام العيد ليست أجازة بطبيعة الحال لديهم كما أنها لم تصادف العطلة الأسبوعية.

وكان المسجد الثاني هو (مسجد عمّار)، وهو مركز إسلامي وليس مسجدًا فحسب، حيث به مكان لتعليم السيدات المسلمات بعض الحرف النسوية، وكذلك يُعلم الجنسين اللغة العربية والقرآن، كما يوجد به مطعم إسلامي في آخر طوابقه، وللأسف هذا لم أكتشفه إلا قبل مغادرتي لهونج كونج بيومين تقريباً، على الرغم من كونه على مقربة من (كوزاواي باي) ولا حاجة لركوب مواصلة ما فقط بعض السير. والمسجد كان آية في الجمال والعناية والنظافة وأحببته لدرجة أنني يوم السفر قررت ألا أتحرك للمطار إلا عقب الصلاة فيه، فكانت صلاة المغرب الأخير لي بهونج كونج الجميلة.

ربما تبدو مزارات المدينة قليلة، أو يبدو أنني مكثت فيها أكثر مما تستحق. دعني أقول إن أغلب السائحين بها لا تتجاوز إقامتهم الخمسة أيام، أما أنا فمن أنصار أنه "إن عشقت اعشق قمر ...ولنترك الجمل في حاله فلا داعي للسرقة لأنها حرام طبعاً".

كان من الصعب بالنسبة لي أن أتكبد عناء السفر الطويل لمجرد المكوث لمدة قصيرة، ولهذا فعلت كما اعتدت، حاولت إطالة مدة بقائي هناك إلى أطول فترة ممكنة فكانت العشر أيام. والحق يقال إنني لم أمل أو أشعر بالضيق أو الزهق من البقاء هناك على العكس تماماً، فمجرد السير في (كولون) وشوارعها أو (كوزاوي باي) بنظافتها الجميلة البراقة يجعلك في مزاج ممتاز ومعتدل، وبالتالي لم أمل بل ورغبت أن أبقى فيها أكثر حتى مع قلة المزارات، هذا على الرغم من أنه كان هناك مزاران لم أرهما، أما الأول فهي مدينة الملاهى ديزني لاند ولم أذهب لعدة أسباب أولها سعر التذكرة حيث كانت ب Hk$٦١٩ والثاني أنني لم أجد أي صحبة تشجعني للذهاب وكلما قلت لأحد رفقاء الهوستل لنذهب لديزني لاند وجدته يقول إنها للأطفال أو للعائلات أما نحن الشباب فما حاجتنا بها، والسبب الثالث أنها محاكاة أو لنقل أنها هي الأصل والأخرى محاكاة ليونيفرسال ستوديوز في جزيرة سنتوزا بسنغافورة، وسبق وأمضيت والأخوين فوزي هناك يوماً لن يُنسى، وبالتالي كان بريق الانبهار الأول قد ذهب في سنغافورة.

أما المزار الآخر فهو جزيرة ماكاو، ولأنها تخضع لجوازات أخرى وتحقيق آخر آثرت عدم الذهاب واستغلال المال في التسوق، هل ندمت ؟! ربما لأن "ليو" بعد عودته أراني صوراً جميلة من هناك، ولكن عموماً لا يوجد شيء مميز هناك سوى كثرة نواد القمار فهي تسمى Las Vages جنوب شرق آسيا، وبالتأكيد لا حاجة لي في القمار ولا مال أيضاً☺.

أما عن الانطباع العام عن المدينة والناس، فالناس متعاونون كما أوضحت في الحدوتة الثانية، ويتحدثون الإنجليزية بسهولة وكثرة لا تعرف الندرة الموجودة عند الصينيين، لم تصلهم أخلاق الزحام بعد، لأنه لم يجتمع عليهم الزحام وقلة النظافة وسوء الخدمات كما آخرين، فقط لديهم زحام، زحام قد يضرك في بعض الأوقات الانتظار في محطة المترو إلى أن يأتي سبع قطارات المحطة ويغادرون الواحد تلو الآخر، ومن فرط الزحام لا مكان لك في أيٍّ منهم ويكون مكانك في القطار الثامن، وبالرغم من هذا الزحام الشديد لم ألحظ أن أخلاقهم تأثرت به وأصبحوا أقل ذوقاً أو أقل تعاوناً.

الحديث عن المرور في دول جنوب شرق آسيا وربما في كل الدول التي زرتها إلى الآن حتى غير الآسيوية هو حديث يثير الحزن في النفس، فدرجة الانضباط التي تجد فيها المرور هناك وجودة الأسفلت وروعة التزام الناس بالإشارات وجمال الشوارع وفرط نظافتها كل هذا إذا ما قارنته بما تعرفه بالتأكيد سيصيبك الحزن.

ربما آخر كلامي يكون معلومة قالها لي "فونج" وهو معيار الشفافية هناك، حيث في الحافلة التي أقلتنا من المطارإلى وسط المدينة كان بها شاشة معلن عنها بوضوح الراتب الشهري للسائق وكان قرابة ال ٢٠ ألف دولار، فلما سألته لماذا الأمر علني هكذا أجاب أنه أولاً لتشجيع الناس الذين لم يحصلوا على شهادات عليا على العمل في هذه المهنة عندما يعرف أن راتبها لا بأس به، فلما أبديت دهشتي من لا بأس به هذه!

فقال إن هذا هو أقل من متوسط الدخل هناك وأنه في مهن أخرى يصل المتوسط الى ٢٢ ألف و ٢٤ ألف.

والمضحك هناك أنني وجدت إعلاناً في الشارع يطلب انضمام الشباب للعمل في الشرطة وبدافع من الفضول تفحصت الموقع الإلكتروني المذكور في الإعلان ووجدت أن الوظيفة مقابل راتب يبدأ من ٤٢ ألف دولار تقريباً وينتهي براتب ٨٤ ألفHK$.

خلاصة القول، إنك في هونج كونج ستستمتع بمدينة تختلف جذرياً عن الصين، مليئة بالحيوية والشباب والنشاط والجمال والإبداع وبها كل مظاهر العولمة، والبعض يصفها بأنها مثلها مثل نيويورك بالولايات المتحدة وهذا في حد ذاته يستحق المشاهدة ...فها أنا ذا شاهدت التقليد ...وربما أشاهد الأصل يوماً ما.



ختاما

هل انتهت الحواديت؟ حواديت السفر لا تنتهي، أتمنى أن تكون قد وجدت صديقي القارئ بعضاً مما في الحواديت حلوًا ولا بأس لو وجدت بعضاً آخر "ملتوت " فلا شيء في الحياة كامل ويا سلام لو وجدت أن منها ما كان مفيدًا، والأهم من هذا كله أن يأتي اليوم وتصنع فيه حواديتك أنت ....لأنها بالتأكيد ستكون أحلى الحواديت.

وفيما يخص بوابات السعادة، قد تكون سعادتك في شراء ملابس ماركات أو هواتف غالية أو امتلاك سيارة فخمة أو أشياء أخرى غير السفر، وهذا وارد بالتأكيد ولكن إن لم تكن قد جربته "أي السفر" قبل ذلك، فحاول على الأقل ولو مرة واحدة ربما يكون موعدك مع طعم مختلف من السعادة..... طعم لم تتذوقه من قبل....صحيح تقتضي الأمانة أن أضع خطاً تحت ما ذكرته في بداية هذا الكتاب وهو أن السفر جزء من الحياة ونحن لا يمكن أن نضغط زر التوقيف أو ال Pause عند السفر - فلا Remote control للحياة- لنضمن أن الرحلة ستمتضي على خير ما يرام، وربما في كتاب لاحق أخبرك بالمرة التي تعرضت فيها للتسمم كما سبق وحكيت في كتبي السابقة عن المرة التي تم احتجازنا فيها بسبب علبة سجائر"عادية والله عشان خيالك ميروحش لبعيد☺"، والمرة التي سافرت فيها بين عكاز وكرسي متحرك ....ولكن ورغم كل هذا يبقى حتى في هذه المواقف ما يجعلها بعد نهايتها تحمل مذاق سعادة التجربة ...فنحن نعيش لنُجرب.

وربما لن أجد ختمامًا أفضل مما غناه عبد الحليم حافظ من كلمات الشاعر محمد حمزة وألحان بليغ حمدي قائلاً:

سواح .....وماشي في البلاد سواح ....مشوار طويل وأنا فيه غريب والليل يقرب والنهار رواح ...سواح..ها أنا أكمل الحياة سواح.

تم بحمد الله وفضله

٢٠١٨

صحيح أنا دوري انتهى تقريباً عند هذا الحد، ولكن أرغب في أن أشرككم في تجربة مسافر مصري وهو الذي وجهت إليه إهداء في أول الكتاب، من خلال تدوينة أنا أراها مبشرة بالمستقبل، المفترض أن تدوينته هذه كانت ستكون ضمن كتاب للرحالة المصريين يشاركون فيه تجاربهم المختلفة ولكن المشروع لم يكتمل للأسف ولم يخرج إلى النور ....كان أصغر المشاركين سنًا هو **أحمد رشوان** وكانت تدوينته بعنوان (المسافر الصغير) لأنه حينها كان عمره ١٥ عامًا ولكن أنا أفضّل أنا اسميها "رحالة المستقبل" ....التدوينة بالعامية المصرية ولكن أجمل ما فيها أنها تكشف عن جانب جميل في تفكير شاب في بداية سنوات شبابه....ليت من في سنه يفكر مثله.

□



رحّالة المستقبل

أحمد رشوان

أنا اسمي أحمد رشوان سني ١٥ سنة بحب السفر والمغامرة والترحال والتصوير والقراءة والكتابة و"الhiking " والتأمل ونفسي أسافر وألف العالم وأفيد الناس بتجاربي وأصور أفلامًا عن كل مكان بجودة عالية بس في مشاكل بتقابلني السن وده أول حاجة والماديات زي أي حد.

هتكلم عن الماديات سريعا سواء إنت في سني أو أكبر مني حاول تنظم أولوياتك مش كل الفلوس اللي معاك تنزل تصرفهم في خروجة.

مش شرط إنك تعمل "Shopping" بالفلوس اللي معاك وإنت مسافر، مش شرط أنك تنزل في فندق ٥stars علشان تتبسط ممكن تنام في هوستيل (بيوت شباب) هتتعرف على ناس وتتبسط أكتر، ممكن تنام في خيمة وتشوف النجوم وتتأمل في حاجة ممكن تعملها عشان توفر في فلوس الأكل ممكن لو في مكان في الشنطة تاخد معلبات توفر معاك وإنت مسافر ممكن تعمل حاجات كتير لو أنت بتفكر في السفر وبتتحجج بالماديات النت دلوقتس مسابش حاجة في شغل كتير جدا من خلاله ممكن توفر فلوس سفرك.

هتكلم عن رحلتي لدهب وسانت كاترين ونويبع. أحد الرحالة المصريين عمل رحلة جماعية إلى دهب ونويبع وسانت كاترين يوم ٢٠١٧/٩/٢٤ وكانت برسوم اشتراك قليلة كان نفسي أطلعها حاولت مع

أهلي ووافقوا إني أسافر حجزت الرحلة وكنت مبسوط جدا إني مسافر واشتريت بعض الأشياء للرحلة معلبات للأكل وحاجات تانية.

جاء يوم الرحلة وقابلت أعضاء الرحلة ومكنش فيه سابق معرفة، ركبنا الأتوبيس وبدأ التحرك الساعة ١٢منتصف الليل وكنت مبسوط جدا في الطريق إني مسافر لأرى معالم بلدي الجميلة وكان الطريق طويلا ومتعب جدا لكن وصلنا بعد ١١ساعة واستلمنا الغرف، فطرت واستحميت ونزلت شتريت أدوات "snorkeling" من الممشى السياحي وتقابلنا وتحركنا الساعة ١ظهراً الى 3pools

بحر أمام جبل به الكثير من الشعب المرجانية والأسماك الملونة، مكان ساحر جدًا عملنا "سنوركلينج" وشاهدنا كثيرًا من الأسماك والشعب والتقطنا مجموعة من الصور.

ورجعنا إلى الفندق للاستحمام وتبديل الملابس لنذهب إلى وادي جني، ركبنا الأتوبيس وفي طريقنا للوادي جلست أفكر في السفر وماذا سيستقبلني بعد الجبال والبحار الكثير من الثقافات والشعوب والدول، ووصلنا إلى وادي جني من الخارج وجاءت عربيات لتنقلنا داخل الوادي، وكان المكان صامتًا بين الجبلين نجوم ملونة بألوان زاهية جميلة مبعثرة في كل مكان وصلنا إلى داخل الوادي مكان تنيره النار والنجوم، جلسنا في قعدات بدوية، بعض أفراد الجروب ذهبوا لطلوع الجبل والبعض الآخر جلس، أما أنا نمت في مكاني بعد ما تأملت النجوم وتعب اليوم وأيقظوني للعشاء وكان العشاء سيئًا جدا.

رجعنا إلى الفندق قابلت أحد أعضاء الجروب في كافيه مطل على البحر، تكلمنا كثيرا وذهب كل واحد للنوم، وأنا ذهبت إلى الشاطيء لكي أرى الشروق، جلست وحدي ألتقط الصور وأشاهد الشروق، ورجعت إلى الفندق لأنام، صحيت متأخرا وذهبوا الى أهم معالم دهب (بلوهول،ابوجالوم) قابلت باقي الجروب وجلسنا في كافيه وبعدين عملنا سنوركلينج وشاهدنا (صدام كلانى) هو وخارج من البحر" صدام جلس تحت الماء ١٠٠ساعة و٢٠دقيقة.

ذهبنا لتناول الغذاء في مطعم سمك، واشترينا بعض التذكارات، وجلسنا على القهوة، تناولنا الشاي البدوي أجّرت عجلة واتمشيت في الممشي السياحي، واشتريت بعض الأغراض استعدادا لصعود جبل موسي. وديه كانت أحسن حاجة في الرحلة.

بدأنا التحرك إلى سانت كاترين الساعة ١٢منتصف الليل، وصعدنا الجبل الجبل الساعة ٢ونصف، وكانت الدنيا بردًا وظلامًا، تحيطنا النجوم في كل مكان، والمنظر كان أكثر من رائع، ولكن كان الطريق متعبًا لأن كانت أول مرة أطلع جبل ووصلنا الساعة ٥ إلى السلالم آخر مكان يطلع للقمة وكانت متعبة جدا، ببص لقيت ناس من جنسيات مختلفة عجائز طالعين ونزلين للسلالم وكانوا مبسوطين جدا تفائلت وبدأت الصعود سريعا ووصلت الساعة ٥ونص. شاهدنا الشروق وكان المنظر جميلا جدا، اتصورنا شوية ولكن دخت واغم عليا بسبب نقص الأكسجين والجو البرد وقلة الأكل. ساعدنى أعضاء الجروب والحمد لله قدرت إني أفوق.

وبدأنا رحلة النزول وكانت أصعب من الطلوع، نصنا نزل في طريق والباقي في طريق، وكان طريق النزول ملتوي مكنش مستقيم، وكان منظر الجبال مع الشمس والبدو السيناوي والجِمال أجمل منظر في الحياة، حسيت أد إيه إن الجبل ليه حياة تانية خالص غيرالإزعاج بتاع المدن.

في الجبل حياة بسيطة هادئة، ووصلنا إلى أسفل الجبل دخلت لكافتيريا الدير وشربت الكثير من المياه وذهب البعض إلى داخل الدير لكن أنا مكنتش قادر خالص وقعدت مكانى، خلصوا الجولة في الدير وركبنا الأتوبيس وذهبنا إلى كامب في سانت كاترين لنفطر، فطرنا وشربنا شاي بدوي واستريحنا شوية ثم تحركنا إلى مدينة نوبيع.

نويبع تسمي مدينة الهدوء والنجوم والاسترخاء، كانت جزءًا مهمًا جدا في الرحلة رغم إن مفيش أنشطة فيها .

الخيام كانت عبارة عن مراتب ومخدة ولمبة وفيشة كهرباء، لكن لما تقعد فيها متكنش عاوز تمشي، تحس إن إنت بقيت جزء من المكان، نزلت البحر شوية وطلعنا قعدنا مع بعض نتحدث لكن كنت نايم جدا وقعدت مع نفسي أتأمل في الكون ودي أعظم حاجة ممكن تعملها بعد رحلة زى ديه.

التأمل يعني تفضي دماغك من كل حاجة، تركز في حاجة معينة، تبعد عن أصوات، جلست وحدي وتحدثت إلى نجمة لمدة ساعة تقريبا، نمت وأنا بتأمل لأنه كان يومًا متعبًا جدا، صحاني أحد الأصدقاء للعشاء وبعدها رجعت إلى خيمتى ونمت تاني.

صحيت على أجمل منظر ممكن أشوفه، فعلا كانت حاجة عمري ماعملتها والحمد لله إنى عملتها، المنظر كان رمال وبحر وجبل، كان المنظر عند الصحيان أجمل مما تتخيل، جلست على المرجيحة شوية، وذهبت لتناول الفطار ونزلت البحر مع أصدقائي ولعبنا كتير وحكينا مع بعض وجهزت للاستعداد للرجوع إلى القاهرة.

كنت حزين إنى مش هشوف المنظر ده، قولت لنفسي إنى هاجي لوحدي لما أكبر وأصور وأكتب عن كل حتة في كل مدينة وأعلّم الناس حاجة مفيدة، أعلّمهم إزاي يكونوا صحبة من الرحلات وأعلمهم إزاي يعتمدوا على نفسهم في الرحلات.

آخر حاجة سافر وشوف كل حاجة لو معرفتش تسافر بره مصر سافر جوه مصر زي مانا عملت، مصر مليانة أماكن كتير دور على أماكن غير الساحل والغردقة، سافر الفيوم أو سيوة أو مرسي علم أو الأقصر وأسوان أو الواحات، حاول تتأمل عشان تخرج كل الضغط اللي في حياتك..... اسعى دائما إلى حياة أفضل.

أحمد رشوان

صحيح أن الصورة بألف كلمة، ولكن ستبقى للكلمة رونقها ما دامت تصنع الكلمات الحكايات، وتضيف لها الصورة بُعداً آخر يزيد من بهاء الكلمة، ولأننا في زمن الصورة بامتياز ولأن المقام هنا لن يتسع للكثير من الصور خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أمر الجودة العالية ودرجة الوضوح الصعب توفيرها بالكتاب.

إذن لنجعل هذا الجزء بمثابة فقط "أخذ الفكرة" ثم أدعوك صديقي القارئ أنه ما إن لفت نظرك في كلامي شيء بالبحث عنه عبر التكنولوجيا الحديثة وما يوفره لنا Google وخدماته المختلفة :





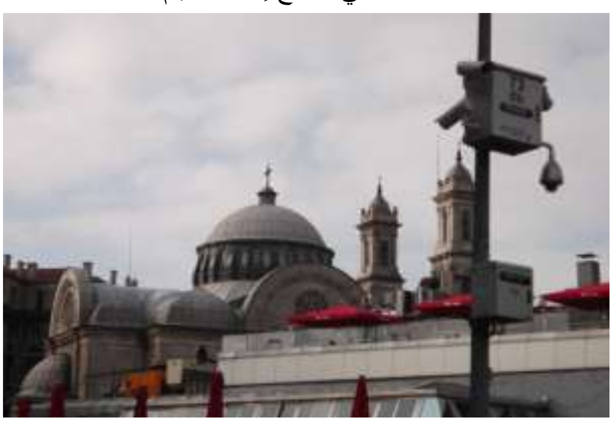
أنا وشقيقتى إيناس بوسط ميدان تقسيم



أنا أمام المسجد الأزرق بإسنطبول القديمة



أنا أمام تمثال أتاتورك أو نصب الجمهورية وهناك شاهدنا عرضاً عسكرياً لم نعرف مناسبته في صباح إحدى الأيام

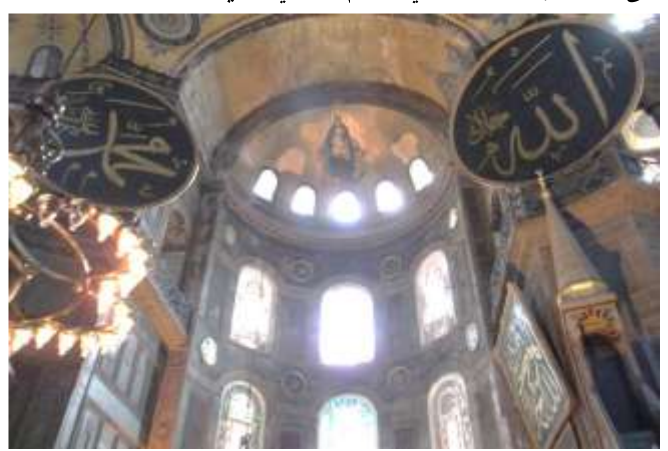


قبة الكنيسة الكبيرة باسطنبول والتي انغلق علي بابها





إلى جوار الإعلان الدعائي للفيلم التركي الذي حضرنا عرضه الخاص



آيا صوفيا من الداخل حيث بالسقف صورة زيتيه للسيدة مريم وعيسى عليه السلام "بحسب المعتقدات المسيحية" والصورة تتوسط مُعلقات إسلامية





أعلى الجبل في مدينة بورصة



في العبّارة أثناء جولة مضيق البسفور





الأخوين فوزي : يتوسط الصورة أحمد وإلى يمينه شقيقه وتوأمه محمود وأنا



أنا إلى جوار مغارة جعيتا فى ملابس شامية قديمة " إحدى حركات الضحك على السائحين"





على الدرج المؤدي إلى تمثال العذراء أو سيدة لبنان بحريصا



أتوسط كلمة بيروت الموجودة كديكور لبرنامج ببيروت على فضائية ال LBC





أعلى سور الصين العظيم



أمام مطعم البط الأشهر والأغلى فى بكين مطعم دادجون





أنا وإلى جواري جيمس وإلى جواره سانت ثم دان

"الفلبينيون الثلاثة"



أنا والشباب الثلاثة أعلى سور الصين العظيم





داخل المدينة المحرمة



أنا والشباب بأحد المطاعم الفخمة التي توجهوا إليها



في انتظار وجبة الإفطار بأحد المطاعم والتي أتت بالنسبة لي عبارة عن بطاطس وسط طبق من شوربة الخنزير الفاخرة رغم أنها كانت مكتوبة فى قائمة الطعام على أنها شرائح بطاطس فتوقعتها "شيبسي"



أنا وخلفي مايكل وخلفه روي



من اليمين :المحظوظ الكندي "مات" وإلى جواره الأمريكي البارجواي "جيم" وأنا أعلى فيكتوريا بيك



أنا وجستافو البرازيلي





أمام المياه عند فيكتوريا هاربر والتي يقام عندها مساءً عرض سيمفونية الأضواء



أنا والنيوزيلندي روي فى نزهة العبّارة التي صحبنيّ فيها ودلني عليها





أمام فندق البنينسولا الأفخم والأغلى فى هونج كونج



شكر واجب

ما زلت عند نفس القناعة التي ذكرتها في كتابي السابق "تذكرتين سفر" أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وأنه من جميل نعم الله علينا أن يجعل في حياتنا بشر يدعموننا ويفرحون لنجاحنا، وإلى هؤلاء أتوجه لهم جميعًا بالشكر....ولكن تكاد تكون هذه الصفحة هي أصعب صفحات الكتاب رغم أنها قد لا تعني القارىء ...فأنا لا أريد أن أنسى أحدًا كما لا أريد أن يتم تأويل هذه الصفحة بأن فيها نفاق أو "تطبيل" للبعض والعياذ بالله ....ولكن من منطلق أن رضى الناس غاية لا تُدرك، وأنهم في جميع الأحوال يتكلمون ومن منطلق بيت الشعر القائل:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدّق ما يعتاده من توهم

سأتوجه بالشكر لمن أرغب حقيقة في شكرهم دون خوف من لوم وربما لأن كل شخص في هذه القائمة يعرف لماذا أنا فعلاً أشكره كما يعرفني جيداً ويعرف أخلاقي:

إلى أي مدى ستكون فرحًا ومحظوظًا متى رزقك الله بمديرين في العمل يُقدرونك على المستوى الإنساني ويدعمون إنجازك الشخصي "غير المرتبط تمامًا بالعمل" ويسعدون به ويحتفون ويحتفلون به كذلك ؟ ثق أن سعادتك في هذه الحالة ستبلغ مداها خاصة ما إن كان هذا العمل بإحدى شركات القطاع العام بما نعرفه عنه😐 ....وأنا والحمد لله محظوظ بهذا الأمر للغاية حيث مديرتان سيدتان فاضلتان:

١- الأولى هي الأستاذة : **هويدا محمد توفيق** : تعلمين يا سيدتي كم أنا ممتن لكِ ولدعمكِ وتشجيعكِ الجميل الموصول من "سفرنامة" حتى الآن ويُشرفني وأعتز بوصفك دائماً أني ك ابنك **محمد** رحمة الله عليه....أسعد الله قلبك كما أسعدتني وتسعدين من حولك.

٢- والثانية الأستاذة: **محفوظة محى الدين** : عبر سنوات ممتدة من العمل معكِ لن يكون الشكر كافيًا على الدعم والتشجيع داخل وخارج العمل ....دمتِ بخير وسعادة.

٣- الصديق المكسب والمدير أيضا.. الفاضل :**محمد مسعد** :شكرا للقدر الذي جمعنا وشكرًا لأنك صديق رائع ...ولتحمل الأيام القادمة لك ولأسرتك كل الخير والسعادة التى تستحقها لأخلاقك الجميلة وصفاتك النبيلة.

٤- الصديق و المكسب أيضًا :**محمد الحسيني**: شكرًا على دعمك يا صديقي ،وبقدر نقائك و"جدعنتك" أثق أن أيامك القادمة ستكون أفضل بإذن الله.

٥- أصدقاء وزملاء العمل الأفاضل:

البشوش والجميل خُلقاً وخلقاً **أحمد عبد الرحيم** والمحترم ودمث الخُلق **أحمد العوني** – الفاضل والعزيز للغاية **سليمان العباسي** والأخ الأكبر **هيثم العنبري**: شكراً على تشجيعكم يا أصدقائي...ودمتم بخير.

٦- الصديق والروائي الجميل **رامي حمدي** : شكراً على مساعدتك لي في اختيار عنوان الكتاب وعلى غير هذا الكثير... وبالتوفيق في القادم من أعمال.

٧- صحبة كلية الألسن الجميلة "والوصف للاثنين الصحبة والكلية" وبالترتيب الأبجدي:

عمرو سليمان – محمد سيد عبد الوهاب– محمد سعيد – محمود سيد عبد الجيد - محي نجاح .

٨- الصديق العزيز للغاية **محمود عاطف** وزوجته السيدة **هدير العربى**:"شكراً على تشجيعكما ودعمكما....وربنا يسعدكما دومًا.

٩- إخوتي وأصدقائي الأعزاء آباء الكارمين، الصديق والذى يحلو لي وصفه بال Gentle man **محمود غلوش** وزوجته السيدة **سمر صبري**...ربنا يسعدكما ويبارك فى الكارمين و"تسافروا كمان وكمان".

١٠-الصديق والأستاذ **عصام أبو الخير**: شكرًا للمساعدة في التدقيق اللغوى الإنجليزي والدعم والتشجيع من سفرنامة للآن.

١١-الصديق والشاعر **عثمان عبد المنعم** : شكرًا لأسباب كثيرة ...ودمنا أصدقاء وشركاء نجاح.

١٢-المسافرة الجميلة **بسمة محمود** أو كما يحلو لها تسمية نفسها "البنت بتاعة الفيل" شكرًا على المعلومات قبل سفري لهونج كونج.

١٣-صديق ال"فيسبوك"الذي لم ألقاه من قبل أ/ **مصطفى فؤاد**...شكرًا لتعليمي شيئًا سينفعني.

١٤-الصديقة وكما اصفها "الرفيقة" كاتبة أدب الرحلات: **إيمان الأمير** : شكراً على كل الدعم الذي قدمتيه لي ...و دمتِ بخير ونجاح.

١٥-إلى القوية والجميلة والمجتهدة **هبه خليل** شكرا جزيلاً على المجهود المبذول منذ تذكرتين سفر وحتى هذا الكتاب ، اتمنى لك السعادة دوماً

١٦-عرابتي ومسك الختام كاتبة أدب الرحلات الموهوبة للغاية **شيرين عادل**...شكراً على أشياء متعددة أهمها كتبك وكتابتك أنتِ لأنها ملهمة لي وللكثيرين.



قائمة المراجع

١- https://www.imdb.com

٢- http://alkhaleejonline.net

٣- http://www.chinabelaraby.com

٤- http://observers.france24.com

٥- https://eg.arabiaweather.com

٦- /https://www.elcinema.com

٧- http://www.harcourtschool.com

٨- https://www.womenofthehall.org

٩- https://mawdoo3.com

١٠- https://www.bbc.com

١١- موقع ويكيبديا الشهير أكثر من مرة